مِنْ رَوَائِعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

للشيخ

صالح بن عبدالله التركي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الشَّيخُ لَمْ يُراجِعِ التَّفريغَ

مِنْ رَوَائِعِ
اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ

للشيخ
صالح بن عبدالله التركي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

(١) التنكير والتعريف في(البلد) بدعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دعىٰ أبونا إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لمكة في القُرْآنِ بدعاءين:

- فجاء الدعاء الأول: في سورة البقرة بقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [سورة البقرة:١٢٦].
- وجاء الدعاء الثاني في سورة إِبْرَاهِيم: بقوله الله ﷻ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [سورة إبراهيم:٣٥].

فما السر البياني البلاغي للتنكير والتعريف في لفظ «**البلد**» بين هاتين الآيتين؟!

قال أهل التأويل: إن إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زار مكة مرتين:

- فزارها لما كانت بلدًا قاحلًا ولما كانت واديًا غير ذي زرع؛ ولم تكن آهلةً بالسكان فدعىٰ لها إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [سورة البقرة:١٢٦]، فناسب التنكير لمَّا كانت غير آهلةٍ بالسكان.
- زارها إِبْرَاهِيمُ مرةً أخرىٰ بعد أن ترك ابنه إسماعيل وأمه، فزارها مرةً أخرىٰ وقد تأهَّلت بالسكان وسكنها الناس واستوطنها والتفَّ حولها العرب بعد أن نبع فيها ماء زمزم، فدعىٰ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لها مرةً أخرىٰ بقوله تعالىٰ في سورة إِبْرَاهِيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [سورة إبراهيم:٣٥]، فجاء التعريف لمَّا كانت آهلةً بالسكان.

فهذا شيءٌ من التوجيه البياني والدَلالة اللفظية للتنكير والتعريف للفظ «**البلد**» في هاتين الآيتين؛ والله تعالىٰ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٥]
وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٠٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٥]، وقال الله ﷻ في كتابه أَيْضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٠٠].

وهذا موطن تساؤلٍ لدىٰ كثيرٍ من الناس من قُرَّاء كتاب الله ﷻ عن سِرِّ سبب هذا الاختلاف!

فأقول: أن آية آل عمران جاءت بين ثنايا الحديث عن معركة أُحد، ولا شك أن الداخل للمعركة ربما يفقد نفسه أو يُقتل أو يموت أو يستشهد، فقال الله ﷻ في معرض الحديث عن تلك المعركة: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٥]، فجاءت الآية منسجمة مع موضوعها وسياقها.

وأما آية يونس فَإِن أواخر سورة يونس جاء الحديث فيه عن قضية الإيمان؛ حيث ذكر الله ﷻ محاولة إيمان فرعون؛ إذ يقول الله-جَلَّ شأنه-: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [سورة يونس:٩٠]، ثم قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦﴾ [سورة يونس:٩٦]، ثم عرَّض الله ﷻ بذكر إيمان قوم يونس حيث قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [سورة يونس:٩٨]؛ ثم قال الله ﷻ بعد هذه الآيات: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٠٠].

إِذًا هذه الآية جاءت أَيْضًا مُناسِبةً لسياقها ومنسجمةً مع موضوعها، فكُلُّ آيةٍ جاءت منسجمة مع ما جاءت به من السياق، هذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة، أسأل الله بمنِّه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣) ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [سورة الأنبياء:٧٠]
﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ [سورة الصافات:٩٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول الله -جَلَّ شأنه- في قصة إِبْرَاهِيم في الأنبياء: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [سورة الأنبياء:٧٠]؛ وقال الله ﷻ في الصافات: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ [سورة الصافات:٩٨].

فاختلفت الفاصلة بين هاتين الآيتين مع إتحادٍ في القصة والمعاني، وذلك راجعٌ للسياق القُرْآني، حيث أن في الأنبياء وقع منافسةٌ في الكيد ومجاراةٌ في الكيد بين إِبْرَاهِيم عليه السلام وبين قومه.

إذ أنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام كاد أصنامهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ [سورة الأنبياء:٥٧]؛ وقال الله ﷻ في شأنهم: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ [سورة الأنبياء:٧٠]، هذه منافسة في الكيد ومجاراة؛ فيها منتصر وفيها خاسر فكانوا أخسرين في هذه المنافسة.

أما في الصافات فَإِنَّ قوم إِبْرَاهِيم بنوا له بنيانًا ليلقوه في الجحيم، فقال الله ﷻ فيه وفيهم: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧﴾ [سورة الصافات:٩٧]، فَأَرَادُوا أن يكون أسفلًا فكانوا هم الْأَسْفَلِينَ في هذا الكيد، فخسروا هذا الكيد وكانوا أسفلين فيه، فهذا توجيهٌ لهاتين الفاصلتين.

أسأل الله بمنِّه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤) بعض مواطن تقديم الجن على الإنس في التنزيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدَّم الله ﷻ في التنزيل الجِنَّ علىٰ الإنس وقَدَّم الله ﷻ الإنس علىٰ الجِنِّ أَيْضًا؛ فمن تقديم الجن علىٰ الإنس في القُرْآنِ الكريم لما كان الحديث عن خلقهما يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦].

فقَدَّم الجن هنا لأنهم خُلقوا قبل الإنس كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحجر:٢٦-٢٧].

وقَدَّم الله ﷻ الجن علىٰ الإنس في التنزيل لما كان الحديث عن دخول النار؛ ومعلومٌ أن أول الداخلين للنار هم الجن، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]؛ فقَدَّم الله ﷻ الجن لأنهم هم أول الداخلين النار كما قال الله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة السجدة:١٣]، وآياتٌ أُخر.

وقَدَّم الله ﷻ الجن علىٰ الإنس لما كان الحديث عن اختراق السماوات والأرض، كما قال الله ﷻ في الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الرحمن:٣٣]، ولا جرم أن الجن هم أكثر استطاعةً من الإنس في هذا الأمر، فقَدَّمهم الله ﷻ عنايةً بهم واحتفالًا لهم في السياق.

وقَدَّم الله ﷻ الجن أَيْضًا لما كان الحديث عن الضلال والغِواية والإضلال، كما قال الله ﷻ في فصلت: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فصلت:٢٩].

ومعلومٌ أن الشيطان نفسه أخذ علىٰ نفسه عهدًا أن يضل بني آدم كما قال الله ﷻ عنه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة النساء:١١٩].

وقال الله ﷻ عنه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [سورة الناس:٤-٥].

وقال الله ﷻ عنه كذلك: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [سورة طه:١٢٠].

إِذًا مسألة تقديم الجن علىٰ الإنس والإنس علىٰ الجن فنٌ قرآنيٌّ فريد اعتنىٰ به كتاب الله ﷻ فيُقدِّم الكلمة إذا كان لها الأهمية في السياق ولها العناية في السياق والتركيز، وهذا شأنه شأن اللغة العربية.

أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥) بعض مواطن تقديم الإنس على الجن في القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدَّم الله ﷻ الإنس علىٰ الجن في القُرْآنِ الكريم في مواطن، وما ذلك إلىٰ لأمرٍ يقتضيه السياق ويستلزمه المعنىٰ:

- فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [سورة الإسراء:٨٨]، فأقرب الطائفتين للبيان والبلاغة والفصاحة وممن أمسك بزمام هذا النظم العربي الفصيح هم الإنس وخاصةً العرب؛ فتحدَّاهم الله ﷻ وقدَّمهم عنايةً بهم واهتمامًا بهم في هذه الآية.

- ومن تقديم الإنس علىٰ الجن في القُرْآنِ الكريم: في مسألة تكذيب الله ﷻ كما جاء في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥﴾ [سورة الجن:٥]، فأول من كَذَبَ علىٰ الله ﷻ هم الإنس في مسألة البعث والنشور كما جاء في الحديث القدسي: «**كذَّبني ابن آدم وليس له ذلك، وشتمني ابن آدم وليس له ذلك**».

- ومن تقديم الإنس علىٰ الجن في القُرْآنِ الكريم: ما جاء في سورة الأنعام إذ يقول الله- جَلَّ شأنه-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [سورة الأنعام:١١٢]؛ فأعداء الرسل بالدرجة الأولىٰ هم من الإنس كما جاء عند ابن عاشور في «**التحرير والتنوير**»، وخُبثاء الإنس هم أشد مخالطةً من خبثاء الجن فقَدَّمهم الله ﷻ في هذا السياق.

- ومن تقديم مواطن الإنس علىٰ الجن: لما كان الحديث عن الجنة وأول من يدخل الجنة هم الإنس، وفي مُقدِّمتهم النبي ﷺ قال الله-جَلَّ شأنه-: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦﴾ [سورة الرحمن:٥٦]؛ فقَدَّم الإنس هنا لأنهم هم أول الداخلين للجنة.

فهذا وهذه من جملة مواطن تقديم الإنس علىٰ الجن في القُرْآنِ الكريم توجيهًا لمثل هذه التقديمات والتأخيرات لكتاب الله ﷻ، وهذا الفن البديع الذي سَمَىٰ به كتاب الله ﷻ، كذلك توجيهًا لمثل هذه الآيات المتشابهة وربما يحتاجها الحافظ في إتقان حفظه، وربما تكون إجابةً لتساؤلاتٍ كثيرة من قِبَل قراء كتاب الله ﷻ.

أسأل الله بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦) ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد:

في التنزيل يقول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾ [سورة آل عمران:١١٧]، وهذه الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي خلت من لفظة «كانوا»، وهذه الآية في آل عمران، وبقية آيات الله ﷻ في التنزيل يقول الله ﷻ فيها: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ [البقرة:٥٧، الأعراف:١٦٠، التوبة:٧٠، النحل:٣٣، النحل:١١٨، العنكبوت:٤٠، الروم:٩].

- ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ [سورة البقرة:٥٧].
- ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ [سورة الأعراف:١٦٠].
- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾ [سورة التوبة:٧٠].
- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣﴾ [سورة النحل:٣٣].
- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾ [سورة النحل:١١٨].

• ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٠].

• ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الروم:٩].

فللسائل أن يتساءل عن سبب سِرِّ هذا الاختلاف بين هذه الآيات المتناظرة المتشابهة، فأقول: إن في آية آل عمران مثلًا ضربه الله ﷻ للناس إذا يقول الله ﷻ فيها: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٧].

قال الله فيها: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٧]، لأنه مثلٌ لم يقع أصلًا ولم يحدث في سير الزمان فقال الله ﷻ فيها: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٧].

والسخاوي في منظومته ؒ تعالَىٰ يقول:

ولفظ كان في الكتاب ما سقط إلا الذي في آل عمران فقط

وأما بقيّة الآيات في القُرْآنِ الكريم فَإِنَ الله ﷻ يقول فيها: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧، الأعراف:١٦٠، التوبة:٧٠، النحل:٣٣، النحل:١١٨، العنكبوت:٤٠، الروم:٩]؛ قال: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧، الأعراف:١٦٠، التوبة:٧٠، النحل:٣٣، النحل:١١٨، العنكبوت:٤٠، الروم:٩]، لأن بقيَّة هذه الآيات ضمَّت أحداثًا وقعت.

كقول الله ﷻ في سورة العنكبوت مثلًا: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ كحال قوم لوط: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ كحال قوم عادٍ وثمود: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛

كحال قارون: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ كحال قوم نوح وفرعون، ثم قال الله ﷻ في نهاية الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]، قال الله ﷻ فيها: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]، لأن هذه الآية ضمَّت أحداثًا ووقائع لها وجودٌ في سير الزمان وعلىٰ شريط الحياة، فقال الله ﷻ في نهاية الفاصلة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [سورة العنكبوت:٤٠].

هذا من التوجيه لهذا المتشابه ولهذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، أسأل الله بمنّه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٩]

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة طه:١٠٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدَّر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد:

يقول الله ﷻ في تنزيله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٩]، وقال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ﴾ [سورة البقرة:٢١٧].

قال العُلَمَاء: «**كل ما جاء من لفظ «يَسْأَلُونَكَ» في القُرْآنِ الكريم جاء الجواب بقوله: «قُلْ»؛ لأن هذه الأسئلة وقعت للرسول ﷺ**»؛ وسُئل عنها النبي ﷺ من قِبل الصَّحَابَة أو من غيرهم، كما سألته اليهود عن الروح كما جاء في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [سورة الإسراء:٨٥]، إذًا هذه الأسئلة وقعت للرسول ﷺ وأجاب عنها النبي ﷺ فجاء الجواب بقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ﴾ [سورة الإسراء:٨٥].

أما ما جاء في طه من قوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة طه:١٠٥]، فجاء الجواب بقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ﴾ [سورة طه:١٠٥]، هذا السؤال لم يقع للرسول ﷺ لذا جاء الجواب بقوله: ﴿فَقُلْ﴾ [سورة طه:١٠٥]، وهذه هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي جاء جوابها بقوله: ﴿فَقُلْ﴾ [سورة طه:١٠٥]، لأن هذا السؤال لم يحدث للنبي ﷺ ولم يقع له، لذا كان التأويل: «**إذا سُئلت يا محمد فَقُلْ**»، كما جاء عند الكرماني في «**أسرار التكرار**» وعند غيره، هذا من التوجيه لهذه الآيات المتناظرة، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا وجلاء همومنا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٨) ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [سورة الطلاق:٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد سيد أهل البيان.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]؛ وقال الله ﷻ في سورة الطلاق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [سورة الطلاق:٧].

فاختلف اللفظ بين الآيتين بحسب اختلاف السياق في السورتين، إذ أنَّ الله ﷻ يقول في البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]؛ وذلك جاء في سياق العمل فقد روىٰ ابن جريرٍ رحمه الله تعَالَىٰ في تفسيره: أنه لما نزل قول الله ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٤]؛ شقَّ ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فجاءوا إلىٰ النبي ﷺ وقَالُوا: «**إنّا لمؤاخذون بما نُحدّث به أنفسنا؟**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]؛ أي: إلا ما استطاعت من العمل كالصلاة والصيام والصدقة والصوم وغيره، فلا يكلّف اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أي: إلا بما استطاعت واقتدرت عليه من العمل، وذلك رحمةٌ من الله ﷻ ولطفٌ من الله ﷻ بعباده المُؤْمِنِين.

وأما في سورة الطلاق: فَإِنَّ السياق يتحدث في السورة عن الإنفاق علىٰ الحامل والمرضع من المال، كما قال الله ﷻ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق:٦].

إِذًا السياق يتحدث عن الإنفاق علىٰ الحامل والمرضع، والله ﷻ لا يكلف الولي إلا بما استطاع من النفقة، لذلك قال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [سورة الطلاق:٧].

فهذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ ولما اختلفت به الآيتان من هذا اللفظ، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩) ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]
﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في قصة آدم في البقرة: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]، علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في قصة بَنِي إِسْرَائِيْل: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨].

فقَدَّم الله ﷻ «**الرَّغَد**» في شأن قصة آدم وأخَّره في قصة بَنِي إِسْرَائِيْل، وما ذلك إلا لأمرٍ يقتضيه السياق القُرْآني، و«**الرَّغَد**» عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «**هو سِعةٌ في المعيشة**» وهكذا جاء تأويله عند غير واحدٍ من أهل التأويل علىٰ اختلاف عباراتهم.

فقَدَّم الله ﷻ «**الرَّغَد**» لما كان الحديث في الجنة كما قال الله ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة:٣٥]، إذًا الحديث في الجنة فقَدَّم الله ﷻ «**الرَّغَد**» فيها، ولما كان الحديث في الدنيا قال الله ﷻ لبَنِي إِسْرَائِيْل: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [سورة البقرة:٥٨]، والقرية: هي بيت المقدس، ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨]، فقَدَّم «**الرَّغَد**» لما كان الحديث في الجنة وأخَّره لما كان الحديث في الدنيا، ومعلومٌ أن رغد الجنة مُقدَّمٌ علىٰ رغد الدنيا، وهذا من توجيه هذا التقديم والتأخير في بلاغة كتاب الله ﷻ.

أسأل-الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠) ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦]
﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [سورة آل عمران:٨٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

من جملة الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ ما جاء في قوله تعالىٰ في البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، ونظيرةٌ لهذه الآية يقول الله ﷻ في آل عمران: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [سورة آل عمران:٨٤]، فما سبب سِرِّ هذه الاختلاف بين هاتين الآيتين؟!

لمَّا أمر الله ﷻ عباده بقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، ناسب أن يأتي بعده بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، و«إلىٰ» هنا تفيد انتهاء الغاية كما تقول: ذهبت إلىٰ البيت، فانتهت هذه الكتب المنزلة إلىٰ الناس.

وقال الله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، أي: أن القُرْآنَ الكريم انتهىٰ عند الناس واستقرَّ بأيدي الناس، فناسب قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦] ، بعد أن قال وخاطب عباده المُؤْمِنِيْن بقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ﴾ [سورة البقرة:١٣٦].

أما ما جاء في سورة آل عمران فَإِن الخطاب موجَّهٌ إلىٰ النبي ﷺ كما جاء عن الكرماني في «**أسرار التكرار**»، ولما خاطب الله ﷻ نبيه بقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ﴾ [سورة آل عمران:٨٤] ناسب أن يأتي بعده بقوله تعالىٰ: ﴿عَلَيۡنَا﴾ [سورة آل عمران:٨٤]، و«علىٰ» تفيد الفوقية كما عند النُحاة وعند أهل العربية.

والكتب أُنزلت علىٰ الأنبياء، والقرآن الكريم أُنزل علىٰ محمدٍ ﷺ فتناسبت الألفاظ فكل لفظةٍ جاءت مناسبة لسياقها ولمعانيها، هذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة.

أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١) (قسط) و (أقسط) في التعبير القرآني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله –جَلَّ شأنه– في التنزيل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [سورة الجن:١٤-١٥]، وقال الله ﷻ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات:٩].

فقال في الآية الأولىٰ: ﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [سورة الجن:١٤]، وقال في الآية الثانية: ﴿ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات:٩]، فهل تتساوىٰ هذه الكلمات في التعبير القُرْآني؟ لا شك أن بينهما بَونًا شاسعًا في المعنىٰ.

فـ(القاسِط): من قَسَطَ إذا ظلم وجار وبخس الناس حقوقهم وظلم نفسه في جنب الله ﷻ؛ تقول الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة الجن:١٤]، أي: الذين أسلموا لله ﷻ والذين انقادوا لله ﷻ، ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [سورة الجن:١٤]، الذين ظلموا وجاروا في جنب الله ﷻ.

وأما (المُقْسِط): من أقسط، والفعل أقسط فيه همزة تسمىٰ عند أهل العربية «همزة الإزاحة» أي: إزاحة هذا الظلم، فـ(أقسط) يَعْنِي: أزاح هذا الظلم ونفىٰ هذا الظلم، والله ﷻ يثني علىٰ عباده ويقول: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات:٩]، والمقسطين: هم العادلون، هم الذين أقاموا العدل ونَفَوا الجور.

ونظيرٌ لهذا المعنىٰ يقول الله ﷻ في سورة إِبْرَاهِيمَ علىٰ لسان الشيطان: ﴿مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [سورة إبراهيم:٢٢]، فمن جرَّاء هذا العذاب في النار للشيطان ولأتباعه وهم يصطرخون فيها في النار يقول الشيطان: ﴿مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [سورة إبراهيم:٢٢]،

و(مُصْرِخ): من أصرخ أي لا أستطيع إزاحة هذا الصراخ عنكم ولا أنتم أَيْضًا تستطيعون إزاحة هذا الصراخ عني، فأصرخ مثل أقسط في المعنىٰ.

إِذًا كما ترون أيها الأحبة هذه الكلمات لها تعبيرٌ خاصٌ في نظم كتاب الله ﷻ، فتختلف هذه الكلمات باختلاف السياق القُرْآني، لكل كلمة شخصيتها في البيان القُرْآني، وهذا من بديع وروائع هذا الكتاب العظيم.

أسأل-الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢) ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [سورة البقرة:٩٥]

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [سورة الجمعة:٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

من جملة مزاعم اليهود في القُرْآنِ الكريم، ومن جملة افتراءاتهم: ما جاء قوله تعالىٰ في البقرة: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ [سورة البقرة:٩٤]، ثم قال الله ﷻ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾ [سورة البقرة:٩٥].

وهنالك زعمٌ آخر لليهود في سورة الجمعة بقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾ [سورة الجمعة:٦]؛ ثم قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ [سورة الجمعة:٧]، تلك من مزاعم اليهود فردَّ الله عليه وطلب منهم أن يتمنوا الموت.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما كما جاء عند أهل التأويل: «**لو تمنىٰ أحدهم الموت لمات**»، فاختلف ردُّ القُرْآن وتباين أسلوب القُرْآن باختلاف مزاعم اليهود:

- ففي الزعم الأول في سورة البقرة قَالُوا: «**إنَّ الدارَ الآخرة لنا**» كما قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ [سورة البقرة:٩٤]، فزعموا أنَّ الدار الآخرة خاصةٌ بهم من دون الناس وأنها لهم، والدار الآخرة أمرٌ مستقبلي لم يأتي بعد فنفىٰ الله ﷻ المستقبل، وجاء بأداة النفي التي تفيد نفي المستقبل فقال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾ [سورة البقرة:٩٥].

- وأما في الزعم الآخر -وهو في سورة الجمعة-: فَإنهم ادَّعوا أنهم خيرُ عباد الله وأنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم كما يقولون اليوم: «**شعب الله المختار**» فزعموا هذا الزعم بقولهم، وردَّ عليهم القُرْآن بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ [سورة الجمعة:٦].

فاختلف الرد والنفي، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الجمعة:٧]، لما زعموا أنهم أولياء لله علىٰ مدار التاريخ وأنهم أفضل شعبٍ علىٰ مدار الزمان في جميع الأزمنة ردَّ القُرْآن بأداة النفي «**لا**» التي تفيد التأبيد، وهي أقوىٰ أدوات النفي عند أهل العربية بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [سورة الجمعة:٧].

فجاء الرد بالنفي بحسب اختلاف الزعم:

- لما كان أمرًا مستقبليًا نفىٰ الله ﷻ المستقبل.

- ولما كان الزعم علىٰ مدار التاريخ نفىٰ الله علىٰ جهة التأبيد، وجاء النفي علىٰ جميع الأزمنة بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الجمعة:٧]، وهذه من جملة ادعاءات اليهود التي كثرت في القُرْآنِ الكريم.

أسأل-الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣) ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠]
﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

من جملة ما زعمت اليهود في كتاب الله ﷻ ما جاء في قول الله ﷻ في البقرة: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠]، علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في آل عمران: ﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤]، فاختلفت اليهود في هذا الزعم:

- فطائفةٌ تقول: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠].
- وأخرىٰ تقول: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤].

فما الفرق بين القولين! وهل يتساوىٰ القولان في كتاب الله ﷻ من حيث التعبير القُرْآني؟! ومن حيث الدلالة البيانية واللغة العربية؟!

أولًا: عندنا قاعدة في اللغة تقول: «**أن وصف ما لا يعقل بالمفرد أكثر منه بالجمع**»، فقول الله: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠]، أكثر بالعدد من ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤]، كما تقول: «**طُرُق مُعبَّدة**» أكثر من «**طُرُق مُعبَّدات**».

وجاء عند ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره عن قتادة قال: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠]، «**قال ذلك طائفةٌ من اليهود نُعذَّب بعدد الأيام التي ذهب بها موسىٰ إلىٰ ربه، والأيام التي عبدنا فيها العجل وهي أربعون يومًا**».

وجاء في «**فتح القدير**» عند الشوكاني عن مجاهد عند قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤]: «**قال ذلك طائفةٌ من اليهود نُعذب بعدد أيام الدنيا -يعنون أيام الأسبوع-**».

وقال ابن جماعة ﵀ كما نقل السيوطي في «**الإتقان**»: «**قال ذلك طائفتان من اليهود فزعمت الطائفة الأولىٰ أنهم يعذبون بالنار بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل يعنون أربعين يومًا**»، وهذا القول يُنزَّل علىٰ آية البقرة.

والطائفة الأخرىٰ تقول: «**نُعذَّب بالنار بعدد أيام الدنيا** -يعنون أيام الأسبوع-»، وهذا القول يُنزَّل علىٰ آية آل عمران، فلا تضادَ في كتاب الله ﷻ ولا تنافر بين آيات الله ﵎ والله ﷻ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

أسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤) ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة هود:٢٠]
﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة العنكبوت:٢٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة هود: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [سورة هود:٢٠].

وقال الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة العنكبوت:٢٢].

وقال الله ﷻ في الشورىٰ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الشورى:٣١].

تلك آياتٌ ثلاث -أيها الأحبة- يعلن الله ﷻ فيها التحدِّي لخلقه أجمعين بأنهم لم ولن يعجزوا الله كما قال الله ﷻ: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة:١٤٨].

ربما يتساءل القارئ لكتاب الله ﷻ عن سبب سِرِّ هذا الاختلاف بين هذه الآيات الثلاث!

فأقول: أنَّ في سورة هود وفي آية هود إشارةٌ للأمم السابقة السحيقة الغابرة التي سبقت أمة رسول الله ﷺ، كما جاء في أول الآية؛ يقول الله ﷻ فيها: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة هود:٢٠]، فجاء باسم الإشارة لهذه الأمم السابقة التي سبقت أمة رسول الله ﷺ؛ والتي عَرَّض بها القُرْآن الكريم قبل هذه الآية، كما قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [سورة هود:١٧]؛ فالإشارة تُشير إلىٰ الأحزاب: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [سورة هود:١٧].

وأما ما جاء في سورة العنكبوت فهو حديثٌ دار بين إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ملكِ زمانه الذي ادَّعىٰ الألوهية، والذي أوهم لشعبه أنه سيصعد إلىٰ السماء فتحدَّاه إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله

تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة العنكبوت:٢٢]، فزاد في لفظ «السماء» لأن هذا الطاغوت أوهم أنه سيصعد إلىٰ السماء.

وأما ما جاء في سورة الشورىٰ فهو خطابٌ وتحدٍّ لهذه الأمة المحمدية بقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٣١].

فلا تكرار في كتاب الله ﷻ كما ترون أيها الأحبة، ولا تضارب كما يدَّعيه المبطلون والذين افتروا علىٰ كذبًا في كتابه، والذي ما فتئوا أن يطعنوا في كتاب الله ﷻ.

أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يُنوِّر قلوبنا بالقُرْآنِ الكريم في الدنيا والآخرة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥) ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٧٩]
﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٩٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جعل القُرْآن هدىً وشفاءً للناس، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأعراف: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [سورة الأعراف:٧٩].

وقال الله ﷻ في قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأعراف: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [سورة الأعراف:٩٣]!

فقال صالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٧٩]، وقال شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٩٣]، هذه من الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ فما هي رسالة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وما هي رسالات شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

خير ما يُفسَّر به كلام الله هو القُرْآن العظيم فنفسر القُرْآن العظيم بالقُرْآنِ العظيم، وتفسير ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ حافلٌ وماثلٌ بتطبيق هذه القاعدة التي هي من أهم قواعد أهل التأويل والتفسير.

فقال الله ﷻ في شأن صالح في أول القصة: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾ [سورة الأعراف:٧٣]، هذه هي رسالة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ التي هي الناقة فبلَّغها قومه.

أما شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه الله ﷻ قال عنه في أول القصة: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [سورة الأعراف:٨٥]، فأخذ شعيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعدِّد ما أرسل به من لدن الله ﷻ، فقال لقومه: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا

تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٥-٨٦] إلىٰ آخر ما قال عليه السلام.

فهذه آياتُ شعيب عليه السلام وهذه رسالات شعيبٍ عليه السلام بلَّغها قومه وأنذر بها قومه، فكل رسولٍ أنذر قومه ما أُرسل به من لدن الله عز وجل، هذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة، جعلني الله وإياكم من أهل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦) ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]
﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جعل لنا القُرْآن ضياءًا ونورًا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ الهادي البشير نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في القُرْآن العظيم في سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣].

وقال الله ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩].

هذا حكمٌ من الله ﷻ بقتال الكفار في كل زمانٍ ومكان، وهذا الحكم باقٍ إلىٰ قيام الساعة، فقال الله ﷻ في البقرة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، هذا حكمٌ خاصٌ بكفار مكة في زمن النبي ﷺ كما هو السياق القُرْآني.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩١-١٩٣].

إِذًا هذا القتال وهذا الحكم خاصٌ بكفار مكة وبقتالهم عند الحرم، وهذا جاء عند الكرماني في «**أسرار التكرار**» وجاء أَيْضًا عند الغرناطي في «**مِلاك التأويل**».

أما ما جاء في سورة الأنفال فَإِنَّ الحكم عامٌ لقتال الكفار في كل زمانٍ ومكان، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]،

فجاء بلفظ «كُل» في الآية لأن القتال عامٌ لكل زمانٍ ومكان كما جاء أَيْضًا عند الكرماني في «أسرار التكرار» وعند غيره.

فكل آيةٍ عبَّرت لحالة قتالٍ في كل زمانٍ ومكان، فآية البقرة خاصةٌ بقتال الكفار عند الحرم، وآية الأنفال عامةٌ لقتال الكفار في كل زمانٍ ومكان.

أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل هذا حجةً لنا لا علينا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ [سورة الأعراف:٧٨،سورة الأعراف:٩١]
﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧﴾ [سورة هود:٦٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨﴾ [سورة الأعراف:٧٨،سورة الأعراف:٩١].

وقال الله ﷻ في هود: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧﴾ [سورة هود:٦٧].

فقال في الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [سورة الأعراف:٧٨،سورة الأعراف:٩١]، وقال في هود: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [سورة هود:٦٧]، والصيحة والرجفة عذابٌ عذَّب الله بهما أقوامًا سلفت وتقادم عليها الزمان كحال عادٍ وثمود، **فما الفرق بين الرجفة والصيحة؟!**

أما الرجفةُ: فهو حركةٌ واهتزازٌ للأرض.

وأما الصيحة: فهو صوت الملك إذا صاح في السماء.

والصيحة عذابٌ أوسع وأعم من الرجفة، فقد تأتي الصيحة علىٰ مناطق وديار لا تأتي عليها الرجفة، ولهذا القُرْآن الكريم:

- إذا أطلق «**الصَّيْحَة**» جمع معها «**الدَار**».
- وإذا أطلق «**الرَّجْفَة**» وحَّد معها «**الدَار**»، وهذا في جميع القُرْآن.

يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧﴾ [سورة هود:٦٧]، وقال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩٤﴾ [سورة هود:٩٤]، إذًا جمع «**الدَار**» لما قال: «**الصَّيْحَة**» لأن الصيحة قد تأتي علىٰ ديار لا تصل إليها

الرجفة؛ ولهذا قال في الرجفة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الأعراف:٧٨،سورة الأعراف:٩١].

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: «**لما صاح الملَك في السماء رجفت الأرض**»، وهذا جمعٌ بين هذه الآيات وتوفيقٌ بين هذا التشابه.

أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن يجعل هذا المجلس حجةً لنا لا علينا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨) ﴿لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩﴾ [سورة المؤمنون:١٩]

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [سورة الزخرف:٧٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول -الله تَعَالَىٰ- في التنزيل في سورة المُؤْمِنِوْن: ﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩﴾ [سورة المؤمنون:١٩].

وقال الله ﷻ في الزخرف: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [سورة الزخرف:٧٢-٧٣].

وهذا كله من نعيم الله علينا في الدنيا والآخرة، ففي آية المُؤْمِنِوْن قال الله ﷻ: ﴿لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩﴾ [سورة المؤمنون:١٩]، وقال الله ﷻ في آية الزخرف: ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [سورة الزخرف:٧٣]؛ فجاءت آية المُؤْمِنِوْن بزيادة الواو عنها في آية الزخرف، **فما الدلالة البيانية لزيادة الواو في آية المُؤْمِنِوْن؟!**

السياق في سورة المُؤْمِنِوْن يتحدَّث عن جنات الدنيا وجنات الدنيا معلومٌ أن فيها ادّخار وفيها بيعٌ وفيها صدقة وفيها إطعام وفيها أكل، والواو هنا هي واو عطف كما نصَّ عليها غير واحد من أهل اللغة منهم صاحب «**أسرار التكرار**» الكرماني ؒ فقال: «**إن هنا الواو هي واوٌ للعطف والتقدير منها تتصدقون ومنها تبيعون ومنها تأكلون وهذا يصدق علىٰ جنات الدنيا**».

أما في جنة الآخرة التي تتحدث عنها آية الزخرف، فالسياق في آية الزخرف عن جنة الآخرة، ولا شك ولا جرم أن جنة الآخرة ليس فيها ما يجري علىٰ جنات الدنيا؛ إنما هو الأكل فحسب، ولذلك قال الله ﷻ في الآية: ﴿مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [سورة الزخرف:٧٣] فحسب.

فالفرق بين الآيتين بزيادة الواو في سورة المُؤْمِنِوْن، لهذا اختلف المعنىٰ اختلافًا كبيرًا، وأصبح بينهما بونٌ شاسعٌ في هذا المعنىٰ وفي الدَلالة البيانية لهذه الواو التي جاءت في آية المُؤْمِنِوْن.

جعلنا الله وإياكم أهل القُرْآن من جنة الآخرة وأدخلنا الله ﷻ برحمته وفضله جنته إنه علىٰ ذلك قدير، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩) ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة آل عمران:٩٤]
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سورة الأعراف:٣٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في آل عمران: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٩٤].

وقال الله ﷻ في الأعراف: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الأعراف:٣٧].

الكذَّابون علىٰ الله سوف يأتون يوم القيامة بوجوهٍ معروفة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [سورة الزمر:٦٠]، جاء الكذب في القُرْآنِ الكريم بين التعريف والتنكير وتردَّد كثيرًا بين التعريف والتنكير، وما ذلك إلا لأمرٍ يقتضيه السياق وتستلزمه الدَلالة البيانية القُرْآنية.

وأما لفظ «**الكذب**» في القُرْآنِ فـ«**أل التعريف**» هنا للعهد الذهني، ومعنىٰ ذلك أن لفظ «**الكذب**» في القُرْآنِ يتناول حوادث معينة ويتناول قضايا مخصوصة يعالجها السياق القُرْآني.

وفي ذلك يقول الله ﷻ في شأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما حرَّم لحم الإبل علىٰ نفسه قال الله ﷻ في ذلك: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٩٣-٩٤]، فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ في هذه المسألة المخصوصة وهي تحريم أكل لحم الإبل من قبل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والعرب حرَّمت لحومًا مخصوصة علىٰ نفسها كما قال الله ﷻ في المائدة: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [سورة المائدة:١٠٣]، يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ في هذه المسائل التي ضمَّتها الآية وتناولها السياق القُرْآني واحتفلت بها الآيات.

وعند ابن جريرٍ رحمه الله تَعَالَىٰ في تفسيره وعند غيره: أن النبي ﷺ كان جالسًا بين أصحابه إذ قال لهم: «**يدخل عليكم الآن رجلٌ ينظر بعيني شيطان وقلبه قلب جبَّار**»، فدخل عبد الله بن نبتل المنافق فقال له النبي ﷺ: «**علامَّ تشتمني أنت وأصحابك؟**»، فحلف بالله ما فعل، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [سورة المجادلة:١٤]، يحلفون علىٰ مسألةٍ مخصوصة معينة جاء بها السياق القُرْآن.

أما لفظ «**كذبًا**» بالنكرة في القُرْآنِ فهو عامٌ لا يتناول مسائل معينة محددة ولا يتناول حوادث جاء بها السياق القُرْآني؛ إنما هو نكرة؛ ومن فوائد النكرة ومن علامات النكرة أنها تدل علىٰ العموم، ذلك أنَّ هذه النكرة جاءت في سياق الاستفهام الإنكاري، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [سورة الأنعام:١٤٤].

إِذًا هذه النكرة عامة كما هو مدلولها اللغوي، فبين الكلمتين معنىً كبير وبينهما بونٌ شاسعٌ في قضية المعنىٰ القُرْآني، فلكل لفظةٍ دلالتها البيانية ولكل لفظةٍ شخصيتها المعنوية في السياق القُرْآني.

هذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، جعل الله القُرْآن ربيع قلوبنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠) ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سورة البقرة:٤٥]
﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [سورة البقرة:١٥٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جعل لنا الصلاة نورًا وضياءًا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ الهادي البشير نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة البقرة: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سورة البقرة:٤٥].

وقال الله ﷻ في أخرىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [سورة البقرة:١٥٣].

في هاتين الآيتين يأمر الله ﷻ عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة لأنهما من أعظم الأمور الموصلة إلىٰ الله ﷻ، اختلفت الفاصلة في هاتين الآيتين فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سورة البقرة:٤٥]، فختم بالخشوع لأن السياق يتحدث عن إقامة الصلاة بخشوعٍ تام، كما قال الله ﷻ في السياق: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سورة البقرة:٤٣-٤٥].

وأعظم ما يجب علىٰ الإنسان المسلم في صلاته أن يعتني بخشوعه، وقد امتدح الله ﷻ عباده بخشوعهم بصلاتهم إذ يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [سورة المؤمنون:١-٢].

وأما ما جاء في الآية الثانية فإن الله ﷻ يقول فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [سورة البقرة:١٥٣]، هذه الآية جاءت في سياق الصبر علىٰ الفتن والمصائب والشدائد كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ

أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [سورة البقرة:١٥٤-١٥٧].

إِذًا كل آيةٍ جاءت مناسبةٌ لسياقها وملائمةً لمعاني السياق ولمعاني الآيات، ذلك من تأويل هذا المتشابه في كتاب الله ﷻ.

أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآن ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١) ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ﴾ [سورة البقرة:٦٠]
﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة في شأن بَنِي إِسْرَائِيل: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [سورة البقرة:٦٠]، علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في الأعراف: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠].

هذه الآيات من جملة ما أفاض الله ﷻ علىٰ بَنِي إِسْرَائِيل من النِعَم بعد نجاتهم من عدوهم فرعون واستقرارهم في أرض التيهِ بسيناء؛ فأكرمهم الله ﷻ، والقصة واحدة جاء بها القُرْآن الكريم من وجهين ومن حالين:

❍ فجاء بها في البقرة في سبيل التكريم لبني إسرائيل؛ ذلك أن بني إسرائيل كانوا مُطيعين لأمر موسىٰ عليه السلام ومنقادين لقيادته فأكرمهم الله ﷻ وأفاض عليهم من النعم ووسَّع عليهم في الأرزاق، فقال الله ﷻ في سياق البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [سورة البقرة:٦٠]، و«**الانفجار**» عند أهل اللغة: خروج الماء بشدة، وبعضهم قال: انشقاق الأمر بقوة، ذلك أنه ناسب التكريم لبني إسرائيل لما كانوا مطيعين لأمر موسىٰ عليه السلام.

قال الله ﷻ بعدها: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٦٠]؛ فأمرهم الله ﷻ بالشرب لأن الماء وفيرٌ من جرَّاء نِعم الله ﷻ علىٰ بني إسرائيل وذلك في سياق البقرة.

❍ وأما ما جاء في الأعراف فإنه سياق سُخطٍ وتعجيل عقوبةٍ لبني إسرائيل من قِبل الله ﷻ؛ ذلك أن بني إسرائيل عَبدوا العجلَ واتخذوه إلهًا كما قال الله ﷻ؛ ومن جرَّاء هذا ضيَّق الله عليهم في الأرزاق وعاقبهم الله ﷻ وسَخِط الله عليهم، فقال الله ﷻ فيهم في الأعراف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠]، و«**الانبجاس**»: انصباب الماء كما قال الراغب الأصفهاني في مفرداته علىٰ القُرْآن.

وهذا ناسَب السُّخط علىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ من جرَّاء عبادتهم للعجل؛ حيث خرجوا عن طاعة الله ﷻ وعن طريقه المستقيم واعترفوا بذنبهم؛ كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [سورة الأعراف:١٤٨-١٤٩].

فطلبوا الدخول في الرحمة أولاً لأنهم خرجوا عن دين الله ﷻ، فبسبب شِركهم عاقبهم الله ﷻ وضيَّق عليهم في الأرزاق، فقال الله ﷻ فيهم وفي سياقهم في سورة الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠]، وبعدها لم يذكر الله ﷻ بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٦٠]، أي: أنه لم يأمرهم بالشرب لقلة الماء بسبب شركهم وخروجهم عن طاعة الله ﷻ.

ذلك من تأويل هذه الآيات الكريمات، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا؛ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢) ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:٥٨] ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ﴾ [سورة الأعراف:١٦١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه المبين في شأن بني إسرائيل في البقرة: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [سورة البقرة:٥٨]، وقال الله ﷻ نظيرةٌ لهذه الآية في الأعراف: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾ [سورة الأعراف:١٦١].

فهذه الآيات تصف حال بني إسرائيل في سورة البقرة وحالهم في سورة الأعراف، وقد ذكرت في كلمةٍ مضت أن سياق سورة البقرة هو سياق تكريمٍ من الله ﷻ لبني إسرائيل؛ وأن سياق الأعراف هو سياق سُخط من الله ﷻ وعقاب بسبب عبادتهم للعجل.

- فقال الله ﷻ في سياق التكريم: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:٥٨].
- وقال الله ﷻ في سياق العقاب لبني إسرائيل: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ﴾ [سورة الأعراف:١٦١] **فما الفرق بين الخطايا من حيث اللغة وبين الخطيئات؟!**

يقول علماء اللغة: «**إن الكلمة العربية إذا جاء منها جمع تكسيرٍ وجاء منها جمع سالمٍ بنوعيه؛ فإن في هذه الحالة جمع التكسير يفيد الكثرة وأن جمع السالم بنوعية يفيد القلة**»، وقد ناسب سياق البقرة وهو سياق التكريم ناسب جمع الكثرة، فالله ﷻ من كرمه غفر جميع ذنوب بني إسرائيل فقال: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [سورة البقرة:٥٨]، وهذه مِنّةٌ من الله ﷻ وكرم وفضل لبني إسرائيل في البقرة.

ونظيرٌ لهذه الآية يقول الله ﷻ علىٰ لسان السحرة: ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾ [سورة الشعراء:٥١]؛ فطَمِع السحرة بمغفرة الله ﷻ وبتوبة الله ﷻ لما آمنوا

وسجدوا لله ﷻ وعرفوا الحق فقالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ [سورة الشعراء:٥١]، أي: كل الخطايا.

إذًا «**خطايا**» جمع كثرة، فناسبت مجيئها في سياق سورة البقرة إذ هو سياق التكريم كما قلت.

أما في سياق سورة الأعراف فإن الله ﷻ قال: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٦١]، و«**خطيئات**» جمع قلة، وعند النُحاة أن جمع المؤنث السالم إذا جُرِّد من «**أل**» أفاد القلة كقوله تعالىٰ: ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣]، و ﴿خُطُوَٰتِ﴾ [سورة البقرة:١٦٨]، و ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ [سورة النحل:٣٤]، و ﴿حَسَنَٰتٍ﴾ [سورة الفرقان:٧٠]، و ﴿بَقَرَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣] وأيْضًا «**خطيئات**».

فلما كان سياق السُّخط من الله ﷻ والعقاب وتعجيل العقوبة من الله ﷻ لبني إسرائيل في الأعراف بسبب عبادتهم للعجل؛ قال الله ﷻ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٦١]، فناسب هذا اللفظ سياق سورة الأعراف، وهذا من دلالة هذين اللفظين في القُرْآنِ الكريم، ومن بلاغة كتاب الله ﷻ الذي أعجز الله به فُصحاء العرب وكل من تربَّع علىٰ عرش اللغة العربية.

أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٣) (الغرور) بضم الغين وفتحها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطر السموات والأرض، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحديد:١٤]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة لقمان:٣٣]، في حين أن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

وحذَّر الله ﷻ عبادَه من إتباع الغَّرور وحذَّرهم أَيْضًا من الركون إلىٰ الغُرور؛ والكلمتان «الغُرور» بضم الغين وبفتحها جاءتا في كتاب الله ﷻ بالفتح ثلاث مرات وجاءت بالضم مرتين، وبينهما فرقٌ كبير في المعنىٰ، والسياق القرآني يشهد لهذا.

وقبل الدخول في التحليل البياني لهاتين الكلمتين لابد أن نذكر قاعدةً صوتية لُغوية لها علاقة بهاتين الكلمتين؛ والقاعدة اللغوية تقول: «**إن النطق بالضم أعظم وأوسع معنىٰ من النطق بالفتح أو بغيره**»، وعلىٰ هذا يكون «**الغُرور**» بضم الغين أوسع معنىٰ وأكثر من «**الغَرور**» بفتحها.

وجاء تفسير «**الغُرور**» بضم الغَين عند سعيد بن جبيرٍ ؒ تعالىٰ كما نقل أهل التأويل: «**أنها الدنيا بزينتها وزُخرفها وأباطيلها وملذَّاتها وكل نعيمها**»، والسياق القُرْآني يشهد لهذا كما قال الله ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد:٢٠].

وأما ما جاء في فتحها: فإن تفسير ابن عباس أقرب تفسيرٍ لهذه الكلمة بالفتح؛ إذ أنَّ ابن عباسٍ ؓ فسَّرها بأنها الشيطان؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة

لقمان:٣٣]؛ أي: الشيطان، وكما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [سورة فاطر:٥].

إذًا ثمَّة فرق كبيرٌ بين المعنيين، بين المعنىٰ بضم الغين وبين فتح الغين، وهذا هو السياق القُرْآني يشهد لهذا بآياتها وبمعانيها، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٤) ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢]
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: ١٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله؛ وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [سورة يوسف:٢٢].

في حين أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ [سورة القصص: ١٤].

فآتىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ النبوة ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في سن الأشُد؛ وآتىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ الرسالة لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سن الاستواء فما الفرق بين الحالين؟!

أما سن الأشد فهو سن ثلاثٍ وثلاثين كما جاء تفسيره عن مجاهد عن ابن عباس قال: «**هو سنُ ثلاثٍ وثلاثين**»، وعند ابن جريرٍ الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال: «**هو قوة الشباب ومنتهاه**».

إذن أعطىٰ الله وآتىٰ الله نبيَه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ النبوة في منتهىٰ الشباب وفي قوة الشباب؛ أما سن الاستواء فهو بلوغ الأربعين كما جاء عند جمعٍ غفيرٍ من المفسرين، وهذا الاستواء مظاهره كثيرة في قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [سورة القصص:١٥]، هذا مظهر من مظاهر الاستواء الذي جاء في قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأَيْضًا قال الله ﷻ علىٰ لسان إحدىٰ الفتاتين: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [سورة القصص:٢٦]، وهذا مظهرٌ آخر من مظاهر الاستواء في قصة موسىٰ عليه السلام.

إذن آتىٰ الله ﷻ الرسالة لموسىٰ وأرسل الله ﷻ موسىٰ بعد بلوغ الاستواء؛ وهو سنُ الأربعين؛ فأرسله الله ﷻ إلىٰ فرعون وقومه، فلا منافاة بين حال الرسالتين، ولا منافاة ولا تنافر بين الآيتين، ولا اختلاف بين هذه المعاني التي تتجلىٰ عند التدبر والتأمل.

أسأل الله تعالىٰ من فضله الكريم وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٢٥) (ذلك ، ذلكم) في تعبير القرآن الكريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور؛ وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في البقرة: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢]، وعلىٰ حين أن الله ﷻ يقول في الطلاق: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [سورة الطلاق:٢].

وهذه مسائل اجتماعية وعظ الله بها عباده، وجاءت الآيتان باسمي إشارة فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢]، وقال في الآية الثانية: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [سورة الطلاق:٢]، وهذه من أسماء الإشارة التي يُشار بها إلىٰ أمور.

ففي الآية الأولىٰ قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢]؛ لأن المشار إليه واحد و«**ذلك**» يُشار به إلىٰ مسألةٍ واحدة؛ كما قال الله ﷻ في الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ [سورة البقرة:٢٣١]، هذه مسألةٌ واحدة فقال الله ﷻ في الآية: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢].

ويقول الله ﷻ في أخرىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢]، فأشار إلىٰ مسألةٍ واحدة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة:٢].

وأما: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ [سورة الطلاق:٢]؛ فهو اسم إشارة غير أنه زيدت عليه الميم التي هي عند أهل العربية للجمع؛ فالميم للجمع كما قال أهل العربية؛ وإذا استقرأنا كتاب الله ﷻ وأجرينا عليه مَسْحةً سريعة وجدنا أن «**ذلكم**»؛ تأتي في سياقين في القُرْآنِ الكريم:

❍ تأتي في سياق التعظيم إذا كان المشار إليه مُعظَّمًا كما قال الله ﷻ: [﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [سورة الشورى:١٠]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥﴾ [سورة الأنعام:٩٥]، فأشار القُرْآن إلىٰ الله ﷻ ولا أعظم منه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾.

❍ أو إذا كان المشار إليه أمور متعددة وإذا ضَمَّت الآية مسائل كثيرة فإنَّ القُرْآنَ الكريم يشير بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم﴾؛ كما قال الله ﷻ في سياق بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩﴾ [سورة البقرة:٤٩]، فأشار القُرْآن إلىٰ مسائل كثيرة.

ولما تحدث الله ﷻ في سورة الأنعام عن الوصايا العشر قال من جملتها: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]، فأشار إلىٰ مسائل متعددة.

وفي الروم يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [سورة الروم:٤٠]! فأشار القُرْآن الكريم في الآية الكريمة إلىٰ مسائل متعددة.

إذن؛ صفوة الكلام: أن التعبير القُرْآني يُفرق بين اللفظين «**ذلك**» و«**ذلكم**» في سياقه وفي التعبير القُرْآني؛ وهذا من دلالة هذين اللفظين في كتاب الله ﷻ.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا؛ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٦) خالدين فيها أبدا في سياق أهل الجنة والنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في القُرْآنِ العظيم: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [سورة النساء:٥٧]، هذه الآية ترددت في القُرْآنِ العظيم إحدىٰ عشرة مرة، وهذه هي مسألة التأبيد في حق أهل الجنة وفي حق أهل النار.

فجاءت في حق أهل الجنة ثماني مرات كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [سورة النساء:٥٧].

وقوله تعالىٰ أَيْضًا في سورة البينة: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [سورة البينة:٨].

أما في حق أهل النار فقد جاءت الآية ثلاث مرات:

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ [سورة النساء:١٦٨-١٦٩].

وقوله تعالىٰ أَيْضًا في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [سورة الأحزاب:٦٤-٦٥].

إذًا هذه الآية ترددت في القُرْآنِ الكريم إحدىٰ عشرة مرة، جاءت في حق أهل الجنة ثماني مرات، وجاءت في حق أهل النار ثلاث مرات، وهذا بُشرىٰ من الله ﷻ لعبادة المُؤْمِنِيْنَ وأنَّ رحمةَ الله ﷻ سبقت غضبه.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل الجنة، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٢٧) السر البياني في قوله تعالى في التغابن (يكفر عنه سيئاته)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة التغابن: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ [سورة التغابن:٩].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ [سورة الطلاق:١١].

وهذه دعوةٌ من الله ﷻ للإيمان به وللعمل الصالح والتزوُّد من الباقيات الصالحات في هذه الدنيا، والمتأمل لهاتين الآيتين يجد زيادةً في سورة التغابن عنها في سورة الطلاق وهي قوله تعالىٰ: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [سورة التغابن:٩]، فما الموجب لهذه الزيادة؟!

في مثل هذه الزيادات بين الآيات في كتاب الله ﷻ الفيصل فيها والمتحكم فيها هو السياق القُرْآني، فلا بد من الرجوع للسياق القُرْآني ولابد من الوقوف والتأمل وإطالة النظر في السياق القُرْآني.

فأما في سورة التغابن فإنَّ الخطاب فيها للكفار كما قال الله ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [سورة التغابن:٧-٩]، فهذه دعوةٌ من الله ﷻ للكفار وترغيبٌ لهم في الدخول والإيمان بالله تعالىٰ.

أما الخطاب في سورة الطلاق فهو خطابٌ للمؤمنين فقال الله ﷻ: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سورة الطلاق:١١]، فالخطاب في سورة الطلاق للمؤمنين فلا موجب للزيادة.

فهذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ وكما قلت: أن الفيصل فيها هو السياق القُرْآني، فلابد أن نرجع للسياق القُرْآني لنجد تخريجًا لمثل هذه الزيادات، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٨) ﴿ خالدين فيها ﴾
﴿ خالدًا فيها ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابة العزيز في غير ما آيةٍ منه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة البقرة:١٦٢].

علىٰ حين أنَّ الله ﷻ يقول في آيات أُخر: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [سورة النساء:١٤]؛ فأخبر الله ﷻ بالخلود في حق أهل الجنة وحق أهل النار.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة هود:١٠٧]، فجاءت في سياق أهل الجنة وجاءت في سياق أهل النار؛ كما قال الله ﷻ في سورة هود: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة هود:١٠٥-١٠٧].

ثم قال في أهل الجنة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة هود:١٠٨]؛ وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة هود:١٠٨] في حق أهل الجنة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [سورة الحجر:٤٧]؛ مستأنسين مع بعضهم.

وأما قوله تعالىٰ في أهل النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة هود:١٠٧]؛ فهم يتحاجون في النار ويرجع بعضهم إلىٰ بعضٍ القول وكما قال الله ﷻ: ﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [سورة فاطر:٣٧]، هذا هو قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة هود:١٠٨].

أما قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [سورة النساء:١٤]؛ فقد جاءت هذه الآية ثلاث مرات في كتاب الله ﷻ، كل هذه الآيات في سياق أهل النار.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [سورة النساء:١٤].

وكما قال الله ﷻ في وعيدٍ شديد: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [سورة النساء:٩٣].

وقال الله ﷻ في سياق المنافقين في سورة براءة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ [سورة التوبة:٦٣]؛ «**خَالِدًا فِيهَا**» أي ذليلًا صاغرًا منفردًا مهانًا في النار، في سجنٍ انفرادي كما يقال اليوم، ويكفي عذابًا له أنه خَالِدًا فِيهَا لوحده كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء:١٤].

فالفاصلة في الآية أفادت إهانة هذا المخلَّد في النار الذي هو منفردًا صغيرًا ذليلًا فيها، والآيات الثلاث التي ذكرت كُلُّها جاءت في سياق الشرط كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة النساء:١٤].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [سورة النساء:٩٣]، وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ [سورة التوبة:٦٣]، وهذا الشرط زيادةً في التهديد والوعيد والنكال لأولئك المعذَّبين المخلدين لوحدهم في النار.

نسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يعيذنا من عذاب النار، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٩) ﴿فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]
﴿فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه العزيز في سورة البقرة: ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤].

في حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠].

وهاتان الآيتان كلتاهما جاءتا في سياق المرأة المتوفىٰ عنها زوجها؛ فقال الله ﷻ في الأولىٰ: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]؛ وقال الله ﷻ في الثانية: ﴿مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]، فجاء اللفظ نكرةً في الثانية ومعرفةً في الأولىٰ.

ومعلومٌ من قواعد اللغة: «أن التعريف يدل علىٰ التحديد ويدل علىٰ شيءٍ معين»؛ فقال الله ﷻ: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]، جاء تفسيرها عن مجاهد عند ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ: أنه النكاح الحلال والزواج، وهكذا جاء عند جمعٍ غفيرٍ من المفسرين.

وقال الله ﷻ في الآية: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]، فجاءت الباء هنا للمصاحبة عند أهل اللغة، وأَيْضًا هي للإلصاق، وأقرب معروفٍ للمرأة التي توفي عنها زوجها وانتهت عدتها هو الزواج، فقال الله ﷻ: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]، فجاء تفسيره بالزواج.

وأما قولة تعالىٰ في الآية الثانية: ﴿مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]، فـ﴿مِن﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]، هنا عند أهل اللغة تفيد الاستغراق، أي: هي استغراقية لجميع المعروف؛ أيَّ معروف؛ ولذلك جاء اللفظ نكرةً ﴿مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]، فيشمل أيَّ معروف، وهذه النكرة

تفيد العموم كما هي عند أهل اللغة، وجاء تفسير الآية بالتطيُّب والتزين والخروج وأيَّ معروفٍ يصدر من هذه المرأة.

فهذا تأويل هاتين الآيتين المتشابهتين التي ربما يسأل عنهما القارئ لكتاب الله ﷻ؛ وربما يحتار فيهما الحافظ للتوفيق بين هذه الآيات المتناظرة؛ أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣٠) ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١١٢]
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١٣٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور؛ وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ الهادي البشير نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [سورة الأنعام:١١٢]؛ في حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١٣٧﴾ [سورة الأنعام:١٣٧].

وهذه الآيات تبين عظمة مشيئة الله ﷻ وأن مشيئة عباده تحت مشيئته وتحت قهره وسلطانه؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة التكوير:٢٩].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

و«**المُربِّي**» و«**الربّ**»: هو الهادي للأخلاق الحميدة الفاضلة، وهو المربي لعباده ولأنبيائه وأصفيائه؛ لذلك هذا الاسم يتردد كثيرًا في القُرْآنِ الكريم في خطابات الرسل مع الله ﷻ وفي نداءات المُؤْمِنِيْنَ مع الله ﷻ.

كما قال الله ﵎: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ﴾ [سورة الأنعام:١٦١].

ويقول الله ﷻ في يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ﴾ [سورة يوسف:٣٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة آل عمران:١٩٣] وآياتٌ أُخر.

فلما كان الخطاب خاصٌ بالرسول ﷺ في الآية الأولىٰ قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

ألا ترىٰ بعدها يقول الله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١١٧﴾ [سورة الأنعام:١١٥-١١٧]؟!

أما في الآية الأخرىٰ فيقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١٣٧]، والخطاب خاصٌ بالمشركين إذا أنَّ هذا الخطاب وهذا السياق بيَّن افتراءات المشركين وزعم المشركين، كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١٣٧﴾ [سورة الأنعام:١٣٦-١٣٧].

فلما كان الخطاب موجَّهًا للكفار قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١٣٧﴾ [سورة الأنعام:١٣٧]، وهذا الاسم وهو لفظ الجلالة «**الله**» ﷻ يتردد كثيرًا في سياقات الكفار في القُرْآنِ الكريم.

بهذا يتجلىٰ معنىٰ هاتين الآيتين ويتجلىٰ أَيْضًا توجيه هذه الألفاظ المتباينة في كتاب الله ﷻ، أسأل-الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ العظيم ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣١) (الملكوت) و (الملك) في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه العزيز: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [سورة المؤمنون:٨٨].

في حين أن الله ﷻ يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [سورة آل عمران:٢٦]؛ **فتردد لفظ «المَلَكُوت» في القُرْآنِ الكريم ولفظ «المُلْك» أَيْضًا؛ فهل تتساوىٰ هذه الألفاظ في التعبير القُرْآني؟! وهل تتكافأ في مدلولها البياني في القُرْآن الكريم؟!**

لا شك أن بينهما فرقٌ كبير والسياق القُرْآني يشهد لهذا، أما لفظ «**المَلَكُوت**» فقد ورد في القُرْآنِ الكريم أربع مرات، وأما لفظ «**المُلْك**» فقد تردد كثيرًا في كتاب الله ﷻ، ولابد قبل الدخول في الكلمتين أن نبين قاعدةً لغوية تقول: «**الزيادةُ في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادةِ في المعنىٰ**».

ولفظ «**المَلَكُوت**» أكثر حروفًا من لفظ الملك، وعليه يكون أوسع معنىً وأكثر معنىٰ من لفظ «**المُلْك**»، وقد جاء تفسير «**المَلَكُوت**» عند أهل التأويل: بأنه مُلكُ السموات والأرض وما بينهما؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يملك هذا الأمر سوىٰ الله ﷻ؟ فبيده ملكوت كل شيء، فالله ﷻ هو الذي له الملكوت.

لهذا نجد هذه الكلمة في القُرْآنِ الكريم لا تُصرف إلا لله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٨٥].

وقال الله ﷻ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة يس:٨٣].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [سورة المؤمنون:٨٨]!

إذًا «**المَلَكُوت**» لا تُصرف إلا لله ﷻ وهي خاصةٌ بالله ﷻ في القُرْآنِ الكريم؛ أما لفظ «**المُلْك**» فقد تردد كثيرا في القُرْآنِ الكريم، و«**المُلْك**» مشتركٌ هذا اللفظ بين الله وبين خلقة فمَلك الملوك هو الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

وقال الله ﷻ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة غافر:١٦]، فملك الملوك هو الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة:٢-٤]، ومالك يوم الدين، فهو الله ﷻ.

ومن الناس من أتاه الله الملك في الدنيا كما قال الله ﷻ في: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، فهذا أحد ملوك الدنيا.

وكما قال الله ﷻ في شأن سليمان: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وقال الله ﷻ في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [سورة المائدة:٢٠]، قال أهل التأويل: «**ملوكًا علىٰ زوجةٍ وبيتٍ وأولاد**».

إذًا بهذا تتجلىٰ هذه المعاني وهذه الألفاظ بالرجوع إلىٰ كتاب الله ﷻ وبالتأمل والتدبر، فلا شك أن لفظ «**المَلَكُوت**» أوسع وأعم لهذا لا تأتي إلا في شأن الله ﷻ وهي خاصةٌ بالله ﷻ؛ أما «**المُلْك**» فتارةً نجده في سياق الله ﷻ وتارةً نجده في سياق الخلق؛ أسأل الله تعالىٰ أن ينور قلوبنا بالقُرْآنِ الكريم وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٣٢) ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾ [سورة البقرة:٢٣٦]
﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [سورة البقرة:٢٤١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جعل القُرْآنَ شِرعةً ومنهاجا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في القُرْآنِ الكريم: ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾ [سورة البقرة:٢٣٦]؛ في حين أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [سورة البقرة:٢٤١].

جاء عند ابن جريرٍ ﵀ تعالىٰ في تفسيره قال: «**وأولىٰ الأقوال بالصواب أن لكل مطلقةٍ متاعًا**»، فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾ [سورة البقرة:٢٣٦]، وقال في الثانية: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [سورة البقرة:٢٤١]، والمحسن هو الذي يقوم بأمر الله ﷻ علىٰ أجمل وجه ظاهرًا وباطنًا، والمتقي هو الذي يمتثل أمر الله ﷻ ويجتنب نهيه.

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾ [سورة البقرة:٢٣٦]، وهذه في المرأة التي عُقد عليها ولم يُختلىٰ بها ولم يحدث بينهما مِساس ثم طلقها فيدفع لها متاعًا إحسانًا منه وفضلًا وليس واجبًا وفرضًا.

وفي الآية الثانية قال الله ﷻ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [سورة البقرة:٢٤١]؛ وهذه في المرأة التي عُقد عليها واختليَ بها وحدث بينهما مساس ثم طلقها؛ فيدفع لها متاعًا واجبًا عليه وفرضًا واتقاءً واحترازًا من عذاب الله ﷻ.

وبهذا تجتمع هذه النصوص وتتجلّىٰ هذه المعاني والروائع القُرآنية واللطائف البيانية؛ وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ لنا نورًا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣٣) ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٤٩]
﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة:١١٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في آل عمران في شأن عيسىٰ عليه السلام: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٤٩]، في حين أن الله ﷻ يقول في المائدة: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة:١١٠]، وهذه معجزة عيسىٰ عليه السلام ذكرها الله ﷻ في المائدة وذكرها في سورة آلعمران.

وقال الله ﷻ في آل عمران: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٤٩]، فأضاف الاسمَ إلىٰ الله ﷻ وعلىٰ حين أنه قال في المائدة: ﴿بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة:١١٠]؛ فأضاف الاسم إلىٰ الضمير المتصل؛ وذلك راجعٌ إلىٰ السياقين وراجع أَيْضًا إلىٰ المتكلمَين في السورتين.

إذ أن المتكلم في آل عمران هو عيسىٰ عليه السلام يقول الله ﷻ فيه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٤٩].

إذًا لما كان المتكلم عيسىٰ عليه السلام أضاف الاسم إلىٰ الله ﷻ وقال: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٤٩]، أما في المائدة فالمتكلم هو الله ﷻ وهذا الكلام سيقَع يوم القيامة ويوم العرض الأكبر أمام الحشود الهائلة وأمام الخلائق؛ فالله يخاطب عيسىٰ عليه السلام بأمه ويخاطبه أنه عبدٌ من عباد الله سبحانه وتعالى.

فقال الله ﷻ فيه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ [سورة المائدة: ١١٠].

إذًا المتكلم في المائدة هو الله ﷻ فأضاف الاسم إليه وقال: ﴿بِإِذۡنِيۖ﴾ [سورة المائدة: ١١٠]، وبهذا تلتئم وتجتمع هذه النصوص وهذه الآيات المتشابهة، وبهذا أَيْضًا تتجلىٰ هذه الروائع القُرْآنية الفريدة، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٣٤) ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [سورة الأعراف:٨٥]
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [سورة الشعراء:١٧٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدا كثيرا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [سورة الأعراف:٨٥]، وهذا في جميع القُرْآن، في حين أن الله ﷻ يقول في آيةٍ وحيدة في الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [سورة الشعراء:١٧٦-١٧٧].

فذكر الأخوة في الآية الأولىٰ وقطعها في الآية الثانية، فما الدلالة البيانية لهذه الألفاظ في كتاب الله ﷻ ولهذه الآيات المتناظرة؟!

أما الأخوة في اللغة فتقتضي التماثل والتناظر في كل شيء:

- التماثل في الدين كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠].
- والتماثل في العمل والصَنْعة كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [سورة الإسراء:٢٧].

فإذا ذكر الله سبحانه وتعالى في القُرْآنِ الكريم قبيلة مدين نسب شعيبًا إليهم وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [سورة الأعراف:٨٥]؛ لأنه منهم وينتسب إلىٰ القبيلة، فذكر الأخوة في هذه الحالة.

وإذا ذكر عبادة القبيلة وعبادة مدين التي كانوا يعبدون فكانوا ملازمين للأيكة؛ والأيكة: هي شجرة فكانوا مصاحبين لها قطع الأخوة في هذه الحالة، لئلا يكون شعيبًا منهم ومماثلًا لهم في هذا العمل، فقال الله ﷻ في آية الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [سورة الشعراء:١٧٦-١٧٧].

وبهذا تتجلَّىٰ هذه المعاني وهذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣٥) ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [سورة الحج:٥]
﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [سورة فصلت:٣٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل إخبارًا عن الأرض: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة الحج:٥]، في حين أن الله ﷻ يقول عن الأرض أيْضًا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة فصلت:٣٩].

- فأخبر الله ﷻ في «**سورة الحج**» أن الأرض هامدة.
- وأخبر في «**سورة فصلت**» أن الأرض خاشعة، ولا شك ولا ريب أن كل كلمة جاءت مناسبة لسياقها، ولابد أن ننظر في السياق أولاً لنتأمَّل ونظفر بشيءٍ من هذا التدبُّر.

فقال الله ﷻ في الحج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [سورة الحج:٥]، و«**الهامدة**»: هي الميتة التي لا حياة فيها، والسياق في الحج يتحدث عن بعث الموتىٰ من قبورهم وعن النشور يوم القيامة، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [سورة الحج:٥] إلىٰ آخر الآية، ثم عطف الله ﷻ وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [سورة الحج:٥-٧].

إذًا السياق يتحدث عن البعث وعن النشور فقال الله ﷻ إخبارًا عن إحياء الأرض: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [سورة الحج:٥]؛ في حين أن في

سورة فصلت قال الله ﷻ: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [سورة فصلت:٣٩]، والخشوع صفة من صفات العبادة.

فأخبر الله ﷻ في سياق فصلت عن عبادة الملائكة، وأنهم لا يستكبرون عن عبادته وأنهم كما قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [سورة التحريم:٦]، وكما قال الله ﷻ عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الأنبياء:٢٠].

فقال الله ﷻ في سياق فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨﴾ [سورة فصلت:٣٧-٣٨]، والذين عند ربك: هم الملائكة الكرام، ثم عطف الله ﷻ وقال ومن آياته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [سورة فصلت:٣٩]، فأخبر بعبادة الأرض لله ﷻ، فكل كلمةٍ جاءت مناسبة لسياقها، هذا من تأويل هذه الألفاظ في كتاب الله ﷻ، أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٣٦) ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ [سورة المائدة:٣٠]
﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ [سورة يوسف:١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة المائدة: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [سورة المائدة: ٣٠]، في حين أنَّ الله ﷻ يقول في يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف:١٨].

فقال الله ﷻ في الأولىٰ: ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ [سورة المائدة: ٣٠]، وقال تعالىٰ في الثانية: ﴿سَوَّلَتْ﴾ [سورة يوسف:١٨]، وبين هذين الفعلين قدرٌ كبير في البُنية الحرفية، وكذلك بينهما قدرٌ كبير في أفعال النفس، غير أنَّ القُرْآنَ الكريم يُفرِّق بين هذين اللفظين وبين الدلالة البيانية لهذين الفعلين.

فدَعُونا نتحاكم إلىٰ كتاب الله ﷻ: يقول الله ﷻ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ [سورة المائدة: ٣٠]، عند أهل المعاجم كابن منظور في «**لسان العرب**»: «**طَوَّعَتْ**» أي: شجَّعت وهوَّنت، فما الذي شجَّعتهُ نفسهُ له؟ هو القتل كما جاء في سياق الآية.

قال الله ﷻ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة: ٣٠]، والقتل أمرٌ شاقٌ عسيرٌ صعب لدىٰ الفِطر السليمة والنفوس السويَّة، لذلك طوَّعت له نفسه هذا القتل وشجَّعته نفسه علىٰ الإقدام علىٰ قتل أخيه كما جاء في الآية.

أما «**سَوَّلَتْ**» عند أهل المعاجم؛ فالتسويل التزيين والتحبيب، فقال الله ﷻ في شأن يوسف عليه السلام: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ

﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [سورة يوسف:٩]، ثم قال أبوهم: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ [سورة يوسف:١٨]، أي: زيَّنت وحسَّنت لكم أنفسكم.

ماذا حسَّنت لهم أنفسهم؟ جاء ذكره في الآية: يخلوا لهم وجه أبيهم، قال الله ﷻ: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [سورة يوسف:٩]، هذا الذي حسَّنته لهم أنفسهم.

وجاء في قصة السامري في سورة «**طه**» قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [سورة طه:٩٦]؛ أي: زيَّنت لي نفسي، ماذا زينت له نفسه «**السامري**»؟ عند ابن جريرٍ وعند غيره: أن السامري أخذ تُرابًا من حافر الفرس الذي حمل موسىٰ عليه السلام ثم رماه علىٰ الحُلي الذي جُمع له فصار عجلًا جسدًا له خوار، قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [سورة طه:٩٦]؛ أي: حسَّنت لي نفسي.

إذن هذه الدلالة البيانية لهذين الفعلين في كتاب الله ﷻ، وهذا تثويرٌ لهذه المعاني واللطائف القرآنية البديعة، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣٧) ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢]
﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ۝١١١﴾ [سورة المائدة:١١١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة آل عمران في شأن الحواريين: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في المائدة: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ۝١١١﴾ [سورة المائدة:١١١].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢]، وقال في الثانية: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ۝١١١﴾ [سورة المائدة:١١١].

فاختلف التوكيد بين هاتين الآيتين لاختلاف السياقين في الآيتين:

- ففي السياق الأول المتكلم هو عيسىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة آل عمران:٥٢].
- والمتكلم في المائدة هو الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [سورة المائدة:١١١]، وشتَّان بين المتكلمين في هاتين الآيتين فأكَّد الحواريون لله أكثر مما أكَّدوا لرسولهم ولنبيهم عيسىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ هذا ناحية.

- ناحية أخرىٰ: أن المعنىٰ في الآيتين مختلف فقول عيسىٰ سؤال؛ كما قال الله ﷻ حكايةً عنه: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة آل عمران:٥٢]! وأما ما جاء في آية المائدة فإنَّ الله ﷻ يطلب من الحواريين الإيمان به وبرسوله.

ولا شك أن الطلب استدعىٰ توكيدًا أكثر مما استدعاه السؤال في سورة آل عمران؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ [سورة المائدة:١١١]، فلما طلب الله ﷻ من الحواريين هذا الطلب أكَّدوا في سياقهم وفي سياق الطلب أكثر مما أكَّدوا في سياق سؤال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وخلاصة الكلام وصفوة الكلام في هاتين الآيتين: أن التوكيد في القُرْآنِ يأتي علىٰ قدر الحاجة ويأتي علىٰ قدر المعاني القُرْآنية؛ هذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٣٨) ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ [سورة المائدة:١٤]
﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ [سورة المائدة:٦٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه العزيز في سورة المائدة: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [سورة المائدة:١٤]، وهذه الآية في شأن النصارىٰ، في حين أن الله ﷻ يقول في شأن اليهود: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [سورة المائدة:٦٤].

وهكذا جعل الله ﷻ العداوة والبغضاء بين طوائف النصارىٰ وأحزاب اليهود عذابًا عليهم ونكالًا إلىٰ يوم القيامة، وهذه العداوة والبغضاء بين النصارىٰ تختلف بحسب اختلاف الدلالة البيانية لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ [سورة المائدة:١٤]، ﴿وَأَلۡقَيۡنَا﴾ [سورة المائدة:٦٤] فما هي الدلالة البيانية لهذين اللفظين في كتاب الله ﷻ؟!

- أما الإغراء: فهو إلصاق الشيء بالشيء فقولك: أغريت أي: ألصقت شيئًا بشيء، فلا انفكاك بين هذين الملصقين، وهذا من الغراء المعروف، وهذه المعاني جاءت عند صاحب «**فتح القدير**» الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ وجاءت أيْضًا عند أهل المعاجم.

فالإغراء: هو إلصاق الشيء بالشيء، وهذا يَعْنِي أن العداوة والبغضاء مُلصقةٌ مُغراةٌ بين طوائف النصارىٰ فلا انفصام لها ولا انفكاك فيما بين هذه الطوائف في العداوة والبغضاء؛ والتاريخ لهذه الطائفة يشهد بهذا.

فكما قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره: «**وهكذا طوائف النصارىٰ لا يزالون مُتباغضين يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا**»، وهذا من آثار قول الله ﷻ في هذه الطائفة: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [سورة المائدة:١٤].

ومن آثار هذه العداوة والبغضاء بين طوائف النصارى: الاختلاف الواسع الذي نجده في هذه الطائفة:

- فالنصارىٰ مختلفون في ذات الله ﷻ في أقوالٍ شتىٰ كما قرَّره القُرْآن الكريم.

- والنصارىٰ مختلفون في نبيهم ورسولهم عيسىٰ عليه السلام وفي ميلاده وفي نسبه كما قرَّره القُرْآن الكريم.

- والنصارىٰ مختلفون في كتابهم كما نعلم وكما قرَّره القُرْآن الكريم وإلىٰ اليوم، وهذا من آثار هذه العداوة والبغضاء بين هذه الطوائف وبين النصارىٰ إلىٰ يوم القيامة كما قال الله ﷻ.

ومن آثار أيْضًا هذه العداوة والبغضاء: ما نجده من اختلافٍ واسع وحروبٍ طاحنة بين طوائف النصارىٰ؛ وأقرب مثالٍ: الحرب العالمية الأولىٰ والحرب العالمية الثانية وما خلَّفته من ضحايا لا حصر لها، وهذا من معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة المائدة:١٤].

أما في شأن اليهود فقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة المائدة:٦٤]؛ والإلقاء: هو الرمي دون اكتراث ودون أهمية، وهذا يعني أن الإلقاء أقل حالًا من الإلصاق، فالإلصاق هو إغراء الشيء بالشيء كما ذكرت، وأما الإلقاء فهو الرمي دون هوادة أو دون اكتراث.

وهذا يعني أَيْضًا أن العداوة والبغضاء فيما بين أحزاب اليهود أقل حالًا وشأنًا وشراسةً واختلافًا كما هو واقعٌ بين النصارىٰ:

- فلا نجد اختلافًا واسعًا بين اليهود في نبيهم موسىٰ عليه السلام.

- ولا نجد اختلافًا بين اليهود في ذات الله ﷻ كما هو حال النصارىٰ.

- ولا نجد أَيْضًا اختلافًا فيما بين اليهود في كتابهم كما هو اختلاف النصارىٰ في كتابهم المسمىٰ «**العهد الجديد**».

- وأَيْضًا لا نجد حروبًا طاحنة فيما بين أحزاب اليهود كما وقعت بيم طوائف النصارىٰ وهذه من دلالة هذين اللفظين في كتاب الله ﷻ؛ وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾ [سورة المائدة:١٤]؛ في شأن النصارىٰ، وفي شأن اليهود قال الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [سورة المائدة:٦٤].

وهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، جعلنا الله وإياكم مُتبصِّرين في كتابه، متأمِّلين فيه وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٣٩) ﴿ولا هم ينصرون﴾ ﴿ولا هم ينظرون﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في البقرة: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:٨٦]، وهذه هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ بهذا الختام.

في حين أن الله ﷻ يقول في آياتٍ ثلاث: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٢، البقرة:٨٦، آل عمران:٨٨]:

- والكفار يوم القيامة ليس لهم ناصرٌ من عذاب الله ﷻ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٢٥].
- ولا يُعطون فرصة يوم القيامة.
- ولا يُمهلون.
- وليس لهم نظرة رحمةٍ من الله ﷻ لذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٢].

واختلفت الفاصلة بين هاتين الآيتين فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:٨٦]، ذلك أن الحديث في الآية الأولىٰ جاء في سياق الحرب كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ﴾ [سورة البقرة:٨٤-٨٥].

إذًا الحديث وهذا السياق يتحدَّث ويتكلَّم عن الحرب؛ ومعلومٌ أن المحارب يريد النصر ويريد الانتصار فقال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [سورة البقرة:٨٦].

وأما قوله تعالىٰ في آياتٍ ثلاث: ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [سورة البقرة:١٦٢]؛ فإنَّ النظرَ اختلف فيه أهل التأويل علىٰ قولين:

❍ فطائفةٌ تقول: هو النظر بالعين المجردة وبالحاسَّة، ذلك أن المتحدث عنهم في سياق البقرة وآل عمران جاءوا في سياق اللعنة، وفي الحديث في لعنة الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾ [سورة البقرة:١٦١]، والذي لعنه الله كيف يُنظر إليه، هو بعيدٌ أصلًا، ولا يُنظر بالعين، وهو خارجُ رحمة الله ﷻ فقال الله ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [سورة البقرة:١٦٢].

ومثلُ هذا جاء في سياق آل عمران كما قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨﴾ [سورة آل عمران:٨٧-٨٨]، هذا قولٌ عند أهل التأويل.

❍ وطائفةٌ تقول: ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [سورة البقرة:١٦٢]؛ أي: لا يُعطون فرصة، ولا يُمهلون من عذاب الله ﷻ كما قال الله ﷻ في موطنٍ في القُرْآن: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [سورة الزخرف:٧٤-٧٥]؛ أي: لا يتوقف عنهم: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [سورة الزخرف:٧٥].

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [سورة غافر:٤٩]؛ إذًا الكفار يوم القيامة لا يُعطون فرصة ولا يُمهلون لذلك قال الله ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨﴾ [سورة آل عمران:٨٨].

وقال الله ﷻ في النحل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٨٥﴾ [سورة النحل:٨٥]، أي: لا يُعطون فرصة ولا يمهلون وليس لهم نظرة رحمةٍ من الله ﷻ يوم القيامة.

وبهذا يتبين الفرق بين هاتين الفاصلتين وتتجلَّىٰ هذه المعاني الربَّانية القُرْآنية؛ أسأل الله تعالىٰ بمنّه أن يجعل هذا حجةً لنا لا علينا، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٤٠) (رب) و (ربي)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

أحبتي أهل القُرْآن: هذه وقفةٌ يسيرة علىٰ كلمة «**الرب**» في القُرْآنِ الكريم:

- نجدها تارةً مضافةً إلىٰ ياء المتكلم.
- ونجدها تارةً أخرىٰ مقطوعةً من الإضافة ومجردةً من الإضافة.

وقبل الدخول والتفصيل في هاتين الكلمتين لابد أن نعلم أن هاتين الكلمتين من لغات العرب في الجزيرة العربية، جاء بهما القُرْآن الكريم إمعانًا في التحدي لأهل العربية.

فنجد أن الكلمة مضافة إلىٰ ياء المتكلم في سياق الخبر في القُرْآنِ الكريم وهذا تعبيرٌ عام في القُرْآنِ الكريم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [سورة يوسف:١٠٠]، هنا خبر فجاءت الكلمة مضافة إلىٰ ياء المتكلم، وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠﴾ [سورة يوسف:٥٠]، هذا خبر فجاءت الكلمة مضافة إلىٰ ياء المتكلم، وكما قال الله ﷻ: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٦٢]، هذا خبر فجاءت الكلمة مضافةً إلىٰ ياء المتكلم، وكما قال الله ﷻ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، هذا خبر فجاءت الكلمة مضافةً إلىٰ ياء المتكلم.

وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [سورة آل عمران:٥١]، هذا خبر فجاءت الكلمة مضافةً إلىٰ ياء المتكلم.

في حين أننا نجد أن الكلمة مقطوعة من الإضافة وذلك في سياق النداء في القُرْآنِ الكريم، وهذا أَيْضًا تعبيرٌ عام كما قال الله ﷻ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [سورة يوسف:٣٣]، هذا نداء فجاءت الكلمة مقطوعة من ياء المتكلم ومجردة من الإضافة.

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [سورة الفرقان:٣٠]، هذا نداء من الرسول ﷺ فجاءت الكلمة مقطوعة من النداء في السياق، مقطوعة من الإضافة في السياق.

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [سورة الزخرف:٨٨]، هذا أسلوب نداء فجاءت الكلمة مقطوعة من الإضافة في سياق الآية، وفي آياتٍ أُخر كثيرة في القُرْآنِ الكريم.

ويتبين من هذا العرض السريع أن الكلمة تضاف في سياق الخبر وتكون مقطوعةً في سياق النداء، وهذا تعبيرٌ عامٌ في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤١) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [سورة النحل:١٢٠]

معاني الأمة في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في وصف خليله ونبيه إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النحل:١٢٠]، فوصف الله ﷻ نبيه ونعته وأثنىٰ عليه بهذا الوصف بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [سورة النحل:١٢٠].

و«**الأمة**» جاءت في القُرْآنِ الكريم علىٰ أربعة معاني:

- منها الرجل الإمَام المخبت المطيع لله ﷻ كما عند أهل التأويل، وكما جاء هذا المعنىٰ في وصف الله ﷻ لنبيه إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [سورة النحل:١٢٠]؛ أي: مُطيعًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

- ومن معاني «**الأمة**» في القُرْآنِ الكريم: الجماعة من الناس والقوم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [سورة القصص:٢٣]، أي: جماعةً من الناس، وكما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، أي: في كل قوم.

- ومن معاني «**الأمة**» في القُرْآنِ الكريم: الدين والملة، كما قال الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [سورة الزخرف:٢٢]؛ يَعْنِي: علىٰ دين؛ ومن هذا المعنىٰ قول النابغة الذُبياني يعتذر للنعمان ابن المنذر:

«**حلفت فلم أترك لنفسي كريبةً وهل يأثمن ذو أمةٍ وهو طائعُ**»، يَعْنِي: ذو دين.

❍ ومن معاني «**الأمة**» في القُرْآنِ الكريم: هي الفترة الزمنية والحُقبة كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف:٤٥]؛ أي: بعد زمن وفترة، وكما قال الله ﷻ في هود: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ [سورة هود:٨]؛ أي: بعد فترةٍ زمنية، وبعد حين.

إذًا هذه معاني «**الأمة**» في القرآن الكريم جاءت عند غير واحد من أهل التأويل، جعلنا الله وإياكم متأمّلين في كتابه مُتبصّرين فيه متدبّرين له، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٤٢) (الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون) في المائدة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الحق ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤].

في حين أن الله ﷻ يقول في ثانية: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [سورة المائدة:٤٥].

وقال الله ﷻ في ثالثة: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [سورة المائدة:٤٧].

وقد جمع العُلَمَاء بين هذه الآيات المتناظرة في سورة المائدة، فقَالُوا: إن الآية الأولىٰ نزلت في المُسْلِمِيْن بدلالة قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤].

وأما الآية الثانية فقد نزلت في اليهود كما قال الله ﷻ فيها: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ [سورة المائدة:٤٥]؛ أي في التوراة: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [سورة المائدة:٤٥]؛ ثم قال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [سورة المائدة:٤٥].

وأما الآية الثالثة فقد نزلت في النصارىٰ كما قال الله ﷻ فيها: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ [سورة المائدة:٤٦]، ثم قال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [سورة المائدة:٤٧]، وهذا ذكره الكرماني في «**أسرار التكرار**».

وهنالك قولٌ آخر: وهو أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافرٌ ظالمٌ فاسق كما قال العُلَمَاء، وذلك جمعٌ لهذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٣) رسم المصحف في لفظ (الميعاد)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ يسيرة أحبتي أهل القُرْآن علىٰ رسم المصحف، حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [سورة آل عمران:٩]، وبالنظر والاستقراء والتدبر لكتاب الله ﷻ نجد أن لفظة «**الميعاد**» ترددت في القُرْآنِ الكريم ست مرات علىٰ رسمين:

- فجاءت بالرسم الكامل خمس مرات.
- وجاءت بالرسم الناقص مرةً واحدة.

وإذا رجعنا إلىٰ كتاب الله ﷻ وجدنا أن الرسم الكامل جاء وصفًا لميعاد الله ﷻ، وأن وعد الله حقٌ سوف يتم ولن ينقص، ويقول الله ﷻ في ذلك: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [سورة الزمر:٢٠]؛ وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾ [سورة آل عمران:٩].

فوعد الله كاملٌ لن ينقص ووعد الله ﷻ عباده بذلك، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ [سورة إبراهيم:٤٧]، وهذا تناظرٌ في اللغة بين الرسم وبين معنىٰ الكلمة، فالرسم كاملٌ والمعنىٰ كاملٌ لن ينقص وبهذا يتبين لنا أن رسم المصحف وضع لدلالةٍ بلاغيةٍ اعتنىٰ بها السياق القُرْآني.

وأما الرسم الناقص فقد جاء وصفًا لميعاد البشر كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ [سورة الأنفال:٤٢]، فميعاد البشر يعتريه النقص من أي جانب، لهذا جاء الرسمُ ناقصًا وصفًا لميعاد البشر وهذا تناظرٌ أَيْضًا في اللغة بين اللفظ وبين المعنىٰ.

وبهذا يتجلىٰ لنا مثل هذه الألفاظ في كتاب الله ﷻ ونعلم علم اليقين أن رسم المصحف وضع لدلالةٍ بيانيةٍ يهتم بها السياق القُرْآني، هذا من جمال اللفظ في كتاب الله ﷻ، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٤) معاني «اللسان» في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ يسيرة حول معاني كلمة «اللسان» في القُرْآنِ الكريم، حيث جاء لها ثلاثةُ معانٍ في كتاب الله ﷻ:

❍ فمن معاني «اللسان» في القُرْآنِ الكريم: هو آلة النُطق وآلة الكلام والجارحة، كما قال الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [سورة القيامة:١٦]؛ وكما قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [سورة البلد:٨-٩].

❍ ومن معاني اللسان في القُرْآنِ الكريم: الذِكر الحسن والسيرة العطرة والثناء، كما قال الله ﷻ علىٰ لسان خليله إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٤]، أي: ذكرًا حسنًا بين الأمم وبين الخلائق يوم القيامة.

❍ ومن معاني اللسان في القُرْآنِ الكريم: هو اللهجة واللغة كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم:٤] أي: بلغة قومه؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٥]؛ أي: بلغةٍ عربية.

فهذه ثلاثة معاني ذكرها أهل العلم حول كلمة «اللسان» في القُرْآنِ الكريم واحتواءً من القُرْآنِ الكريم للغة العربية، أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٥) (وبئس مثوى الظالمين) (فبئس مثوى المتكبرين)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في آل عمران: ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [سورة آل عمران:١٥١].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة النحل: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ [سورة النحل:٢٩].

وقال الله ﷻ في الزمر وغافر: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [سورة الزمر:٧٢]، ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ [سورة غافر:٧٦].

وختم الله ﷻ في سورة آل عمران بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [سورة آل عمران:١٥١]، ذلك أن سياق سورة آل عمران يتحدث عن مشركين، كما قال الله ﷻ: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٥١].

ومعلومٌ أن أعلىٰ درجات الظلم هو الشرك كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، فلما تحدثت الآية عن مشركين ختم الله ﷻ بلفظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [سورة آل عمران:١٥١] وقال: ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [سورة آل عمران:١٥١].

أما في بقية الآيات فالسور تتحدث عن الذين استكبروا عن آيات الله، كما قال الله ﷻ في النحل: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [سورة النحل:٢٢-٢٤].

إِذًا الآية تتحدث عن الذين استكبروا عن آيات الله فقال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [سورة النحل:٢٩].

وأما في سورة الزمر وغافر فالسياق أَيْضًا يتحدث عن المتكبرين عن آيات الله، كما قال الله ﷻ في سورة الزمر: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ [سورة الزمر:٥٩]، فختم الله ﷻ بلفظ ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [سورة الزمر:٧٢]؛ في نهاية السياق.

وأما في غافر فالسياق أَيْضًا يتحدث عن الذين تكبروا عن آيات الله، كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [سورة غافر:٦٩-٧١]، ثم قال الله ﷻ في نهاية السياق ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ [سورة غافر:٧٦]، هذا من ناحية.

ناحية أخرى: أن آية النحل انفردت بزيادة اللام بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٢٩﴾ [سورة النحل:٢٩]، وذلك أن الذين في «**النحل**» ضلوا أنفسهم وضلوا آخرين كما قال الكَرماني في «**متشابه القُرْآن**».

وقال الله ﷻ عنهم: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [سورة النحل:٢٥]، فلما ضلوا أنفسهم وضلوا آخرين جمعوا ضلالتين فزيدت عليهم اللام، واللام هنا للتوكيد، زيادةً عليهم وعذابًا وخزيًا لهم.

أما الذين في سورة آل عمران وبقية السور فلم يأتي هذا المعنىٰ في سياقاتهم فانفردت آية النحل بزيادة اللام كما ترون، وهذا من عظمة التعبير القُرْآني وبهذا تتجلىٰ هذه المعاني الرائعة وتجتمع هذه الآيات المتناظرة، أسأل-الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٥١]
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة الزخرف:٦٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في شأن عيسىٰ عليه السلام في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [سورة آل عمران:٥١].

وقال الله ﷻ في مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [سورة مريم:٣٦].

في حين أن الله ﷻ يقول في ثالثة في الزخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾ [سورة الزخرف:٦٤].

وهذه الآيات من تمام كلام عيسىٰ عليه السلام، وعيسىٰ عليه السلام يقرر في نفوس أنصاره أن الإله الحق هو الله ﷻ، وأن الله هو الذي يجب أن تصرف له جميع أفعال العباد.

وإذا رجعنا إلىٰ هذه الآيات الثلاث وجدنا أن آية الزخرف تفضَّلت وانفردت بزيادة ضمير الفصل «**هو**»، ونقرر أولًا قاعدةً لغوية عند أهل العربية تقول: «**أن ضمائر الفصل في القُرْآنِ الكريم عند النُحاة هي صلة وعند أهل البيان تأتي للتوكيد**»، فكل ما يقوله النُحاة من صلة يكون عند أهل البيان للتوكيد.

وإذا رجعنا إلىٰ الآيات الثلاث وجدنا أن آية آل عمران جاءت في سياق الحديث عن معجزة عيسىٰ عليه السلام، كما قال الله ﷻ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [سورة آل عمران:٤٩].

وأما السياق في سورة مريم فإنه في الحديث عن كلام عيسىٰ عليه السلام في المهد، كما قال الله ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [سورة مريم:٣٠-٣٢].

وأما الحديث في سورة الزخرف فَإِنه جاء لمسألةٍ كبيرة عظيمة وهو: اتخاذ عيسىٰ إلهًا يُعبد من دون الله، كما قال الله ﷻ في سياق الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [سورة الزخرف:٥٧-٥٨].

ثم بين الله ﷻ حقيقة عيسىٰ عليه السلام بأسلوب الحصر والقصر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [سورة الزخرف:٥٩]، ثم قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾ [سورة الزخرف:٦٣-٦٤].

فأكَّد عيسىٰ عليه السلام بضمير الفصل «**هو**»: «**أن الإله الحق هو الله ﷻ وأنه هو الذي يجب أن تصرف له جميع أفعال العباد**»، فجاء بضمير الفصل للتوكيد علىٰ هذه المسألة المهمة فقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾ [سورة الزخرف:٦٤].

وبهذا تتجلىٰ هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، ونعرف الدلالة البيانية لضمير الفصل الذي تفردت به آية الزخرف عن بقية الآيات، جعل الله ﷻ القُرْآنَ شافعًا لنا يوم القيامة، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٤٧) لم يقل موسى وإبراهيم ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الشعراء: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [سورة الشعراء:١٠٩]، هذه الآية وردت في جميع قَصَص الأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة الشعراء سوىٰ النبيين الكريمين موسىٰ وإِبْرَاهِيم -عليهما السلام-.

فموسىٰ عليه السلام لم يقل لفرعون: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [سورة الشعراء:١٠٩]، ذلك أن موسىٰ تربىٰ في قصر فرعون وفي كنف فرعون، وفرعون نفسه ذكَّر موسىٰ بأنه وليد نعمته كما قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ [الشعراء: ١٨]! مع أن موسىٰ عليه السلام مُنزّهٌ عن طلب الأجرة من فرعون ومن غيره، فتأدبًا مع فرعون لم يقل موسىٰ هذا القول له.

وأما إِبْرَاهِيم عليه السلام فلم يقل لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [سورة الشعراء:١٠٩]، لأن من جملة المخاطبين في قومه هو أبوه، فلم يقل ذلك تأدبا واحترامًا وسمعةً لأبيه، فلم يقل هذا القول لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ [سورة الشعراء:١٠٩].

وبهذا يتبين السر البياني والمعنوي لعدم ورود هذه الآية في سورة الشعراء في قصة موسىٰ وقصة إِبْرَاهِيمَ مع قومه؛ وهذا من إحكام كتاب الله عز وجل، أسأل-الله تَعَالَىٰ- أن يجعلنا متأملين متدبرين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٨) ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١]
﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝٩٧﴾ [سورة يوسف:٩٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١].

في حين في أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [سورة يوسف:٩٧].

وهاتان الآيتان من تمام كلام إخوة يوسف في سورة يوسف، فقالوا لأخيهم: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١]، وقالوا لأبيهم: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [سورة يوسف:٩٧]، فأكدوا في الخطاب لأبيهم ما لم يؤكدوه لأخيهم وذلك لأمرين اقتضاهما السياق القُرْآني:

❍ الأول: أنهم لا يرون مزيّةً ولا فضلًا ليوسف عليهم لذلك لم يؤكدوا في الخطاب بل قَالُوا: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١]، وأما لما خاطبوا أباهم أكَّدوا في الخطاب لمقام الأب عندهم.

❍ والثاني: أنهم فعلوا بيوسف ما فعلوا، فلما رأوا ما انتهىٰ إليه يوسف من السؤدد والشرف، وأن أصبح عزيز مصر لم يَدْعُهم هذا إلىٰ الاعتراف بالخطيئة ولا للتوكيد في خطابهم بل قَالُوا: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١]، أما لما رأوا ما حلَّ بأبيهم من العمىٰ وفقد عينيه وطول الحزن انكسروا بين يدي أبيهم واعترفوا بخطيئتهم وأكَّدوا في خطابهم وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [سورة يوسف:٩٧].

وصفوة الكلام في هذا المقام: أن التوكيد القُرْآني يأتي علىٰ قدر الحاجة، وأن له دلالة بيانية يقتضيها السياق القُرْآني وأن له ثُقلًا في المعنىٰ القُرْآني، وهذا من لطائف كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٤٩) ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ [سورة غافر: ٢٤]
﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل الفرقان علىٰ عبده ليكون للْعَالَمِينَ نذيرًا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة غافر: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾ [سورة غافر: ٢٣-٢٤].

في حين أن الله ﷻ يقول في العنكبوت: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٩].

فقَدَّم الله ﷻ في سورة غافر «فرعون» علىٰ «قارون»، وقَدَّم في سورة العنكبوت قارون علىٰ فرعون، والكلمة المُقدَّمة في القُرْآنِ الكريم لها العناية ولها الاهتمام والتركيز، والقُرْآن الكريم يُقدِّم ما هو ببيانه أعلىٰ، يعرف هذا كل من أوتي حظًا من علم العربية.

وقَدَّم الله «فرعون» في سورة غافر لأن الحديث في سورة غافر عن رسالة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾ [سورة غافر: ٢٣-٢٤]؛ ومعلومٌ أن المعني بالدرجة الأولىٰ في رسالة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو فرعون فقَدَّمه الله ﷻ عنايةً به واهتمامًا به.

وأما في سورة العنكبوت فقَدَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «قارون» لأمورٍ من أهمها:

- أولًا: «قارون» هو ابن عمِ موسىٰ كما جاء عند ابن جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره، والله ﷻ يُسلِّي النبي ﷺ بأذىٰ قريش وأذىٰ قرابته وأذىٰ أبناء عمِّه بمكة فذكر:

- أذىٰ «قارون».

- واستكبار «قارون».

- وطغيان «قارون» في قوم موسىٰ علىٰ موسىٰ وقومه، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [سورة القصص:٧٦].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [سورة العنكبوت:٣٩]، وهذا ذكره الألوسي في «روح المعاني».

❍ ومن أهم تقديم «قارون» في السياق: أن الله ﷻ يتحدث ويتكلم عن المستبصرين، كما قال الله ﷻ قبلها: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ [سورة العنكبوت:٣٨]، وأشد المستبصرين من قوم موسىٰ هو قارون فقدَّمه الله ﷻ في الآية وعطف وقال: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ [سورة العنكبوت:٣٩]، هذا ناحية.

❍ ناحية أخرىٰ: أن الله ﷻ لما ذكر المعذبين بعد هذه الآية قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ وهم: عاد؛ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ وهم: ثمود ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ وهو: قارون ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠]؛ وهو: فرعون.

فجاء علىٰ الترتيب في السياق في سورة العنكبوت، هذا من تأويل التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين؛ أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٠) ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]

﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [سورة البقرة:١٨٧].

في حين أن الله ﷻ يقول: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

وكلتا هاتين الآيتين في البقرة، وحدود الله ﷻ علىٰ ضربين:

- حدودٌ تمنع خارجها من الدخول فيها: وهذه هي المنهيات ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧].
- وحدودٌ تمنع من كان فيها من الخروج منها: وهذه هي الأوامر ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

وقال صاحب «**أسرار التكرار**»: «**وما كان من أمرٍ أُمر المسلم بعدم تجاوزه، وما كان من نهيٍ أُمر المسلم بعدم القُرب منه**».

وإذا رجعنا إلىٰ الآيات المعنية بهذه الوقفة فإن الآية الأولىٰ يقول الله ﷻ فيها: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، وهذه الآية نهي كما قال الله ﷻ في حال الاعتكاف: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧].

فلما فصَّل الله ﷻ في مسألة الصيام ومسائل الاعتكاف نهىٰ الله ﷻ عن قُرب النساء في الاعتكاف، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]؛ وهذا نهيٌ فأمر الله ﷻ بعدم القُرب منه وحظر الله ﷻ هذا الأمر وقال: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧].

وهذا له نظائر في القُرْآنِ الكريم، فَإِذا نهىٰ الله ﷻ نهىٰ عن القرب عن هذا الأمر، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء:٤٣]، وهذا نهيٌ عن القُرب فضلًا من الوقوع فيه.

وقال الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]، وهذا نهيٌ عن القُرب.

وقال الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥١].

وأما الآية الثانية فَإِنها في مسألة الطلاق ومسائل النكاح، فلم فصَّل الله ﷻ في مسألة الطلاق الرجعي وما يباح من هذا الطلاق قال الله ﷻ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

وحدود الله ﷻ الممتثل لها أوجب الله له الجنة، والواقع فيها أوجب الله له النار، كما قال الله ﷻ في سورة النساء -بعدما فصَّل في مسألة الإرث-: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [سورة النساء:١٣-١٤].

وصفوة الكلام في هذه الوقفة أن حدود الله على ضربين:

- نواهٍ.
- وأوامر.

فالنواهي: نهىٰ الله ﷻ عن القُرب منها فضلًا عن الوقوع فيها.

وأما الأوامر: فأمر الله ﷻ بعدم تجاوزها.

وهذا من تأويل هاتين الآيتين، أسأل-الله تَعَالَىٰ- أن يجعلنا مما يستمع إلىٰ القول فيتبع أحسنه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٥١) الفرق بين الفعلين (ليقولنّ) بضم اللام وفتحها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [سورة هود:٨].

في حين أن الله ﷻ يقول فيها أيضًا: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ [سورة هود:١٠].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨].

وقال في الثانية: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [سورة هود:١٠].

ويكثر السؤال عن هذين الفعلين وعن الفرق بينهما!

فأقول: أن بين هذين الفعلين فُروقات وبينهما عوامل مشتركة:

فمن العوامل المشتركة:

- أن كلا الفعلين مضارعان.
- ومن العوامل المشتركة أيضًا: أن كلا الفعلين دخلت علية أدوات التوكيد، اللام في أوله ونون التوكيد المتصلة المشدَّدة في آخره.

• ومن الفروقات بين هذين الفعلين:

- أن قوله تعالىٰ: ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨]، القائل هنا جمع، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [سورة هود:٨]، فالقائل هنا جمع.
- أما قوله تعالىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [سورة هود:١٠]، فالقائل مفرد كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾ [سورة هود:١٠].

- ومن الفروقات بين الفعلين أن:

- ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨] أصْلُه «يقولون» ثم اتصلت فيه نون توكيد الثقيلة فحُذفت منه نون الفعل الأصلية، ثم التقىٰ ساكنان نون التوكيد الثقيلة مع واو الجمعة في الفعل فحُذفت الواو لالتقاء الساكنين فأصبح الفعل: ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨].

- وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [سورة هود:١٠] فهو في أصله «يقول» اتصلت فيه نون التوكيد الثقيلة فأصبح الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ [سورة هود:١٠].

- ومن الفروقات وهو فرقٌ نحوي:

- أن قوله تعالىٰ: ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨]، هو فعلٌ مُعرب، وإنما هو فعلٌ من الأفعال الخمس «يقولون».

- أما قوله تعالىٰ: ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ [سورة هود:٨]، فهو فعلٌ مبني اتصلت فيه نون التوكيد الثقيلة فبُني الفعل علىٰ الفتح.

وهذا الفعل له نظائر في القُرْآنِ الكريم كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [سورة العنكبوت:٣]، وقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ٧١﴾ [سورة طه:٧١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الحج:٦٠]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ [سورة آل عمران:٨١].

وهنالك أمثلةٌ أخرىٰ في القُرْآنِ الكريم، هذا هو الفرق بين هذين الفعلين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٢) (هم الأخسرون) (هم الخاسرون)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في هود: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة هود:٢٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة النحل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة النحل:١٠٩].

والخسارة في اللغة: هي النقص، فإذا نقص الإنسان مالًا أو ولدًا أو غير ذلك فإنه يعتبر خاسرًا؛ والخسارة كل الخسارة أن يأتي الإنسان يوم القيامة وقد خسر جنة الله ﷻ، والله ﷻ أقسم أن الإنسان يوم القيامة سوف يأتي خاسرًا كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة العصر:١-٢]، ثم استثنىٰ الله وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة العصر:٣].

وبين هاتين الفاصلتين في قول الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [سورة هود:٢٢]، و﴿ٱلْخَاسِرُونَ﴾ [سورة النحل:١٠٩]، بينهما تفاوتٌ كبير في حجم الخسارة، والذي يحدد هذا التفاوت وهذا الحجم في الخسارة هو الدلالة اللغوية لهاتين الكلمتين والدلالة البيانية.

فدعونا نرجع إلىٰ هاتين الكلمتين وإلىٰ دلالتهما اللغوية:

أما ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: فهو جمعٌ لاسم التفضيل «**الأخسر**»: دخلت عليه أل التعريف فنال أقصىٰ درجات التفضيل، يقول علماء اللغة: «**أن اسم التفضيل إذا عُرِّف بـ أل ينال أقصىٰ درجات التفضيل، وعندها لا يذكر معه المفضل عليه لأنه لا قيمة له في ذكره**».

وأما ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: فهوا اسم فاعل، جمعٌ لاسم الفاعل «**الخاسر**» ولا شك ولا ريب أن بين هاتين الكلمتين تفاوتٌ كبيرٌ في الخسارة، والسياق القُرْآني يشهد لهذا، فدعونا نرجع إلىٰ سياق هاتين الآيتين في سورة هود وفي سورة النحل.

يقول الله ﷻ في الذين ذكرهم في هود: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ [سورة هود:١٨]؛ ولا أعظم من أن يكذب الإنسان علىٰ ربه: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [سورة هود:١٨-١٩].

فأكَّد الله ﷻ عليهم بضمير الفصل وقال: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾[هود: ١٩]، ثم وصفهم الله ﷻ وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ [سورة هود:٢٠].

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ [سورة هود:٢٠]؛ وهذا بسبب جُرمهم، ثم وصفهم الله ﷻ وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [سورة هود:٢١]؛ فهل بعد خسارة النفس من خسارة؟ قال الله ﷻ فيهم: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢﴾ [سورة هود:٢٢]، فوصفهم الله ﷻ باسم التفضيل الذي نال أقصىٰ درجات التفضيل في الصفة.

أما الذين في سورة النحل فغاية أمرهم أن الله ﷻ قال فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ [سورة النحل:١٠٧-١٠٩].

ولا تتساوىٰ هذه الكلمات فـ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ أكثر خسارة من الخاسرين، والسياق القُرْآني يشهد بهذا، فقال الله ﷻ في الطائفتين: ﴿لَا جَرَمَ﴾ [سورة النحل:١٠٩]، و«**لا**»: هنا صِلة عند أهل

النحو، وأما عند أهل البيان فتفيد التوكيد، فأكَّد الله ﷻ خسارتهم وقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ [سورة النحل:١٠٩]، أي: ثبت.

ومعنىٰ «جَرَمَ» أي: ثبت؛ عند سيبويه وعند غيره، ثبت أنهم في الآخرة هم الأخسرون وهم الخاسرون، وهذا من الدلالة البيانية لهاتين الصفتين، أسأل -الله تَعَالَىٰ- بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٣) ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧١] ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الكهف: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧١].

في حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧٤].

فقال في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧١].

وقال في الثانية: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧٤].

وقد أسلفت القول: بأن الفاصلة القُرْآنية تخدم الآية وتُتِم معنىٰ الآية وهي مكملةٌ للآية؛ فما معنىٰ الإمر وما معنىٰ النكر؟

جاء في «**متشابه القُرْآن**» عند الكَرماني قال: «**والإمر: هو العَجَب الذي يكون في الخير والشر؛ وأما النُكر فهو ما تُنكره العقول السليمة**».

وعند ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ في تفسيره عن قتادة قال: «**والنُكر أشد من الإمر**»، وإذا ولَّينا أنظارنا نحو الآيتين وجدنا أن الله ﷻ يتحدث في الآية الأولىٰ عن خرق السفينة حيث يقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧١]، ومع أنه خرق السفينة إلا أنها لم تغرق لذلك قال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝﴾ [سورة الكهف:٧١]؛ أي: شيئًا عجبًا.

وأما في الآية الثانية: فقد قال -الله تَعَالَىٰ-: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ [سورة الكهف:٧٤]، والقتل بحد ذاته تُنكره العقول السليمة، لذلك قال الله ﷻ في الفاصلة: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا ٧٤﴾ [سورة الكهف:٧٤].

فكل فاصلةٍ جاءت منسجمة مع معاني آيتها، وبهذا تتجلّىٰ هذه اللطائف القُرْآنية والروائع الربَّانية في هاتين الآيتين، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٤) ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ [الكهف: ٧٢]
﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾ [سورة الكهف:٧٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الكهف: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف: ٧٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الكهف:٧٥].

وذلك في الوقائع والأحداث التي وقعت أمام مرأىٰ ومسمع من موسىٰ عليه السلام من قِبل الخضر، وعند أهل اللغة أن لفظ «**لك**» يُزاد في الخطاب إذا كان السياق يحمل لومًا وتثريبًا وعِتابًا.

ومعلومٌ أن قتل الغلام أمام موسىٰ كان أشد غرابةً من سابقه، فقال موسىٰ عليه السلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الكهف:٧٤]، ثم ردَّ الخضر عليه السلام بلومٍ وعتابٍ لموسىٰ وقال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الكهف:٧٥]، فلامَه ووبَّخه وعاتبه علىٰ عدم صبره في هذه الأحداث.

ونظير ذلك في كتاب الله ﷻ في سورة الأعراف حيث يقول الله ﷻ لآدم لما أكل من الشجرة وعصىٰ ربه فقال الله له: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٢]، فانظر إلىٰ تكرار لفظ «**لكما**» فيه لومٌ وعِتابٌ وتثريب وتوبيخ من الله ﷻ بعِصيان آدم لما أكل الشجرة.

ونظير هذا أَيْضًا في سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما لام يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أبنائه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ [سورة يوسف:٩٦].

وأَيْضًا نظير ذلك ما جاء في سورة القلم من قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨﴾ [سورة القلم:٢٨].

إذًا تُزاد لفظ «**لك**» في الخطاب أو «**لكم**» إذا كان السياق يحمل تثريبًا ولومًا وعتابًا، وهذه آيات الله ﷻ ماثلةٌ شاهدةٌ بهذه المعاني؛ أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٥) (حيث) و (من حيث) في تعبير القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في يوسف: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف:٥٦].

في حين أن الله ﷻ يقول فيها أيْضًا: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ [سورة يوسف:٦٨].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿حَيْثُ﴾ [سورة يوسف:٥٦].

وقال في الثانية: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ [سورة يوسف:٦٨].

وهل تتكافئ مثل هذه التعبيرات في كتاب الله ﷻ؟!

ما الفرق بين هذين التعبيرين في الأساليب القُرْآنية؟

لابد أولًا أن نُعطي تعريفًا سريعًا نحويًا لكلمة «**حيث**» في العربية: فأما «**حيث**» فهي ظرف مكانٍ باتفاق عند جميع النُحاة، وهي مبنيةٌ علىٰ الضم دائمـًا وملازمة للإضافة.

وإذا دخلت «**مِنْ الجارَّة**» علىٰ «**حيث**» تفيد التحديد لهذا الظرف وتفيد التقييد لهذا الظرف؛ وإذا خلت «**حيث**» من حرف الجر وجاءت مجردةً من حرف الجر فإنها تفيد عندئذٍ الإطلاق في الظرف؛ ولعلنا نأخذ جولةً سريعة في كتاب الله ﷻ لنرىٰ مدىٰ هذه الدلالة البيانية لهذين الأسلوبين:

يقول الله ﷻ في يوسف: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف:٥٦]، أي يتصرف فيها كيفما يشاء، وهذا كرمٌ من الله ﷻ لنبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

جاء عند ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن السُّدِّي قال: «**يتصرَّف فيها كيف يشاء**»، وهذا من كرم الله ﷻ كما قلت: ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذًا هنا «حيث» تفيد الإطلاق، فلم يحدد الله ﷻ هذا التصرف، إنما أطلقه لنبيه يوسف عليه السلام، ويقول الله ﷻ في «طه» في شأن الساحر: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [سورة طه:٦٩].

جاء عند صاحب «أضواء البيان» قال: «نفىٰ جميع الفلاح للساحر»، وأكَّد علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [سورة طه:٦٩]؛ إذًا: الساحر مهما فعل من عمل لا يفلح فيه، وهذا في الدنيا والآخرة كما جاء عند غير واحد من أهل التفسير.

وأما قول الله ﷻ: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ [سورة يوسف:٦٨]، فهنالك أساليب كثيرة في القُرْآنِ وآياتٌ كثيرة في القُرْآنِ جاءت بهذا الظرف حيث يقول الله تبارك وتعالى في يوسف: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة يوسف:٦٨].

فيعقوب عليه السلام لما أرسل أبناءه قال لهم: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [سورة يوسف:٦٧]، إذًا لمَّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الجهة التي قصدها أبوهم، ففيه تحديد في قول الله ﷻ: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ [سورة يوسف:٦٨]، لأن «مِنْ» هنا ابتدائية.

ويقول الله تبارك وتعالى أيْضًا في سورة البقرة في شأن آدم عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]، وهذا يفيد الإطلاق.

في حين أن الله ﷻ قال عن آدم في سورة الأعراف لما عصاه آدم وأكل من الشجرة: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]، فقيَّد له الأكل بسببِ وجرَّاء ما فعله آدم من معصية الله ﷻ.

إذًا لما يكون الأسلوب «مِنْ حَيْثُ» ففيه تقييد وفيه تحديدٌ للجهة كما قال الله ﷻ عن الشيطان: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:٢٧]، أي: من الجهة التي لا يمكن تحديدها ولا يمكن أن تعلموها.

ويقول الله ﷻ: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾ [سورة الأعراف:١٨٢]، أي: من جهةٍ لا يعلمونها ولا يعرفونها ولا يتوقعونها أصلًا.

خلاصة هذه الوقفة السريعة أحبتي أهل القُرْآن: أن «**حيث**» و«**من حيث**» أسلوبان في القُرْآنِ الكريم يزاوج القُرْآن بينهما، وإذا أطلق القُرْآن هذا الظرف وأطلق الجهة وجاء بعدم التحديد قال الله ﷻ في الآية: ﴿حَيۡثُ﴾ [سورة يوسف:٥٦].

وأما إذا حدَّد وقيَّد هذا الظرف جاء به مجرورًا ودخلت عليه «**مِنْ الجارَّة**» فقال الله ﷻ: ﴿مِنۡ حَيۡثُ﴾ [سورة يوسف:٦٨]، وشواهد القُرْآن ماثلةٌ بين أيدينا علىٰ هذه الدلالة البيانية لهذين الطرفين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٦) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [سورة يونس:٣٣]
﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [سورة غافر:٦]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في يونس: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [سورة يونس:٣٣].

في حين يقول الله ﷻ في نظيرةٍ لها: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾ [سورة غافر:٦].

ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿حَقَّتۡ﴾؛ أي: وجبت وسبقت وحلَّت.

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [سورة يونس:٣٣].
- وقال في الثانية: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [سورة غافر:٦].

ومعنىٰ الفِسق في اللغة: هو الخروج عن طاعة الله ﷻ، كما قال الله تبارك وتعالى عن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [سورة الكهف:٥٠]؛ أي: خرج.

والذين في سورة يونس هم خارجون عن طاعة الله ﷻ وعن شرعه وعن هداه وعن تعليمه، كما قال الله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [سورة يونس:٣٢]؛ أي: كيف صُرفتم عن طاعة الله! وكيف استبدلتم الحق بالباطل؟!

ثم وصف الله ﷻ أولئك بقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [سورة يونس:٣٣].

والذين في سورة غافر قال الله ﷻ فيهم: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [سورة غافر:٦]، و«**الكُفر**»: **هو السِتر والجحود والتكذيب والصد عن سبيل الله** ﷻ، وقد جرىٰ ذكر أولئك قبل هذه الآية كما قال الله ﷻ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [سورة غافر:٤-٦].

الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا برسالات الله وبأنبياء الله ثم وصفهم الله ﷻ بما جرىٰ ذكرهم في السياق وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [سورة غافر:٦].

فهذا من تأويل هاتين الآيتين المتناظرتين في كتاب الله ﷻ؛ أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ نورًا لنا وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٥٧) ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ [سورة الأنعام:١١]
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ [سورة الروم:٤٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الأنعام: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [سورة الأنعام:١١].

في حين أن الله ﷻ يقول في الروم وفي بقية القُرْآنَ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [سورة الروم:٤٢].

فجاءت آية الأنعام بحرف العطف «ثم» حيث عطف الله ﷻ النظر علىٰ السير بحرف العطف «ثم»؛ وهذه هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي جاء فيها النظر معطوفًا علىٰ السير بـ «ثم».

أما في بقية القُرْآن فقد جاء النظر معطوفًا علىٰ السير بحرف العطف «الفاء»، ومعلومٌ أن «ثم» تفيد عند أهل العربية التراخي والتريث، وأما الفاء فتفيد التعقيب والمباشرة.

فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ [سورة الأنعام:٦]، فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ [سورة الأنعام:٦]، فهذه قرون طويلة حواها الزمان وامتدَّ بها الدهر فأهلكها الله ﷻ.

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ [سورة الأنعام:٦]، فلما ذكر الله ﷻ مصارع المكذبين قال الله ﷻ بعدها: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

[سورة الأنعام:١١]، فدعىٰ الله ﷻ إلىٰ النظر وإلىٰ التريث وإلىٰ طول الوقوف علىٰ أولئك المهلكين، وهذا ذكره الكَرماني في «**متشابه القُرْآن**».

أما في بقيِّة القُرْآن فقد قال الله ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾ [النمل:٦٩، العنكبوت:٢٠، الروم:٤٢]، فعطف النظر علىٰ السير بحرف العطف «**الفاء**» الذي يفيد المباشرة والتعقيب، ذلك أن الله ﷻ لم يذكر وقائع وأحداثًا جرت قبل هذه الآيات المعنية، لذا جاء في هذه الآيات حرف العطف «**الفاء**» الذي يفيد التعقيب والمباشرة، فقال الله ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [سورة الروم:٤٢].

وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، ومن الدلالة البيانية لهذه الحروف –حروف العطف–، أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٨) (وكلا منها رغدا) (فكلا من حيث شئتما)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في البقرة في قصة آدم: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥].

وقال الله ﷻ في بني إسرائيل أيْضًا في البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩].

وقال الله ﷻ في شأن بني إسرائيل أيْضًا: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٦١].

فجاء ذكر «**الرغد**» في سورة البقرة في حين أن سورة الأعراف خلت من ذكر هذا «**الرغد**»، فذكر الله ﷻ «**الرغد**» في البقرة لسرٍ بياني وخلت سورة الأعراف أيْضًا من هذا الذكر لسرٍ بياني.

وبدايةً «**الرغد**»: هو الواسع من العيش، كما عند ابن جريرٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ- وعند غيره.

والجو العام في سورة البقرة هو سياق التكريم لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولزوجه، فأكرم الله ﷻ آدم وزوجه وأفاض عليهم من النعم وذكر هذا الرغد مناسبةً لهذا الجو العام من التكريم، ولرضىٰ الله ﷻ لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

كما قال الله ﷻ مناديًا آدم بنفسه: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]، فذُكر «الرغد» في هذا السياق لسبب التكريم وإفاضة النعم من الله ﷻ لآدم.

وأَيْضًا مثل هذا يقال في سياق بني إسرائيل في البقرة، إذا أن الجو العام لسورة البقرة هو جو التكريم لبني إسرائيل، ورضيَ الله ﷻ عن بني إسرائيل وأغدق عليهم وأفاض عليهم من النِعم.

ومن جملة هذه النِعم: أن ذكر «الرغد» في سياقهم كما قال الله ﷻ في السورة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨]، وهذا من السر البياني لِذكر لفظ «الرغد» في سورة البقرة

أما الجو العام في سورة الأعراف فهو سياق سُخطٍ وتعجيل عقوبةٍ علىٰ من ذكره الله ﷻ في سورة الأعراف، ومن جملة مَنْ ذكره الله ﷻ هو آدم وزوجه كما قال الله ﷻ فيهما: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة الأعراف:١٩].

وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف عصىٰ ربه وأكل من الشجرة فسخط الله عليه، وقال الله ﷻ فيه: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٢].

وبهذا أناب آدم وزوجه إلىٰ الله ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٣]، فبسبب معصية آدم لله ﷻ حُرم فضل الله ﷻ وحُرم هذا «الرغد» فلم يُذكر «الرغد» في سياق آدم في سورة الأعراف.

ومثل هذا أَيْضًا يقال في قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف، إذ أن بني إسرائيل عبدوا العجل واتخذوه إلهًا وحُرموا من رحمة الله ﷻ، وبسبب هذا الذنب وجرَّاء هذا الذنب لم يذكر هذا «الرغد» في سياق بني إسرائيل، قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ [سورة الأعراف:١٤٩].

وصفوة هذا الكلام: أن «**الرغد**» ذُكر في البقرة ولم يذكر في سورة الأعراف، فذكره في البقرة جاء مناسبًا للتكريم وإفاضة النعم من الله ﷻ علىٰ آدم وعلىٰ زوجه وعلىٰ بني إسرائيل؛ ولم يذكر في سورة الأعراف بسبب معصية آدم وبسبب شرك بني إسرائيل في سورة الأعراف، وهذا من تأويل هذين وهاتين الوقفتين وهذه الآيات بين هذه السورتين، أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٥٩) تقديم الليل على النهار

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الأنبياء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [سورة الأنبياء:٣٣]، فقدَّم الله ﷻ في هذه الآية الليل علىٰ النهار، وذلك في القُرْآنِ كله.

فالمستقرئ لكتاب الله ﷻ وإذا أجرينا علىٰ القُرْآنِ الكريم مسحةً سريعة وجدنا أن في جميع آيات الله ﷻ يقدم الله الليل علىٰ النهار كما قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [سورة الفرقان:٦٢].

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ [سورة فصلت:٣٧].

ويقول الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [سورة الأنبياء:٢٠]، فيقدم الله ﷻ في جميع القُرْآن الليل علىٰ النهار ذلك أن اليوم يبدأ بالليل، فبغروب الشمس ينتهي يوم ويبدأ يومٌ جديد.

وهذا من إحكام كتاب الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [سورة هود:١]، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٠) تقديم الموت على الحياة في جميع القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدَّر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة الملك: ٢]، وهذه الآية في الملك، فقدَّم الله ﷻ في هذه الآية الموت علىٰ الحياة.

والمتأمل والمتدبر لكتاب الله ﷻ يجد أن الله يقدم الموت علىٰ الحياة في جميع القُرْآن كما قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ﴾ [سورة الحج:٦٦]، «**أَحْيَاكُمْ**» يعني: كنتم ميتين فأحياكم.

وقال الله ﷻ: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩﴾ [سورة الروم:١٩]، «**أحيا الأرض بعد موتها**»؛ أي: أنها كانت ميتة كما قال الله ﷻ، فيقدم القُرْآن الكريم الموت علىٰ الحياة في جميع القُرْآن وذلك أن الإنسان في أصله أنه ميت فأحياه الله، كما قال الله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [سورة البقرة:٢٨].

إذًا الأصل في الإنسان أنه ميت فأحياه الله، لذا نجد في القُرْآنِ الكريم أن الله يُقدِّم الموت علىٰ الحياة في جميع القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(٦١) تقديم الأكل على الشرب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الأعراف: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [سورة الأعراف:٣١]، فقدَّم الله ﷻ في هذه الآية الأكلَ علىٰ الشرب وبعد النظر والتأمل والاستقراء لكتاب الله ﷻ نجد أن القُرْآنَ الكريم دائمًا يقدم الأكل علىٰ الشرب وذلك في سبع آيات:

كما قال الله ﷻ: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [سورة الحاقة:٢٤].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [سورة الطور:١٩].

وقال الله ﷻ في مريم: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ [سورة مريم:٢٦].

ذلك أن تقديم الأكل علىٰ الشرب له فوائد صحية، وأن تقديم الشرب علىٰ الأكل قد يَضُر بصحة الإنسان كما قرره غير واحد من الأطباء وهذا من إحكام كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٢) إعادة اسم الموصول (ما في السموات وما في الأرض)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابة العزيز في سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [سورة الحديد:١].

في حين أن الله ﷻ يقول في الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [سورة الصف:١].

فقال الله ﷻ في سورة الصف: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الصف:١]، فأعاد اسم الموصول في هذه الآية في حين أن آية الحديد خلت من إعادة اسم الموصول، فقال الله ﷻ فيها: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الحديد:١]، وهذه هي مسألة إعادة اسم الموصول في سياق القُرْآنَ، والإعادة تكون للتوكيد.

وبعد النظر في كتاب الله ﷻ والتأمُّل والتدبر والاستقراء من العلماء وجدوا أن السياق القُرْآني يعيد اسم الموصول في ثلاثة مواطن:

❍ **أولها**: أن يكون الحديث في الآية عن إحاطة علم الله ﷻ بكل شيءٍ في السماوات والأرض، وأن كل شيء في السماوات والأرض لا يندُ عن علم الله ولا يعزب ولا يغيب عن علم الله ﷻ.

كما قال الله ﷻ في المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [سورة المجادلة:٧]، فحتىٰ المتناجين يعلمهم الله فأعاد اسم الموصول في الآية.

ونظير هذا قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [سورة البقرة:٢٨٤]، فحتىٰ الخفاء عَلِمَه الله ﷻ فأعاد اسم الموصول.

ومثل ذلك قول الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝٢٩﴾ [سورة آل عمران:٢٩]، فهذا استغراقٌ لعلم الله لكل شيءٍ في السماوات والأرض فأعاد اسم الموصول.

❍ **وثاني هذه المواطن**: أن يكون السياق القُرْآني ينص علىٰ كل أحدٍ في السماوات والأرض، وأن كل مخلوقٍ مقصودٌ في الآية ومنصوصٌ عليه، والآية عامة وتستغرق كل شيءٍ في السماوات والأرض.

كما قال الله ﷻ في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [سورة الحج:١٨] إلىٰ آخر الآية، فأعاد اسم الموصول لاستغراق كل شيءٍ في السماوات والأرض.

ومثل ذلك يقول الله ﷻ في النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل:٨٧]، فالفزع جاء علىٰ الجميع واستغرق الجميع فأعاد اسم الموصول في الآية.

ومنهم قوله تعالىٰ أَيْضًا في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الزمر:٦٨]، فالصعق جاء علىٰ الجميع فأعاد اسم الموصول.

ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا في النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩﴾ [سورة النحل:٤٩]، فأعاد اسم الموصول للسبب نفسه.

❍ **وثالث هذه المواطن**: أن يكون الحديث بعد الآية والخطاب بعد الآية لأهل الأرض وموجهٌ لأهل الأرض كما قال الله ﷻ في سورة الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

ﭐلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [سورة الصف:١]؛ ثم خاطب أهل الأرض وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ [سورة الصف:٢].

ومثل ذلك قوله في سورة الحشر يقول الله ﷻ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [سورة الحشر:١]؛ ثم خاطب أهل الأرض وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة الحشر:٢].

ومثلُ ذلك أَيْضًا في سورة التغابن للسبب نفسه، ففي هذه المواطن الثلاث يُعيد القُرْآن اسم الموصول؛ وأما في غيرها وما سواها فلا يعاد اسم الموصول كقوله تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [سورة الحديد:١]؛ ثم خاطب الله نفسه وقصد نفسه وقال: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ [سورة الحديد:٢].

فهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، وبهذا تجتمع هذه الآيات المتشابهة، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٣) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة مريم:٣٧] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [سورة الزخرف:٦٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة مريم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة مريم:٣٧].

في حين أن الله ﷻ يقول في الزخرف: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٥].

وتوعَّد الله ﷻ كلتا الطائفتين بعذابٍ ووعيدٍ شديد يوم القيامة؛ فقال الله ﷻ في مريم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة مريم:٣٧]؛ ومعلومٌ أن من معاني الكفر هو الستر والجحود والصد والتكذيب.

والحديث في سورة مريم عن معجزة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ واليهود شاهدوا عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يتكلم في المهد فجحدوا هذا المشهد فتوعدهم الله ﷻ بمشهدٍ عظيم يوم القيامة فقال الله ﷻ فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة مريم:٣٧]؛ أي: جحدوا المشهد: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة مريم:٣٧].

لما جحدوا ما رأوه وما سمعوه من كلام عيسىٰ في المهد توعَّدهم الله ﷻ بمشهدٍ عظيم أمام الخلائق يوم القيامة، فقال ﷻ فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة مريم:٣٧].

وأما في سورة الزخرف فإن الله ﷻ قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [سورة الزخرف:٦٥]، ومعلومٌ أن من معاني الظلم بل هو أعلىٰ المعاني هو الشرك، وسياق سورة الزخرف؛ عيسىٰ أُتخذ إلهًا يعبد من دون الله، وأُشرك في ذات الله ﷻ، فقال الله ﷻ في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ

مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ [سورة الزخرف:٥٧-٥٨].

وبين الله ﷻ حقيقة عيسىٰ فقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ [سورة الزخرف:٥٩]، وقال عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦٤﴾ [سورة الزخرف:٦٣-٦٤].

فبيَّن عيسىٰ عليه السلام أن الإله الحق هو الله جل جلاله، وأنه هو الذي يجب أن تصرف له جميع أفعال العباد، وأكَّد علىٰ هذا بضمير الفصل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦٤﴾ [سورة الزخرف:٦٤].

ثم قال الله ﷻ متوعِّدًا: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [سورة الزخرف:٦٥]؛ أي: أشركوا في ذات الله ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ۝٦٥﴾ [سورة الزخرف:٦٥]، وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ نورًا لنا يوم القيامة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٤) ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ [سورة مريم:١٥]
﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [سورة مريم:٣٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة مريم: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [سورة مريم:١٥]، وهذا في شأن يحيىٰ عليه السلام.

في حين أن الله ﷻ قال في شأن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [سورة مريم:١٥].

فجاء السلام من الله علىٰ يحيىٰ بصيغة النكرة وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [سورة مريم: ١٥]، وجاء السلام من عيسىٰ علىٰ نفسه بصيغة المعرفة وقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [سورة مريم:٣٣]، فما الدلالة البيانية لهذين السلامين في كتاب الله ﷻ؟! وهل تتكافأ هذه الألفاظ في ميزان التعبير القُرْآني؟!

بدايةً المقرر من علم اللغة العربية أن من دلالة النكرة أنها تفيد التقليل وتفيد الإحاطة والشمول، وهذا السلام وإن كان نكرةً أفاد التقليل إلا أنه من الله علىٰ عبدٍ من عباده والقليل من الله كثير؛ فمهما كان فهو كثيرٌ في نظر العباد، كما قيل:

قليلٌ منك يكفيني ولكن قليلُك لا يقال له قليل

فجاء السلام بصيغة النكرة وأفاد التقليل إلا أنه في نظر العباد كثير.

وأما السلام من عيسىٰ علىٰ نفسه فقد جاء بصيغة المعرفة، وأل: هنا تفيد الاستغراق كل الاستغراق، فعيسىٰ عليه السلام يريد كل السلام علىٰ نفسه فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [سورة مريم:٣٣]، استغراقٌ كامل لكافة السلام، فقال الله ﷻ فيه: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [سورة مريم:٣٣].

وسلامُ عيسىٰ علىٰ نفسه هو سلام عبدٍ علىٰ نفسه، ومهما كان لا يتكافأ مع سلام الله ﷻ علىٰ يحيىٰ عليه السلام؛ فاختلف السلامان في دَلالتهما اللغوية.

وهذا من توجيه هذا المتشابه في كتاب الله ﷻ، ومن الدلالة البيانية لهذين اللفظين في كتاب الله تبارك وتعالى وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٥) ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨]
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جعلنا من خير أمةٍ أُخرجت للناس، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة آل عمران: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٨].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة إبراهيم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨].

وقال في الثانية: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢].

وكلتا الآيتين المعني بهما القُرْآن الكريم، فالقُرْآن الكريم بيان للناس، وهو أَيْضًا بلاغ للناس، والبيان علىٰ الله ﷻ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة:١٩]، وأما البلاغ فعلىٰ الرسل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [سورة الشورى:٤٨].

فقال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨]، جاءت هذه الآية بعد آياتٍ بينات ساقها الله ﷻ في كشف أمورٍ كثيرة وتبيين الحلال والحرام، كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٣-١٣٥] إلى

آخر السياق، ثم قال الله ﷻ في نهايته: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [سورة آل عمران:١٣٨].

أما في سورة إبراهيم فقد قال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢]، و«**البلاغ**»: «**هو وصول الأمر منتهاه وأقصاه**» كما عند أهل المعاجم، وهذه الآية جاءت بعد آياتٍ بينات ساقها الله ﷻ في تبيين وكشف ظلم الظالمين ووصول هذا الظلم منتهاه وأقصاه.

فقال الله ﷻ في السياق: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ٤٣ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ٤٤﴾ [سورة إبراهيم:٤٢-٤٤]؛ إلىٰ آخر السياق، فقال الله ﷻ في نهايته: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٥٢﴾ [سورة إبراهيم:٥٢].

فالبلاغ فيه تهديدٌ وزجرٌ ووعيد غالبًا ما يكون في القُرْآن، وهذا من تبيين هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، ومن تبيين هذه الألفاظ والدلالة البيانية لهذين اللفظين، أسأل الله تعالىٰ بمنه أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٦) اختصاص دعوة لوط بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [سورة الأعراف:٨٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه المبين علىٰ لسان جميع الرسل: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:٥٩]، فكل رسولٍ يأتي إلىٰ قومه يدعوهم بدعوة التوحيد: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:٥٩]؛ سوىٰ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تأتِ هذه الدعوة في قصته في القُرْآنِ الكريم، إنما كان يدعوا قومه بقوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٠]، فما السر البياني في اختصاص دعوة لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الدعوة؟!

يجيبنا علىٰ هذا شَيْخ الإِسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «**النبوات**» إذ يقول: «**إن كفر قوم لوطٍ كان باستحلالهم لهذا الفعل الشنيع، فلما استحلُّوا هذا الفعل الشنيع كفروا فخاطبهم لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الدعوة**».

وقال في موطنٍ آخر: «**وإنما كان كفرهم من جهات: من جهة الشرك، ومن جهة تكذيبهم للرسل؛ ومن جهة استحلالهم للفاحشة**»، وهذا من السر البياني في اختصاص دعوة لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرْآنِ الكريم بهذه الدعوة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٧) التماثل في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾

[سورة آل عمران:٥٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [سورة آل عمران:٥٩]، هذه الآية جاءت في سياق محاجة النصارىٰ للنبي ﷺ في شأن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فبين الله ﷻ حقيقة عيسىٰ وأنه لا يعدوا كونه بشرًا خلقه الله من تراب كخلقِ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذه الآية جمعت تناظرًا وتماثلًا بين عيسىٰ وبين آدم -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ-:

- فكلاهما خلقه الله من تراب.
- وكلاهما خلقه الله من دون أب.
- وكلاهما جاء ذكره في القُرْآنِ الكريم خمسًا وعشرين مرة.
- وكلاهما خلقه الله ﷻ بطريقةٍ تختلف عن بقية خلق البشر.
- وكلاهما نبيٌ من الأنبياء.

وعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يجتمع ذكره مع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا في هذه الآية في القُرْآنِ الكريم، وهذه الآية جمعت بين عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وورد ذكرهما للمرة السابعة في القُرْآنِ الكريم في هذه الآية.

ومن نافلة القول: أن كلا النبيين الكريمين يتكون اسمه من أربعة حروف، فعيسىٰ أربعة حروف وآدم أربعة حروف علىٰ اعتبار أن المد في آدم عن حرفين كما هو عند أهل اللغة، وهذا من التناظر بين عيسىٰ وبين آدم -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- في القُرْآن الكريم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٨) (تستطع ، تسطع) (اسطاعوا ، استطاعوا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الكهف: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [سورة الكهف:٧٨].

في حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [سورة الكهف:٨٢].

وذلك في القصة التي وقعت بين الخضر وموسىٰ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- والأحداث الذي جرت بينهما، فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿تَسْتَطِع﴾ [سورة الكهف:٧٨]، وقال في الثانية: ﴿تَسْطِع﴾ [سورة الكهف:٨٢].

ولا شك أن الفعل الأول أطول بناءًا وأكثر حروفًا من الفعل الثاني، وعليه يكون الفعل الأول أكثر معنىً من الفعل الثاني بناءًا واستنادًا علىٰ القاعدة اللغوية التي تقول: «**الزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ**».

والأحداث التي وقعت بين الخضر وموسىٰ من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار، لم تكن هذه الأحداث واضحة المعالم لدىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم تكن معلومة الهوية، إنما كانت مُبهمة غير واضحة.

فقال الله ﷻ في مُقابلها لما كانت ثقيلةً لدىٰ موسىٰ ولما كانت غير معلومة قال الله ﷻ في مقابلها: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [سورة الكهف:٧٨]، فجاء بالفعل الثقيل «**تستطع**» والأطول بناءًا ولم يجتزئ من الفعل ولم يقتطع منه مع الحالة الثقيلة التي كانت لدىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل تفسير هذه الأحداث.

ولما فسَّرها الخضر لموسىٰ -عَلَيْهِمَا- واتَّضحت لدىٰ موسىٰ وعُرفت وزال الإبهام عند موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله ﷻ في مقابلها بعد أن كانت خفيفة: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الكهف:٨٢]، فجاء بالفعل الخفيف «**تسطع**» مع الحالة الخفيفة لما كانت هذه الأحداث معلومة لدىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره: «**فقابل الأثقل مع الأثقل والأخف مع الأخف**»، ومثل هذا يُقال في قصة ذي القرنين وبناءه للسد، وكان هذا السد قد حال بين خروج يأجوج ومأجوج، وكان خروجهم معلقًا بحالين:

- إما أن يظهروا علىٰ الجدار ويعتلوه.
- أو أن ينْقُبوا الجدار.

وكان الظهور علىٰ الجدار أسهل من النَّقْب فقال الله ﷻ في مقابل ذلك: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الكهف:٩٧]، و«**اسْطَاعُوا**» الفعل الأخف قابل الظهور علىٰ الجدار وعلىٰ السد و «**اسْتَطَاعُوا**» الفعل الأثقل والأطول جاء مع الحالة الثقيلة وهي نقب السد.

وهذا من تأويل هاتين اللفظتين في كتاب الله ﷻ، ومن عظمة التعبير في القُرْآنِ الكريم، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن يُنوِّر قلوبنا بكتابه وبنوره، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٦٩) ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة يونس: ٦١]
﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة سبأ: ٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في يونس: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [سورة يونس: ٦١].

في حين أن الله ﷻ يقول في سبأ: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ [سورة سبأ: ٣].

وهذه الآيات تبين إحاطة علم الله ﷻ بالخلق أجمعين، وأنه لا يَنِدُّ عن علم الله شيء في السماوات ولا في الأرض:

- فقدَّم الله ﷻ في سورة يونس «**الأرض**» وقال: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة يونس: ٦١].

- وقَدَّم في سبأ «**السماوات**» وقال: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة سبأ: ٣].

وأسلفت القول: أن الكلمة المُقدَّمة في القُرْآنِ وفي السياق القُرْآني لها العناية والاهتمام والتركيز أكثر من غيرها، وهذه إحدىٰ قواعد التدبر في كتاب الله ﷻ، فقال الله ﷻ في يونس: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة يونس: ٦١]، فقدَّم «**الأرض**» لأن الحديث عن أهل الأرض وإحاطة الله ﷻ بهم.

فقال الله ﷻ في السياق: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [سورة يونس: ٦١]، فقدَّم «**الأرض**» في يونس لأن الحديث عن أهل الأرض كما جاء عند صاحب «**متشابه القرآن**» وهو الكرماني.

وأما في سبأ: فإن الله ﷻ قدَّم «**السماوات**» ذلك أن الحديث في سبأ عن الساعة كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة سبأ:٣]، فقدَّم «**السماوات**» لأن منشأ الساعة ولأن مبدأ الساعة من السماء.

فقدَّم السماوات لهذا السر البياني كما قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ [سورة الأعراف:١٨٧].

إذًا في سورة سبأ قَدَّم «**السماوات**» لأن الحديث عن الساعة فاهتم بهذه اللفظة أيما اهتمام وقَدَّمها علىٰ غيرها عنايةً بها؛ فكل كلمةٍ في الآيتين قُدِّمت نالت شرفها في السياق القُرآني، وهذا من جمال التعبير في كتاب الله ﷻ، فالقُرْآن يزاوج بين هذه الألفاظ؛ أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٠) آيات الليل تختم غالباً بالسمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

كثيرًا ما يتكلم الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم عن الليل فيختم الله ﷻ هذه الآيات غالبـًا بالسمع كما قال الله ﷻ في الأنعام: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [سورة الأنعام:١٣].

وقال الله ﷻ في يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧﴾ [سورة يونس:٦٧].

وقال الله ﷻ في الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء:١]، ثم ختم الآية وقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [سورة الإسراء:١].

وقال الله ﷻ في الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾ [سورة الحج:٦١].

وقال الله ﷻ في سورة القصص: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١﴾ [سورة القصص:٧١].

وقال الله ﷻ في الروم أيْضًا: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣﴾ [سورة الروم:٢٣].

تلك آياتٌ خَتَمَها الله ﷻ بالسمع لما تكلَّم عن الليل؛ يقول ابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ: «**وإنما خصَّ الله الليل بالسمع لأن سلطان السمع يكون بالليل**»، وغالبًا الإنسان يسمع أصواتًا بالليل ربما لا يسمعها بالنهار، فختم الله ﷻ هذه الآيات بالسمع مناسبةً للمعنىٰ في هذه الآيات؛ وهذا من إحكام كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧١) ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الروم:٤٦]
﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الجاثية:١٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الروم: ٤٦].

في حين أن الله ﷻ قال في الجاثية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الجاثية:١٢].

وكلتا هاتين الآيتين تتحدثان عن منافع البحر ومنافع الرياح وهما نِعم من نِعم الله ﷻ علىٰ عباده لهذا ختم الله ﷻ الآيتين بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

- فقال الله ﷻ في سورة الروم: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الروم:٤٦].
- وقال الله ﷻ في الجاثية: ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الجاثية:١٢].

فزادت آية الجاثية الجار والمجرور «**فيه**» عن آية الروم، فما السر البياني في هذه الزيادة؟!

الحَكَم في هذا الأمر والفيصل في هذا الأمر هو السياق القُرآني، فلا بد أن نحتكم إلىٰ كتاب الله ﷻ لتتجلىٰ لنا معاني هذه الآيات والسر البياني لهذه الزيادة.

الحديث في سورة الروم عن منافع الرياح، فالله ﷻ عدَّد علينا منافع الرياح حيث يقول الله ﷻ في السورة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الروم:٤٦].

جاء عند الواحدي: «﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الروم:٤٦]؛ **أي: بتلك الرياح**»، وكذا جاء عند صاحب متشابه القُرْآن؛ إذًا السياق في سورة الروم عن الرياح فقال الله ﷻ في السورة: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الروم:٤٦].

أما السياق في سورة الجاثية فعن منافع البحر كما قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الجاثية:١٢]؛ فأعاد عليه الضمير فقال: «فِيهِ» والضمير عائدٌ على البحر كما جاء عند صاحب «دُرة التنزيل وغُرة التأويل»، وهو الخطيب الإسكافي.

فقال الله ﷻ في منافع البحر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الجاثية:١٢]؛ وبهذا تتجلى معاني هاتين الآيتين والزيادة في سورة الجاثية، وبهذا أَيْضًا يُدفع مثل هذا الإيهام عن آيات الكتاب، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(٧٢) ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ﴾ [سورة الكهف:٢٦]
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [سورة مريم:٣٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الكهف: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الكهف:٢٦].

في حين أن الله ﷻ يقول في مريم: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة مريم:٣٨].

- فقدَّم الله ﷻ «**البصر**» في آية الكهف وقال: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ﴾ [سورة الكهف:٢٦].
- وقدَّم الله ﷻ «**السمع**» في آية مريم وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [سورة مريم:٣٨].

والآية الأولىٰ: المقصود بها هو الله ﷻ.

والآية الثانية: المقصود بها هم اليهود.

وهاتان الآيتان من أساليب التعجُّب التي جاءت في القُرْآنِ الكريم، وأسلوب التعجب يفيد التوكيد في السياق القُرْآني، **فما السر البياني في التقديم والتأخير لهاتين الآيتين؟!**

إذا ولَّينا أنظارنا إلىٰ سورة الكهف وجدنا أن قصة أهل الكهف مبنيةٌ علىٰ التواري والاختفاء عن أبصار الناس، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الكهف:١٦].

وقالوا عن أنفسهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الكهف:١٩]، إذًا حاول أهل الكهف التواري والاختفاء والفِرار عن أبصار الناس غير أنهم لم يختفوا عن بصر الله

ﷻ؛ فأكَّد الله ﷻ علىٰ رؤيتهم بقوله ﷻ: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [سورة الكهف:٢٦]؛ فقدَّم «**البصر**» في هذه الآية عنايةً به واحتفالًا له.

وأما في سورة مريم فالسياق القُرْآني مبنيٌّ علىٰ السماع؛ حيث أن الحاضرين لكلام عيسىٰ سمعوه كما قال الله ﷻ في شأن عيسىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [سورة مريم:٣٠-٣١] إلىٰ آخر الآيات.

فهذا الكلام سمعة الحاضرون من اليهود، فأكَّد الله ﷻ علىٰ هذا السماع بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [سورة مريم:٣٨]؛ فقدَّم «**السمع**» هنا أَيْضًا عنايةً به واحتفالًا له في هذا السياق، وبهذا تتجلىٰ هاتان الآيتان ويتجلىٰ أَيْضًا السر البياني لهذا التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين في كتاب الله ﷻ؛ أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٣) ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة يونس:٣٨]
﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة هود:١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أتمَّ علينا النعمةَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يونس:٣٨].

في حين أنَّ الله ﷻ يقول في هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة هود:١٣].

هذه الآيات من جملة آيات التحدي التي وجَّهها الله ﷻ إلىٰ أرباب البيان في الجزيرة العربية وإلىٰ صُنَّاع الكلام وأهل الفصاحة والبيان في الجزيرة العربية؛ وغاية آيات التحدي في القُرْآنِ الكريم هي خمس آيات تدرَّج الله ﷻ مع أهل الفصاحة في التحدِّي ومع ذلك لم يستطع أحدٌ منهم أن يأتي بشيءٍ من مثل القُرآن الكريم.

فقال الله ﷻ في سورة يونس: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة يونس:٣٨]، قال العلماء: «أي: مثلَ سورة يونس».

وأما في هود فقال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [سورة هود:١٣]، وسورة هود هي السورة الحادية عشر في القُرْآنِ الكريم، وهذا يَعْنِي أن آية هود تطلب عشر سور قبل سورة هود وهي من الفاتحة حتىٰ سورة يونس؛ فقال الله ﷻ في ذلك: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة هود:١٣].

ومع هذا كله لم يجرؤ أحد من العرب أن يعترض علىٰ كتاب الله ﷻ من حيث البيان؛ ولم يُسجِّل التاريخ أدنىٰ اعتراضٍ من العرب علىٰ كتاب الله ﷻ، وهذا من عظمة التعبير في

القُرْآنِ الكريم، ومن عظمة كتاب الله ﷻ، حيث هزم الله به أرباب البيان والفصاحة في الجزيرة العربية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٤) ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ [سورة الحديد:١٢]
﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة التحريم:٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدَ الشاكرين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الحديد: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ﴾ [سورة الحديد:١٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة التحريم: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [سورة التحريم:٨].

- فقال الله ﷻ في شأن المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ [سورة الحديد:١٢].
- وقال الله ﷻ في شأن النبي ﷺ: ﴿يَسۡعَىٰ﴾ [سورة الحديد:١٢].

وجاء التعبير القُرْآني بالجملة الاسمية في شأن النبي ﷺ وقال: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة التحريم:٨].

فما الدلالة البيانية للتعبير بالجملة الاسمية والفعلية في كتاب الله ﷻ؟!

بدايةً لابد أن نُقرِّر قاعدةً بيانية تقول: «**إن الجملة الفعلية تدل علىٰ الحدوث والتجدُّد والانقطاع، وأنَّ الجملة الاسمية تدل علىٰ الثبوت والدوام والاستمرار، وأن الجملة الاسمية أرقىٰ في التعبير وأسمىٰ من الجملة الفعلية**»، وهكذا قرَّره علماء اللغة.

فقال الله ﷻ في شأن النبي ﷺ في سورة التحريم: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة التحريم:٨]، فجاء بالجملة الاسمية وذلك لكمال الفضل الذي أتاه الله ﷻ نبيه والذين آمنوا معه.

وجاء التعبير القُرْآني بالجملة الفعلية في سورة الحديد وقال: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ [سورة الحديد:١٢]؛ وذلك فضلٌ كبيرٌ من الله ﷻ للمؤمنين والمؤمنات في سياق سورة الحديد، ولا

ريب ولا شك أن بين هذين الفضلين فرقًا كبيرًا يدل عليهما آيات الله ﷻ، وبهذا تتجلَّىٰ الدلالة البيانية للجملة الفعلية والاسمية في التعبير القُرْآني، نسأل الله تعالىٰ من فضله الكريم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٥) ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة يونس: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨﴾ [سورة يونس:٤٨، سورة الأنبياء:٣٨، سورة النمل:٧١، سورة سبأ:٢٩، سورة يس:٤٨، سورة الملك:٢٥]؛ هذه الآية تردَّدت في القُرْآنِ الكريم سِتَّ مرات.

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨﴾ [سورة السجدة:٢٨]، وهذه الآية الوحيدة في كتاب الله ﷻ.

وهذه الآيات كلها هي في سورٍ مكية قالها الكفار استبعادًا وإنكارًا للبعث وللحساب يوم القيامة، جاء عند ابن جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره: «**الوعد: هو يوم القيامة**».

وجاء عند ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «**الفتح: هو القضاء والفصل يوم القيامة**»، واختار هذا القول الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره.

وتردَّدت هذه الآية سِتَّ مرات في كتاب الله ﷻ لتعطي مزيدًا وإيضاحًا من وصف ذلك اليوم؛ ومن ذلك قوله تعالىٰ في يس: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾ [سورة يس:٤٨-٤٩]، فعلامة ذلك اليوم: مجيء الصيحة.

ومن ذلك قوله تعالىٰ في سورة الملك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦﴾ [سورة الملك:٢٥-٢٦]، فعلم ذلك اليوم عند الله ﷻ.

إذًا ترددت هذه الآيات في كتاب الله ﷻ لتُعطي إيضاحًا ومزيدًا من وصف وشخصية ذلك اليوم؛ وأما قوله تعالىٰ في السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨﴾ [سورة السجدة:٢٨]؛ فالفتح جاء تفسيره بالقضاء والفصل.

وكما قال الله ﷻ قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٢٥﴾ [سورة السجدة:٢٥]؛ وهذا تفسيرٌ لهذا الفتح، فالفتح هو القضاء والفصل، والوعد هو يوم القيامة، وقد جاءت هذه المعاني في آية السجدة؛ وهذا توجيهٌ لهذا التناظر في كتاب الله ﷻ وهذه الآيات المتشابهة، وبهذا تتجلىٰ هذه المعاني الربانية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٦) ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]
﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، في حين أن الله ﷻ يقول في آية أخرىٰ: ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٩].
- وقال في الثانية: ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

فما السر البياني في مجيئ كل آية في سياقها؟!

وما الدلالة البيانية لهذه الألفاظ في التعبير القرآني؟!

بداية لابد أن نرجع إلىٰ معاني هذه الألفاظ عند علماء اللغة:

فالمشتبه: «**هو ما أفاد شدة الالتباس والإشكال والإختلاط**»، والمشتبه يصعب التفريق بينهما، وقد جاء المشتبه مرة واحدة في القرآن الكريم وهو من فعل «**اشتبه**»: أي التبس كما عند أهل المعاجم.

أما المتشابه: «**فهو ما أفاد التناظر والتجانس والتماثل والتشابه بينهما**»، وقد جاء في القرآن الكريم تسع مرات، وهو ما دون الإشتباه كما قال العلماء.

- وإذا نظرنا إلىٰ سياق الآيات وجدنا أن الله ﷻ يقول في الآية الأولىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، وهذه الآية تبين عظيم صنع الله ﷻ وبديع خلقه في هذه الثمار والزروع؛ لذلك دعا

الله ﷻ إلىٰ النظر لمَّا قال: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، و«**المشتبه**»: هو ما أفاد شدة الالتباس، فلما قال: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، دعا إلىٰ النظر إلىٰ شكله الخارجي وقال: ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، ثم عقَّب الله ﷻ علىٰ ذلك كله وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٩٩]، فهذه آية من آيات الله ﷻ التي تدعو إلىٰ النظر والتأمُّل والتدبُّر.

- أما في الآية الثانية فقد قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، فلما ذكر المتشابه وهو ما دون الإشتباه وهو ما أفاد التناظر والتماثل دعا إلىٰ الأكل وقال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، ثم عقَّب زيادة علىٰ ذلك وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

وصفوة الكلام:

- أن الآية الأولىٰ في الشكل الخارجي للثمار لذلك دعا إلىٰ النظر.
- والآية الثانية في الطعم واللون لذلك دعا إلىٰ الأكل.

وهذا من تناظُر هذه الآيات المتشابهة في كتاب الله ﷻ ومن تأويلها ومن الكشف عن الدلالة البيانية لهذه الآيات، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٧) الدلالة البيانية لرسم المصحف لكلمة (السموات)

بِسْــــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في فُصِّلت: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [سورة فصلت:١٢]، هذه الوقفة خاصةٌ برسم المصحف الشريف، وعلىٰ لفظ «السماوات» فقد تردد هذا الاسمُ في القُرْآنِ الكريم أكثر من مائة وثمانين مرة جاء مرسومًا دون ألفٍ بعد الواو، سوىٰ لفظٍ واحد جاء مرسومًا بألفٍ بعد الواو وهو في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [سورة فصلت:١٢]، فلفظ «سماوات» رُسم بألفٍ بعد الواو، وهو اللفظ الوحيد في القُرْآنِ الكريم الذي اختلف رسمه عن بقية المواطن في كتاب الله ﷻ، فلماذا جاء هذا الرسم مختلفًا عن بقية المواطن؟! ولماذا لم يكن مثلًا في البقرة أو في سورة الأعراف؟! لماذا اختلف عن بقية المواطن؟!

لعلنا نرجع إلىٰ السياق القُرْآني ليتبين لنا السر البياني في دلالة رسم المصحف، حيث يقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢﴾ [سورة فصلت:٩-١٢].

فجاء هذا اللفظ مفصولًا بألفٍ بعد الواو في تفصيل خلق السماوات والأرض؛ حيث لم يُفصِّل الله ﷻ في خلق السماوات والأرض في أي موطنٍ من القُرْآنِ الكريم مثلما فَصَّل في سورة فصلت، فلما فصَّل في خلق السماوات والأرض جاء اللفظ مفصولًا في سورة فصلت.

وهذا من دلالته البيانية الذي اختلف فيه عن بقية المواطن في القُرْآنِ الكريم؛ ومن كتب المصحف وضع هذا اللفظ بعنايةٍ فائقة، وجماهير الصحابة تلقَّوا هذا المصحف بالقبول ولم يعترض منهم أحدٌ علىٰ مثل هذا الرسم في القُرْآنِ الكريم، وهذا له نظائر في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٨) (إن هم إلا يخرصون) (إن هم إلا يظنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الزخرف: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الزخرف:٢٠].

في حين أن الله ﷻ يقول في الجاثية: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [سورة الجاثية:٢٤].

- فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الزخرف:٢٠].
- وقال في الثانية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [سورة الجاثية:٢٤].

- و«**التخرُّص**»: هو القول الكاذب كما عند ابن جرير رحمه الله تعالىٰ، وهو القول بغير علمٍ ولا هدىٰ.
- وأما «**الظن**»: فهو نقيض اليقين، كما قال الله ﷻ: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ [سورة الجاثية:٣٢].

وكل فاصلةٍ جاءت مُتممةً لسياقها ومناسبةً لسياقها، ففي سورة الزخرف الحديث عن الملائكة حيث نسب الكفار الملائكة إلىٰ الله ﷻ زورًا وبهتانًا، وتعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

إذ يقول الله ﷻ في السياق: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ [سورة الزخرف:١٩-٢٠]، أي: يقولون قولًا كاذبًا علىٰ الله ﷻ في هذه القضية، وبدون علمٍ ولا دِراية ولا هدىٰ، فجاءت الفاصلة مناسبةً لموضوعها وسياقها.

أما في سورة الجاثية فإنَّ الحديث عن الحساب والبعث والنشور، والكفار أصلًا منكرون لهذه المسائل؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، أي: هي مسألة حياة فحسب: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [سورة الجاثية:٢٤].

فدعاهم النبي ﷺ إلىٰ الإيمان بالحساب والبعث والنشور فقالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، أي: ما لهم بذلك من يقينٍ وعلمٍ بقولهم: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، أي: يظنون في هذه المسألة ظنًا كاذبًا، فهم ليسوا بمستيقنين بقضية البعث والنشور والحساب، كما جاء عند صاحب «**درة التنزيل وغرة التأويل**» وهو الخطيب الإسكافي.

فكل فاصلةٍ جاءت متممة لسياقها، والفاصلة في القُرْآنِ تتبع الآية وتُتِم معنىٰ الآية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٧٩) ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [سورة التوبة:٩٤] ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [سورة التوبة:١٠٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة براءة: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:٩٤].

في حين أن الله ﷻ يقول فيها أَيْضًا: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:١٠٥].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:٩٤].
- وقال في الثانية: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:١٠٥].

فما سبب سر هذا الاختلاف في الألفاظ بين هاتين الآيتين؟!

فأقول: إنَّ الآية الأولىٰ نزلت في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، إذ يقول الله ﷻ في سياقهم: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة:٩٤].

فالمطلع علىٰ أسرار وخفايا المنافقين هو الله ﷻ والوحي أخبر النبي ﷺ بذلك فقال الله ﷻ: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:٩٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:٩٤]، هذا وعيدٌ من الله ﷻ للمنافقين كما جاء عند غير واحدٍ من أهل التفسير.

أما في الآية الثانية: فالمقصود بها المؤمنون لذلك قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [سورة التوبة:١٠٥]، وأعمال المؤمنين معلومةٌ لدىٰ الله ﷻ ويراها النبي ﷺ ويراها أَيْضًا المؤمنون، لذلك جاءت لفظة «**المؤمنون**» في الآية لهذا الغرض البياني.

ثم قال الله ﷻ في الآية: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [سورة التوبة:١٠٥]، وقوله: «**وَسَتُرَدُّونَ**» هذا وعدٌ من الله ﷻ للمؤمنين يوم القيامة، وبهذا تتجلَّىٰ هذه الألفاظ بين هاتين الآيتين، وهذا من توجيه هذا المتشابه، ومن توجيه هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٠) الدلالة البيانية لكلمة (الواحد) في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية مختصرةٌ موجزة عن لفظ «**الواحد**» في القُرْآنِ الكريم، والدلالة البيانية لهذه الكلمة في السياق القُرْآني، «**الواحد**» عند علماء اللغة هو الذي لا يتجزأ، وهو الذي ليس له ثاني ولا نظير ولا شريك كما قال ابن منظور في «**لسان العرب**».

والله ﷻ يخبر عن نفسه في القُرْآنِ الكريم بأنه واحد ولم يخبر عن نفسه بأنه فرد؛ فالله دائمًا يخبر عن نفسه بأنه واحد كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، أي: ليس له نظيرٌ ولا مثيل.

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النحل:٥١]، والكفار سألوا النبي ﷺ أن ينسب لهم الله فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الإخلاص:١]:

- «**أحدٌ**» أي: ليس له نظير.
- «**أحدٌ**» أي: ليس له ثاني.
- «**أحدٌ**» أي: ليس له شريك.

فالله هو الأحد وهو الواحد، والأحد لا تُطلق إلا علىٰ الله ﷻ، والله ﷻ يمتدح هذه الأمة ويقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء:٩٢]؛ أي: ليس لها نظيرٌ ولا مثيلٌ بين الأمم.

ويخبر الله ﷻ بأنَّ هذه البشرية كلها ترجع إلىٰ أصلٍ واحد، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ﴾ [سورة الأعراف:١٨٩]؛ أي: آدم عليه السلام، وبهذا يتبين الدلالة البيانية للفظ

«**الواحد**» في القُرْآنِ الكريم، والله ﷻ يطلق علىٰ نفسه «**الواحد**» في القُرْآنِ الكريم لأن هذا التعبير هو الذي يصدق علىٰ الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨١) الدلالة البيانية لكلمة (الفرد) في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ يسيرة بيانية علىٰ كلمة «الفرد» في القُرْآنِ الكريم، والدلالة البيانية لهذه الكلمة في السياق القُرْآني.

«الفرد» عند علماء اللغة: من كان مع مجموعة فانقطع منهم وانعزل عنهم، كما عند ابن فارس في «مقاييس اللغة».

- والله ﷻ يخبر ويقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام:٩٤]، سنقف أمام الله ﷻ يوم القيامة فُرادىٰ دون أحد ودون عشيرةٍ ودون زوجةٍ ومال، كما جئنا إلىٰ هذه الدنيا بهذا الحال.

- ويخبر الله ﷻ عن البشرية أيْضًا ويقول: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة مريم: ٩٥]، كُلُّهم سيقف أمام الله ﷻ بمفرده دون أحد.

- والله ﷻ يخبر عن زكريا أيْضًا ويقول بدعائه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [سورة الأنبياء:٨٩]، قال ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ في تفسيره: «أي: دون ولدٍ ودون عَقِب».

- والقُرْآن الكريم يخبر عن أحد أئمة الكفر وهو «العاصم بن وائل» الذي قال للنبي ﷺ: «لئن كان هناك بعثٌ لأكوننَّ خيرًا منك مالًا وولدًا» فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة مريم:٧٨-٨٠]، سيقف هذا أمام الله ﷻ يوم القيامة فردًا دون عشيرةٍ ودون مال ودون نصير، وبهذا يتبين الدلالة البيانية لكلمة «الفرد» في القُرْآن الكريم.

وأعرابية توفي أبناؤها التسعة فأخذت ترثيهم وتقول:

ربيتهم تسعةً حتىٰ إذا اتسقوا أُفردت منهم كقرن الأعضب
وكل أم وإن سُرت بما ولدت يومًا ستفقد من ربَّت من الولدِ

فتقول: «أُفردت منهم» أي: عُزلت عنهم، إذًا هذه هي الدلالة البيانية لكلمة «الفرد» في القُرْآن الكريم وفي اللغة العربية، وبهذا يتبين أن كلمة «الفرد» ليست من أسماء الله ﷻ، كما قال الأزهري ونقله ابن منظورٍ في لسان العرب.

ويتبين من هذا العرض السريع أن كلمة «الفرد» هو من كان مع مجموعةٍ ومع أصدقاءٍ فانعزل منهم وانقطع عنهم؛ وهذا التعبير لا يصدق علىٰ الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٢) فضل شهر (رمضان) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الحق ﷻ في البقرة: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]، هذه الآية تبين منزلة رمضان وفضل رمضان من بين سائر الشهور، فهو الشهر الوحيد الذي ذكره الله ﷻ في القُرْآن الكريم، وهو الشهر الذي نزل فيه القُرْآن الكريم.

كما قال الله ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [سورة الدخان:٣]، وهي ليلة القدر.

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر:١].

فالقُرْآنُ الكريم نزل من السماء السابعة إلىٰ السماء الدنيا جملةً واحدة، ثم نزل من السماء الدنيا إلىٰ الأرض مُفرَّقًا منجمًا بحسب الحوادث كما نقل القرطبي عن قتادة -رحمهما الله-.

أما من حيث اللغة: فـ«رمضان» أُخذت من الرمضاء وهي الأرض الحارقة، وسُميَّ «رمضان» لأنه يحرق الذنوب والآثام للصائم، والكلمة ممنوعة من الصرف للعَلَمية وزيادة ألف ونون، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٣) لفظ (القرآن) هو اللفظ الوحيد في البقرة!

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الحق-ﷻ- في سورة البقرة: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]، هذه هي الآية الوحيدة في سورة البقرة التي جاءت بلفظ «**الْقُرْآن**»، أما بقية سورة البقرة فإنها جاءت بلفظ «**الكتاب**»، وقد تردد «**الكتاب**» في سورة البقرة خمسًا وعشرين مرة.

أما لما تكلم الله ﷻ عن شهر رمضان فقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]، ولم يقل: «**الكتاب**» إشارة إلىٰ الحث علىٰ الإكثار والاستزادة من قراءة القُرْآن في شهر رمضان المبارك.

ومعلومٌ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُدارس النبيَّ ﷺ القُرْآن كُلَّ ليلةٍ من رمضان؛ فعلينا أحبتي في الله أهل القُرْآن الاستزادة والإكثار والاهتمام بقراءة القُرْآن الكريم في شهر رمضان المبارك.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا الكتاب والقُرْآن ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا، إنه علىٰ ذلك قدير، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٤) ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [سورة هود:٢٩]
﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [سورة هود:٢٩]، في حين أن الله ﷻ يقول في بقية القُرْآن: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١].

فقال الله ﷻ في هود: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [سورة هود:٢٩]، وهذه هي الآية الوحيدة في القُرْآنَ الكريم بهذا اللفظ، في حين أن الله ﷻ قال في بقية القُرْآن: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١]، **فما السر البياني في اختصاص كل آيةٍ بموطنها؟!**

فأقول: إن السياق القُرْآني هو الذي يحدد ذلك، ففي سورة هود قال الله -ﷻ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [سورة هود:٢٩]، ثم ذكر بعده الخزائن بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة هود:٣١].

ومعلومٌ أن «**الخزائن**»: هي موطن المال، وهي مستودع المال وموضع المال، فلما ذكر «**المال**» ذكر «**الخزائن**» فتناسبت الآية مع الجو العام للسورة، وهذا كما ذكره الكرماني في «**متشابه القُرْآن**».

في حين أن في بقية القُرْآن قال الله ﷻ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١]، و«**الأجر**»: هو ما يتقاضاه العامل عند انتهاء عمله، فظنَّت الأقوام أن الرسل تبتغي علىٰ عملها أجرًا، فقال الله ﷻ علىٰ لسان كل رسول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١]، أي: لا أبتغي علىٰ هذا العمل وعلىٰ هذه الدعوة وعلىٰ الإيمان بها وعلىٰ النصح والتوجيه والإرشاد؛ لا أبتغي عليه أجرًا منكم، إن أجريَّ إلا علىٰ الله.

وبهذا تتجلىٰ هذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٥) ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [سورة الإسراء:٩٩]

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [سورة يس:٨١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [سورة يس:٨١].

- فقال الله في «**الإسراء**»: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [سورة الإسراء:٩٩].

وقال في «**يس**»: ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [سورة يس:٨١].

فزيدت الباء في آية «**يس**» عن آية «**الإسراء**» فما وجه هذه الزيادة؟! وما السر البياني لهذه الزيادة؟! بدايةً: «**الباء تُزاد في خبر ليس للتوكيد اطّرادًا**»، كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزمر:٣٧]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سورة الزمر:٣٦].

وآية «**يس**» هي ردٌّ علىٰ أحد أئمة الكفر الذي أنكر البعث وهو «**أُبي بن خلف**» جاء إلىٰ النبي ﷺ بعظمٍ بيده ففتَّته، ثم قال: «**يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال النبي ﷺ: «نعم ويحشرك إلىٰ النار»**».

فأنزل الله ﷻ ردا علىٰ هذا ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة يس:٧٧-٧٨] إلىٰ قوله تعالىٰ بصيغة التقرير: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [سورة يس: ٨١].

فجاءت الباء للتوكيد ردًا علىٰ منكري البعث وإثباتًا لعظمة الخالق الجبَّار الذي خلق أعظم من الإنسان وهو خلق السماوات والأرض؛ في حين أن آية الإسراء هو إخبارٌ من الله ﷻ

بقدرته علىٰ الخلق فقال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [سورة الإسراء:٩٩].

فالسياق لا يحتاج إلىٰ توكيد لأنه ليس ثمَّة أحد منكرٌ للخلق ومنكرٌ للبعث، ولا يحتاج إلىٰ زيادةٍ في التوكيد أَيْضًا لأنه ليس ردًا علىٰ أحدٍ في مسألة خلقٍ ولا مسألة بعث، ولهذا خلت الآية من الباء التي تفيد التوكيد.

وهذا توجيهٌ لهذا التناظر وهذا التماثل بين هاتين الآيتين، وتوجيهٌ لزيادة الباء التي جاءت في خبر ليس؛ أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٦) (إنه هو السميع البصير) (إنه هو السميع العليم)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في غافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [سورة غافر:٥٦].

في حين أن الله ﷻ يقول في فصلت: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة فصلت:٣٦].

فقال الله ﷻ في غافر: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [سورة غافر:٥٦].

وقال في فصلت: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة فصلت:٣٦].

فاختلفت الفاصلتان بين هاتين الآيتين، ولا ريب أن الاختلاف ناجمٌ عن اختلاف السياقين في الآيتين؛ ففي سورة غافر الحديث عن شياطين الإنس كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [سورة غافر:٥٦].

جاء عند أهل التأويل: أنهم كفار مكة، وقال أبو العالية: أنهم اليهود في المدينة؛ إذًا هؤلاء هم شياطين الإنس، وشياطين الإنس مُبصَرون مُشاهَدون مرئيون لذلك قال الله ﷻ في الفاصلة: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [سورة غافر:٥٦]، أي: هؤلاء مُبصَرون مُشاهَدون.

أما في سورة فصلت: فالحديث عن الشيطان وعن الشياطين وعن الجن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة

فصلت:٣٦]، وشياطين الجن لا نراهم ولا نبصرهم ولا نشاهدهم كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [سورة الأعراف:٢٧].

فجاءت الفاصلة بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة فصلت:٣٦]، أي: أن الله يعلم هؤلاء الشياطين من الجن، فاتفقت كل فاصلةٍ مع سياقها، وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٧) الدلالة البيانية لكلمة (عمل) في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية يسيرة موجزة عن لفظ «العمل» في القُرْآنِ الكريم، يتردد هذا اللفظ كثيرًا في كتاب الله ﷻ، ويتساءل عنه كثيرٌ من الناس، هل هذا العمل يتكافأ مع الفعل في الدلالة البيانية؟! وهل يتساويان هذان اللفظان في كتاب الله ﷻ؟!

يحدد لنا السياق القُرْآني كل واحدٍ منهما، ونحن بهذه الوقفة نقف علىٰ لفظ «العمل»:

فالعمل من سماته أنه حدثٌ يقع كثيرًا ويتردد كثيرًا؛ مثل الصلاة ومثل قراءة القُرْآن والزكاة والصدقة والسنن الرواتب، هذا كله عمل، هذا يتكرر كثيرًا فيسمىٰ عمل، أنت ذاهبٌ في الصباح إلىٰ عملك أنت ذاهبٌ للعمل، ليس للفعل إنما للعمل لأنه يتكرر كثيرًا، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٧٧] ، أي: من صلاةٍ وزكاةٍ ودعاءٍ وقراءة قُرْآن وهكذا.

- كذلك من سِمات العمل في القُرْآن وفي اللغة أنه لا يُنسب إلىٰ الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم، فلا تجد آيةً في كتاب الله ﷻ يقول الله فيها: «يعمل الله» أبدًا، فالعمل لا يُنسب إلىٰ الله ﷻ في القُرْآن الكريم، قال العلماء: «لأن العمل يحتاج إلىٰ تحضيرٍ ذهني مسبق، والله ﷻ مُنزَّهٌ عن هذا» بخلاف الفعل.

- وأَيْضًا من سِمات العمل في القُرْآن الكريم: أنه لا يَشُدُّ الانتباه عند وقوعه، أي: لما ترىٰ شخصًا يصلي لا يثير انتباهك أنه يصلي، ولما ترىٰ شخصًا يذهب إلىٰ عمله كل صباح لا يشد الانتباه هذا العمل، ولما ترىٰ شخصًا يقرأ القُرْآن أَيْضًا مثل ذلك نقول: أنه لا يشد الانتباه ولا يُثير الذهن.

فالعمل في الأصل ألا يثير الانتباه بخلاف الفعل، يقول الله ﷻ: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ [سورة سبأ:١٣]، والجن تحت سطوة سليمان عليه السلام يعملون له عملًا دؤوبًا، هذا العمل يقع كثيرًا منهم وتحت سطوة سليمان عليه السلام وهو لا يَشُدُّ الانتباه.

كذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]، «**يعمل**» أي: كثيرًا؛ من قراء قُرْآن وصدقةٍ وصلاة وتسبيح؛ هذا كله عمل؛ الذي يعمل ولو مقدار ذرَّة سوف يجده عند الله ﷻ.

فالعمل بخلاف الفعل تمامًا، وهذا من سِماته في القُرْآنِ الكريم، والأمثلة كثيرة علىٰ ذلك، فلو نزَّلنا هذه السِمات وهذه العلامات علىٰ ألفاظ العمل في القُرْآنِ الكريم لوجدناها جليةً واضحة، كما قال الله ﷻ عن الشيطان: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [سورة المائدة:٩٠]، فالشيطان يعمل في بني آدم، والشيطان أخذ علىٰ نفسه عهدًا أن يُضِلَّ بني آدم حتىٰ يوم القيامة كما قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ﴾ [سورة النساء:١١٩] الآية.

إذن هذه أبرز سِمات «**العمل**»، وأبرز صفات «**العمل**» وعلامات «**العمل**»، وكما قلت: أنَّ الأمثلة في ذلك كثيرة في القُرْآنِ الكريم، فلو نزَّلنا هذه العلامات وهذه السِمات علىٰ ألفاظ «**العمل**» لوجدناها ظاهرة، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٨) الدلالة البيانية لكلمة (فعل) في التعبير القرآني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية موجزة مختصرة عن لفظ «الفِعْل» في القُرْآنِ الكريم، وعن الدَلالة البيانية لهذه الكلمة في التعبير القُرْآني، ما هي سمات «الفِعْل»؟! ما هي علامات «الفِعْل»! ما هي الدلالات البيانية لهذا «الفِعْل» في القُرْآنِ الكريم؟!

أذكر بعض هذه العلامات وهذه السِمات مُستدلًا لها من كتاب الله ﷻ:

- فمن علامات «الفِعْل»: أنه في الأصل أن لا يتكرر، وبخلاف العمل فإنه يقع كثيرًا ويتردد كثيرًا؛ أما الأصل في الفعل أن لا يتكرر، ربما يتكرر ولكن في أصله أن لا يتكرر كما قال الله ﷻ في شأن إبراهيم لما حطَّم أصنام قومه: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [سورة الأنبياء:٥٩]، فإبراهيم لما حطَّم هذه الأصنام لن يُكرِّر هذا الفعل من الغد، ولن يقع منه مرةً أخرىٰ، والله ﷻ يقول في شأن فرعون وهو يخاطب موسىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾ [سورة الشعراء:١٩]، ومعلومٌ أن موسىٰ قتل في مملكة فرعون، وهذا الحدث لن يقع من موسىٰ مرةً أخرىٰ لذلك سمَّاه القُرْآنَ فعلًا، والله ﷻ يقول في شأن الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [سورة الفيل:١]، فهذا الحدث العظيم لن يقع مرةً أخرىٰ ولن يتكرَّر فقال الله ﷻ في شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [سورة الفيل:١]، كذلك يقول الله ﷻ في شأن عاد: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [سورة الفجر:٦].

إذًا «**الفِعْل**» في أصله أن لا يتكرر، ربما يتكرر كما يقول الله ﷻ: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [سورة الحج:٧٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨﴾ [سورة الفرقان:٦٨]، ولكن في أصله أن لا يقع كثيرًا ولا يتردد.

- **كذلك من علامات الفعل**: أنه ينسب إلىٰ الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ [سورة الفجر:٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ١﴾ [سورة الفيل:١]، فـ«**الفِعْل**» نُسب إلىٰ الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم بخلاف «**العمل**» فهو لا ينسب إلىٰ الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم.

- **كذلك من سمات الفعل ومن علامات الفعل**: أنه في وقوعه يُثير الانتباه ويَشُدُّ الذهن ويستثير الأنظار في وقوعه؛ كما قال الله ﷻ في شأن إبراهيم عليه السلام لما حطَّم أصنام قومه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ [سورة الأنبياء:٥٩]، فإبراهيم عليه السلام أثار الدهشة لدىٰ قومه، فهذه الأصنام لا تُمس بسوء فضلًا أن يأتي واحدٌ ويحطمها، لذلك قالوا علىٰ سبيل الغرابة بصيغة الاستفهام: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٦٢﴾ [سورة الأنبياء:٦٢]؟ فهم مُندهشون أشد الاندهاش وأشد العجب لذلك جاءوا باستفهامين لشدة الغرابة في وقوع هذا الفعل.

والله ﷻ يقول في شأن فرعون لموسىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [سورة الشعراء:١٩]، وموسىٰ عليه السلام قَتَلَ في مملكة فرعون، وبنو إسرائيل كانوا مضطهدين في مملكة فرعون وكانوا لا قيمة لهم عند فرعون، فلا يمكن أحدٌ منهم أن يُسيء في مملكة فرعون فضلًا أن يقتل، لذلك قال فرعون لموسىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [سورة الشعراء:١٩]، فهذا الفعل أثار الدهشة عند فرعون لذلك قال موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ [سورة الشعراء:٢٠].

- والله ﷻ حطَّم أقوىٰ قوةٍ في الأرض أو من أقوىٰ القوىٰ في الأرض الذين أعلنوا التحدِّي علىٰ الأمم كلها، وهم قوم عاد الذين تباهوا بأنفسهم وتباهوا بقوتهم وأعلنوا التحدِّي في الأرض بقولهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [سورة فصلت:١٥] ؛ أي: لا أحد، فتطاولوا حتىٰ علىٰ الله ﷻ فأهلكهم الله شرَّ هلاك، وبدد هذه القوة الضاربة في الأرض، فقوتهم لم تكن شيئًا مذكورًا أمام قوة الله ﷻ، فقال الله ﷻ في شأنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [سورة الفجر:٦] ، «**إرم**» وهي اسمٌ للقبيلة: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ [سورة الفجر:٧]، و«**ذات**» تأتي للتعظيم، فعظَّمها القُرْآن ومع ذلك حُطِّمت هذه القوة الضاربة في الأرض، وهذا يثير الدهشة لدىٰ الإنسان لتحطيم هذه القوة الضاربة في الأرض، وهذه من سِمات «**الفِعْل**» في القُرْآنِ الكريم، ومن علامات «**الفِعْل**» في القُرْآنِ الكريم؛ أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٨٩) الدلالة البيانية لكلمة ﴿صُنْعَ﴾ [سورة النمل:٨٨] في القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية موجزة مختصرة عن لفظ «صنع» في القُرآنِ الكريم، وعن الدلالة البيانية لهذه الكلمة في التعبير القُرْآني، ما هي سمات الصنع؟! وما هي علامته؟!

الصُنْعُ: «هو ما كان فيه إتقانٌ وفيه إجادة وفيه إحكام».

يقول الله ﷻ في شأن الجبال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [سورة النمل:٨٨]، جاء عند ابن جريرٍ ؒ تعالىٰ عن ابن عباسٍ ؆ قال: «أحسنَ الله كُلَّ شيءٍ خلقه وأوثقه»، فالله ﷻ أتقن هذه الجبال فتبارك الله أحسن الخالقين.

ويقول الله ﷻ في شأن داود ؑ: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ [سورة الأنبياء:٨٠]، هذه هي الدروع أحكمها داود ؑ وقال الله ﷻ فيها: ﴿لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ [سورة الأنبياء:٨٠]، وعند ابن جريرٍ ؒ تعالىٰ: أن أول من صنع هذه الدروع هو داود ؑ.

ويقول الله ﷻ في شأن سفينة نوح: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ [سورة هود:٣٨]، أجادها نوحُ ؑ وأحكمها وأحسن صنعها، لذلك هذه السفينة قارعت أمواجًا كالجبال وواجهت أمواجًا كبيرة عظيمة وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ [سورة هود:٤٢]، فهذه السفينة من إتقانها وإجادتها قارعت أمواجًا كالجبال، فنوحٌ ؑ أحكمها وأتقنها وأجادَها وأوثقها.

والله ﷻ يخبر عن الذين خسروا في هذه الدنيا: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤﴾ [سورة الكهف:١٠٣-١٠٤].

ظنوا أنهم أتقنوا أعمالهم وأجادوها لله ﷻ وهم الأخسرون كما نبَّه القُرْآن عليهم، فهذا هو الصُنع في دلالة القُرْآن الكريم، أسأل الله تعالىٰ بمنه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٠) تناسب فواتح السور مع خواتيمها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

من ألوان البيان في كتاب الله ﷻ ما أولاه الله ﷻ عنايةً بمطالع السور وبخواتيمها؛ فإن المتأمِّل والمتدبِّر لكتاب الله ﷻ يجد أن هنالك ارتباطًا وثيقًا وتناسبًا كبيرًا بين مطالع السور وبين خواتيمها، وهذا جليٌ واضح لمن ألقىٰ النظر في كتاب الله ﷻ، وهو لونٌ من ألوان الفصاحة والبيان الذي جاء به كتاب الله ﷻ إمعانًا في التحدِّي لأهل العربية.

ولعلنا نأخذ أمثلةً علىٰ هذا من كتاب الله ﷻ:

- فقد افتتح الله ﷻ سورة المؤمنون بتحقُّق فلاح المؤمنين، إذ يقول الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [سورة المؤمنون:١]، ثم إذا ولَّينا أنظارنا إلىٰ نهاية السورة وجدنا أن الله ﷻ ينفي فلاح الكافرين فيقول الله ﷻ في نهاية السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، إذًا السورة ابتدأت بموضوعٍ واختُتمت بنفس هذا الموضوع.

- ويقول الله ﷻ في بدية سورة ق: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [سورة ق:١]، فعظَّم الله ﷻ كتابه بهذا الوصف ثم في نهاية السورة يقول الله ﷻ: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [سورة ق:٤٥].

- وهكذا نجد افتتاح سورة ص، إذ أنَّ الله ﷻ عظَّم القُرْآنِ الكريم بقوله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [سورة ص:١]، ثم قال الله ﷻ في نهاية السورة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [سورة ص:٨٧]، وهوالقُرْآن، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾ [سورة ص:٨٨].

- وإذا نظرنا في سورة يوسف جاء في افتتاحها في قوله تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [سورة يوسف:٣]، ثم بين الله ﷻ أن هذه القصص عبرة بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [سورة يوسف:١١١].

- وجاء في بداية سورة البقرة إذ يقول الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢]، من هم المتقون؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [سورة البقرة:٣]؛ ما هو الغيب؟ قال الله ﷻ في نهاية سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، هذا هو الغيب.

- وافتتح الله ﷻ سورة المعارج بقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [سورة المعارج:١-٤]، جاء وصف هذا اليوم في نهاية السورة إذ يقول الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ [سورة المعارج:٤٣-٤٤]

إذن صفوة الكلام: أن كُلَّ سورة تبدأ بموضوع وتنتهي بنفس هذا الموضوع؛ فالمُتأمِّل والمُتدبِّر لكتاب الله ﷻ يجد هذا جليًا واضحًا رأيَ العين، وهذا من عظمة التعبير في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن يرفعنا بكتابه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩١) ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٩]
﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ [سورة الكهف:٨١]
﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [سورة الكهف:٨٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله تعالى في الكهف: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٩].

في حين أن الله ﷻ قال في ثانية: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ [سورة الكهف:٨١].

وقال الله ﷻ في ثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [سورة الكهف:٨٢].

فاختلفت هذه الإرادة بين هذه الآيات الثلاث وتلوَّنت وتنوَّعت فما السبب في ذلك؟!

وما سر هذا الاختلاف؟!

بداية: هذه الآيات من جملة الأحداث التي وقعت بين الرجل الصالح وبين موسىٰ -عليه السلام-، فجاءت الإرادة مختلفة بحسب اختلاف السياق وبحسب اختلاف القصد والمعنىٰ.

وهذه الإرادة جاءت علىٰ ثلاثة أضْرُب:

❍ فهي إرادة شرٍ محض كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٩]، فالرجل الصالح نَسَبَ هذا الشر إلىٰ نفسه وقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٩]، والشر لا يُنسب إلىٰ الله ﷻ كما جاء في صحيح مسلم: «**والشرُّ ليس إليك**»، وكما قال الله ﷻ في سورة الشعراء علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [سورة الشعراء:٨٠]، وكما قال الله ﷻ في الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [سورة الجن:١٠]، فلما كانت إرادة شرٍ محض نسبها الخضر إلىٰ نفسه تأدبًا مع الله ﷻ.

❍ وأما الإرادة الثانية فهي إرادةٌ مشتركة بين الخير وبين الشر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞﴾ [سورة الكهف:٨٠-٨١].

هذه الإرادة جمعت شرًا وجمعت خيرًا، فأما الشر ففي قتل الغلام وأما الخير ففي إبدال الغلام، فجاءت الإرادة منسوبة للاشتراك بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ [سورة الكهف:٨١]، والنون هنا نون الفاعِلَين وليست نونًا للتعظيم.

وأما الإرادة الثالثة: فهي إرادة خيرٍ محض وهي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [سورة الكهف:٨٢].

فلما كانت إرادة خيرٍ محض نسبها إلىٰ الله ﷻ لأن الخير يُنسب إلىٰ الله ﷻ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [سورة الكهف:٨٢]، وهذه الإرادة كلها وهذه الأعمال كلها من الله ﷻ كما جاء في نهاية التأويل علىٰ لسان الرجل الصالح بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞﴾ [سورة الكهف:٨٢]، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٢) اختلاف التعبير في ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [سورة النحل:٩٦]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [سورة النحل:٩٦]، فأخبر الله ﷻ بما عند الناس من أرزاقٍ وخيرات بأنه ينفد وبأنه يفنىٰ وبأنه ينقطع ولا يستمر، وأخبر بما عنده ﷻ بأنه باقٍ أبديٌ دائمٌ لا ينقطع.

وجاء بالصيغة الفعلية لما أخبر بما عند الناس وقال: ﴿يَنفَدُ﴾، وجاء بالصيغة الاسمية لما أخبر بما عنده ﷻ وقال: ﴿بَاقٖۗ﴾، وباقٍ: هو اسم فاعل وهو اسم منقوص حُذفت منه «أل» ثم حذفت منه الياء وفقًا للقاعدة اللغوية، فما السر في اختلاف الصيغتين في الآية؟!

بدايةً؛ القاعدة اللغوية تقول: «**إنَّ الفِعْلَ يَدُلُّ عَلىٰ الحُدُوثِ والتَجَدُّدِ وإنَّ الاسمَ يَدُلُّ علىٰ الثُبُوتِ والدَوام**»؛ فلما أخبر بما عند الناس بأنه منقطعٌ لا يستمر وأنه غير دائم وأنه يفنىٰ جاء بالصيغة الفعلية وقال: ﴿يَنفَدُ﴾.

ولما أخبر بما عنده ﷻ بأنه باقٍ أبدي دائمٌ جاء بالصيغة الاسمية التي تدل علىٰ الثبوت وعلىٰ الدوام والاستمرار وقال: ﴿بَاقٖۗ﴾ [سورة النحل:٩٦]؛ وهذا من جمال تعبير كتاب الله ﷻ ومن عظمة البيان القُرْآني، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٣) ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨﴾ [سورة الأعراف:١١٨]
﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ [سورة الأعراف:١٣٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨﴾ [سورة الأعراف:١١٨]، في حين أن الله ﷻ يقول فيها أيضًا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ [سورة الأعراف:١٣٩].

- والآية الأولىٰ في شأن قصة موسىٰ مع السحرة.
- والآية الثانية في شأن بني إسرائيل لما عبروا البحر وأتوا علىٰ قومٍ يعكفون علىٰ أصنام لهم.

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ بصيغة الفعل: ﴿وَبَطَلَ﴾ [سورة الأعراف:١١٨]، وقال في الآية الثانية بصيغة الاسم ﴿وَبَٰطِلٌ﴾ [سورة الأعراف:١٣٩]، **فما السر البياني في اختلاف هاتين الصيغتين في هذه الآيات؟!**

بدايةً؛ لابد أن أذكر قاعدة لغوية تقول: «**أنَّ التعبير بالفعل يدل علىٰ التجدد والحدوث والانقطاع وأنَّ التعبير بالاسم يدل علىٰ الثبوت والدوام والاستقرار**».

فلما كانت الحالة انتهت وتلاشت واضمحلت وهي هزيمة السحرة من موسىٰ عليه السلام عبّر القرآنُ الكريم بصيغة الفعل الذي يدل علىٰ الانقطاع وعلىٰ التجدد وقال تعالىٰ: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨﴾ [سورة الأعراف:١١٨]، ولما كانت الحالة دائمة مستقرة ثابتة وهي حال القوم الذين يعكفون علىٰ أصنام لهم عبّر القرآنُ الكريم بصيغة الاسم وقال: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ [سورة الأعراف:١٣٩] إذ أن هؤلاء القوم معتكفون مقيمون علىٰ عبادة الأصنام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الواحدي.

فلما كانت الحالة ثابتة عبّر القرآنُ الكريم بصيغة الاسم وقال: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾ [سورة الأعراف:١٣٩]، ولما كانت الحالة منقطعة غير ثابتة عبّر القرآن الكريم بصيغة الفعل وقال: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ [سورة الأعراف:١١٨]، وذلك في هزيمة السحرة، وبهذا تتجلّىٰ هذه الألفاظ وهذا المعاني الربانية، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٤) وقفة بيانية حول كلمة (الملأ) في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [سورة الأعراف:٦٦].

هذه وقفةٌ يسيرة موجزة حول كلمة «**الملأ**» في القُرْآنِ الكريم، عن معناها وعن سبب التسمية وعن موقف الملأ من دعوة الرسل والأنبياء؛ قال أهل التأويل: «**الملأ هم أشراف القوم، وهم عِليةُ الناس وسادة المجتمع، والملأ هم من يمسك بزمام الأمور في المجتمع، وهم وجهاء الناس**».

وقال أهل اللغة: «**الملأ سُمُّوا ملأً لأنهم امتلئوا مما احتاجوا إليه في الدنيا، فهم لا ينظرون إلىٰ مسألة العيش كحال بقية أفراد المجتمع الذين يُلاحقون معيشتهم صباح مساء، إنما همومهم متجهة ومنصبة نحو الإمساك بزمام الكلمة في المجتمعات**».

والمتأمل والمتدبر للقُرْآن الكريم يجد أن «**الملأ**» هم أول من يعارض دعوات الرسل والأنبياء والمصلحين، ذلك أن دعوة الرسل قائمةٌ علىٰ التساوي بين الناس، وعلىٰ التكافؤ بين أفراد المجتمع، والملأ ليس عندهم استعداد أن يتنازلوا عن مكانتهم وعن وجاهتهم وعن مصالحهم وعن قيمتهم في المجتمع، لذلك هم يحاربون الرسل بشتىٰ الوسائل:

- كما قال ملأ نوحٍ لنوح: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٦٠]؛ أي: أنت ضالٌ بعيدٌ عن الحق.
- وكما قال ملأ هود لهودٍ عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [سورة الأعراف:٦٦]، فاتّهموه بعقله وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [سورة الأعراف:٦٦]، والسَفَه: هو الحُمْق.

- وصرَّح قوم شعيب وملأ شعيب بطرد شعيبٍ من القرية كما قال الله ﷻ في ذلك: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ﴾ [سورة الأعراف:٨٨].

- ونجدهم تارةً أخرىٰ يستخدمون الطغاة ضد الأنبياء؛ فقد قال الله ﷻ في ملأ فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [سورة الأعراف:١٢٧]، فهذا هو حال «**الملأ**» في القُرآنِ الكريم، وهذا احتفال القُرْآن الكريم بهذه الكلمة، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٥) ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة النساء:١٤٩]

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة الأحزاب:٥٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٩]، في حين أن يقول الله ﷻ في الأحزاب: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٤].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة النساء:١٤٩]، وقال في الثانية: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة الأحزاب:٥٤].

فاختلفت الألفاظ بين هاتين الآيتين ولا جَرَمَ أن هذا الاختلاف راجعٌ لاختلاف السياق الذي يُعوِّل عليه أهل البيان في الاستنباط والتدبر؛ فالسياق والجو العام في سورة النساء يتحدث عن مسألةٍ مخصوصة فقد قال الله ﷻ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء:١٤٨-١٤٩].

فالسياق يتحدث عن عدم الجهر بالسوء وعن إبداء الخير وعن العفو عن السوء، فجاء بكلمة «**الخير**» مقابل «**السوء**» كما هو واضحٌ من السياق، وأمر الله ﷻ بعدم الجهر بالسوء إلا من ظلم، ثم أمر الله ﷻ بإبداء الخير، وهذه مسألةٌ مخصوصة.

أما في الأحزاب فإن السياق يتحدث عن عموم، لذلك قال الله ﷻ في الآية: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ [سورة الأحزاب:٥٤]، وكلمة «**شيء**» هي أغرق كلمةٍ في اللغة العربية في الإبهام، وهي

أعمُّ كلمةٍ في اللغة العربية، وقال الله ﷻ في الآية: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾ [سورة الأحزاب:٥٤].

والسياق يتحدث عن عموم إذ يقول الله ﷻ قبل هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ [سورة الأحزاب:٥١]، و«**ما**» من ألفاظ العموم، وقال الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، و«**متاعًا**» نكرة تدل علىٰ العموم، فاقتضىٰ كل لفظٍ سياقه، وناسبت كل لفظةٍ آيتها، وهذه الألفاظ تناسبت في هذين السياقين وهذا جاء عند صاحب «**دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل**» وهو الخطيب الإسكافي، وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٦) ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [سورة النحل:١٤]
﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [سورة فاطر:١٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

- يقول المولىٰ -جل وعلا- في سورة النحل: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [سورة النحل:١٤].

- في حين أن الله عز وجل يقول في فاطر: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [سورة فاطر:١٢].

فقَدَّم في سورة النحل كلمة «**مواخر**» وقَدَّم في فاطر الجار والمجرور «**فيه**»، والقُرْآن الكريم يُقدِّم ما هو ببيانه أعنىٰ، فالكلمة المُقدَّمة في القُرْآنِ الكريم لها العناية ولها التركيز ولها الاهتمام، وكلمة «**مواخر**» هي صفة للفلك ومفردها «**ماخرة**» وهي: الفلك التي تشق البحار كما عند ابن جرير رحمه الله تعالىٰ في تفسيره.

والسياق في سورة النحل يتحدث عن المركوبات بشكلٍ عام، فقد تكلَّم الله تبارك وتعالى قبل هذه الآية عن مركوب البر؛ إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [سورة النحل:٨]، ثم عطف عليه بمركوب البحر وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [سورة النحل:١٤]، فوصفه بقوله: «**مواخر**» لأن الحديث عن المركوبات في السياق.

أما في سورة فاطر فإن السياق يتحدث عن منافع البحر كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [سورة فاطر:١٢].

فلما كان الحديث عن منافع البحر وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [سورة فاطر:١٢]؛ قَدَّم الجار والمجرور لأن الضمير المتصل عائدٌ علىٰ البحر والحديث عن البحر كما هو ظاهر، فقَدَّم القُرْآنُ الكريم

كل كلمةٍ لها العناية ولها الاحتفال ولها الاهتمام في السياق القُرْآني، وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة المتشابهة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٧) ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠]
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [سورة يوسف:٩٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول المولىٰ -جل وعلا- في سورة آل عمران: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠]، في حين أن الله عز وجل يقول في يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [سورة يوسف:٩٠].

فقدَّم الله عز وجل «الصبر» في آل عمران وذلك في آياتٍ أربع، وهي مجمل الآيات التي جاءت في القُرْآنِ الكريم، وقدَّم الله تبارك وتعالىٰ «التقوىٰ» في سورة يوسف؛ وهي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي قُدِّم فيها التقوىٰ، والقُرْآنُ الكريم يُقدِّم ما له العناية والاهتمام والاحتفال في السياق القُرْآني.

وإذا نظرنا إلىٰ سياق آل عمران وجدنا أن الآيات الأربع وهي قوله تعالىٰ:

- ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ [سورة آل عمران:١٢٥].
- ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [سورة آل عمران:١٨٦].
- ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠].

هذه الآيات الأربع جاءت كلها في سياق معركة أحد، ومعلومٌ أنَّ أهم العوامل في الانتصار في المعارك هو «الصبر» لذلك قدَّمه القُرْآن الكريم عنايةً به في سورة آل عمران، ويقول الله عز وجل مُوصٍ عباده في بدر: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، فلما كان «الصبر» عاملًا مهمًا في المعارك قدَّمه الله تبارك وتعالىٰ عنايةً به في سورة آل عمران.

أما في سورة يوسف فإن الله ﷻ قدَّم التقوىٰ، وذلك أن مدار الحديث في سورة يوسف عن الفتنة، فمعلومٌ أن امرأة العزيز راودت يوسف عليه السلام ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، فقال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، كل ذلك حبًا في يوسف عليه السلام وشغفًا به.

فلما امتثل يوسف عليه السلام أمر الله ﷻ واجتنب نهيه نجَّاه الله ﷻ من هذه الفتنة، ولا يكون الخلاص من الفتن إلا بتقوىٰ الله ﷻ، فجاء تقديم التقوىٰ في سورة يوسف علىٰ الصبر عنايةً به واحتفالًا له.

وصفوة الكلام في هذه الوقفة: أنَّ الله ﷻ قَدَّم «**الصبر**» في سياق المعارك لأن الصبر عاملٌ مهم في الانتصار في الحروب؛ وقَدَّم «**التقوىٰ**» في سياق الفتن لأن الخلاص من هذه الفتن لا يكون إلا بتقوىٰ الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٨) في الأنعام (حكيم عليم) في يوسف (عليم حكيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [سورة الأنعام: ١٣٩].

في حين يقول الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [سورة يوسف:٦].

- فقال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾ [سورة الأنعام: ١٣٩].
- وقال الله ﷻ في يوسف: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [سورة يوسف:٦].

فقدَّم الله ﷻ «الحكمة» في سورة الأنعام في ثلاثِ آيات، وقدَّم «العلم» في سورة يوسف في ثلاثِ آياتٍ أَيْضًا، فما السر البياني في هذا التقديم والتأخير؟!

المُتأمِّل والمُتدبِّر لسورة الأنعام يجد أن السورة ذكرت مسائل فقهيةً كثيرة واحتفلت بها لاسيما في آخرها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾ [سورة الأنعام:١١٨].

وقوله أَيْضًا: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [سورة الأنعام:١١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [سورة الأنعام:١٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤١].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ [سورة الأنعام:١٤٥].

إذاً هذه مسائل فقهية جاءت بها سورة الأنعام فقدَّم الحكمة في السورة لأن الفقيه لابد أن يكون حكيمًا، فاقتضىٰ تقديم الحكمة في هذه السورة لهذا السر البياني ولغيره.

وأما في سورة يوسف فإنَّ الله ﷻ قدَّم «**العلم**» في ثلاث آيات وقال ﷻ: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [سورة يوسف:٦]، ذلك أن سورة يوسف كلها أسرار، فالسورة كلها مبنية علىٰ الأسرار:

كما قال الله ﷻ: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا﴾ [سورة يوسف:٤]، هذا سر.

وقال الله ﷻ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، هذا سر.

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [سورة يوسف:٨٠]، هذا سر.

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾ [سورة يوسف:٧٧]، هذا أَيْضًا سر.

وغيرُه من الأسرار، والعالم بهذه الأسرار هو الله ﷻ فقَدَّم «**العلم**» في سورة يوسف وقال: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [سورة يوسف:٦].

علاوةً علىٰ هذا: أنَّ «**العلم**» ومشتقات هذه الكلمة ترددت في سورة يوسف سبعًا وعشرين مرة فاقتضىٰ في سورة يوسف تقديم «**العلم**» لهذا الأمر ولغيره، ففي سورة الأنعام قَدَّم «**الحكمة**» لأجل مسائلِ فقهية، وفي سورة يوسف قَدَّم «**العلم**» لأن السورة مبنيةٌ علىٰ أسرارٍ كثيرة والعالِم بهذه الأسرار هو الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٩٩) ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٣٥]
﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [سورة المائدة:٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله جلَّ شأنه في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٣٥].

- في حين أن الله ﷻ يقول في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [سورة المائدة:٨].

فجاءت آية النساء بتقديم لفظ «**القسط**»، وجاءت آية المائدة بتقديم لفظ الجلالة «**الله**» والتقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم له غرضه البياني الدقيق، فليس من قبيل المزاوجة في الأسلوب ولا المباينة في الألفاظ كما يقول به بعض أهل التأويل: «**إنما الكلمة المقدمة في القُرْآنِ الكريم لها العناية ولها الأهمية في السياق**».

أما «**القسط**»: فهو العدل كما جاء عند ابن جرير، فقدَّم الله ﷻ «**القسط**» في سورة النساء لأن السورة كلها مشحونة بإقامة حقوق الناس في الأرض وبإعطاء الناس حقوقهم؛ كما قال الله ﷻ في أول السورة: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [سورة النساء:٤].

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ [سورة النساء:٢].

ثم قال الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [سورة النساء:٣٣].

إذًا السورة كلها تأمر بإعطاء الناس حقوقهم؛ فقدَّم الله ﷻ «**القسط**» وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٣٥].

في حين أنَّ في سورة المائدة الأمر بإقامة حقوق الله في الأرض، وبإقامة حدود الله في الأرض، وبإقامة شريعة الله في الأرض؛ لذا قدَّمت الآية لفظ الجلالة «**الله**» فقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [سورة المائدة:٨].

ومن ذلك بإقامة حقوق الله في الأرض: قوله تعالىٰ في مستهل السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [سورة المائدة:١].

ثم قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [سورة المائدة:٢]، وهذا من إقامة حقوق الله في الأرض.

وقال الله ﷻ بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [سورة المائدة:٦]، وهذا من إقامة حقوق الله في الأرض.

وكذلك يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [سورة المائدة:٣٣]، وهذا من حقوق الله في الأرض يجب أن يقام.

كذلك قال الله بعدها: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة المائدة:٣٨].

إذًا سورة المائدة مشحونةٌ بالأمر بإقامة حقوق الله في الأرض؛ فقدَّم الله ﷻ في الآية قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [سورة المائدة:٨]، فلما أمر الله ﷻ بإعطاء الناس حقوقهم قَدَّم لفظ «**القسط**» في سورة النساء، ولما أمر الله ﷻ بإقامة حقوقه في الأرض وبإقامة حدوده في الأرض قَدَّم لفظ الجلالة في آية المائدة، وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠٠) ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]
﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة يونس:١٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنعام: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

- في حين أن الله ﷻ يقول في يونس: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢﴾ [سورة يونس:١٢].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

وقال في الثانية: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة يونس:١٢].

فما الدلالة البيانية في اختصاص كل آيةٍ بما جاءت به؟!

فأقول: إن السياق في سورة الأنعام يتحدَّث عن الذين ينتفعون بشرع الله وبهدىٰ الله وبتعليم الله والذين لا ينتفعون، كما قال الله ﷻ في أولئك: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، «مَيْتًا»؛ أي: بالكفر، فأحياه الله ﷻ بالإيمان كما قال أهل التأويل، وعند المفسرين: هو عمر بن الخطاب.

ثم قال الله ﷻ: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، والذي في الظلمات أي: ظلمات الكفر وظلمات الطغيان والضلال: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، ثم عقَّب الله ﷻ علىٰ هذا وقال: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

أما الذين في يونس فإنَّ الله ﷻ يتحدَّث عنْ مَنْ رضي بالحياة الدنيا، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [سورة يونس:٧]، رضوا بنعيمها ورضوا

بملذَّاتها وركنوا إلىٰ نعيمها وإلىٰ زخرفها كما قَال أهل التأويل، هؤلاء هم المسرفون، ثم وصفهم الله ﷻ في نهاية السياق وقال: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢﴾ [سورة يونس:١٢].

فكل آيةٍ اختصَّت بما جاءت به، وكل لفظةٍ ناسبت معاني آياتها، وهذا من تأويل هذه الآيات في كتاب الله ﷻ، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠١) دلالة كلمة (إبليس) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله جلَّ شأنه في البقرة: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [سورة البقرة:٣٤]، هذه وقفةٌ موجزة يسيرة عن «إبليس» في القُرْآنِ الكريم أعاذنا الله وإياكم من «إبليس»، عن معنىٰ الكلمة في اللغة العربية وعن دلالتها البيانية في القُرْآنِ الكريم وعن علاقة إبليس بالملائكة.

أما عن معناها فـ«إبليس»: من الإبلاس، والمبلس هو اليائس القانط، كما قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]؛ أي: يائسون.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [سورة الزخرف:٧٤-٧٥]؛ أي: يائسون.

إذًا، إبليس من الإبلاس وهو اليأس والقنوط، وهذه الكلمة ترددت في القُرْآنِ الكريم إحدىٰ عشرة مرة، في تسعِ آيات جاءت مع آدم في قصة السجود لآدم فأبىٰ إبليس السجود فطرده الله ﷻ من منازل الملأ الأعلىٰ؛ ويأس من رحمة الله وقنط قنوطًا كاملًا، وطرده الله ﷻ من منازل الملأ الأعلىٰ، كما قال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [سورة الأعراف:١٨]، وقال الله ﷻ: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [سورة الأعراف:١٣].

وجاءت هذه اللفظة في آيتين منفردتين عن آدم، كما قال الله ﷻ في الشعراء: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥﴾ [سورة الشعراء:٩٤-٩٥]؛ أي: يائسون كلهم في النار.

ويقول الله ﷻ في سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة سبأ:٢٠]، وهذه في سياق اليأس أيْضًا.

إذًا هذه الكلمة تأتي في القُرْآن الكريم في سياق القنوط وفي سياق اليأس من الله ﷻ ومن رحمة الله ﷻ بخلاف لفظ «**الشيطان**»، وكلتا الكلمتين ترجعان إلىٰ مسمىً واحد.

أما علاقة إبليس بالملائكة: فإبليس ليس من الملائكة في شيء، وذلك أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم وإبليس عصىٰ الله ﷻ، والملائكة خلقها الله ﷻ من نور كما قال النبي ﷺ: «**وإبليس خُلق من نار**» كما قال الله ﷻ، والملائكة ليس لها ذرية، وإبليس ذريته الجن كما قال الله ﷻ.

إذًا إبليس ليس من الملائكة في شيء علىٰ القول الصحيح، أما قول الله ﷻ في الآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة البقرة:٣٤]، فهذا الاستثناء منقطع عند أهل العربية، والاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنىٰ من غير جنس المستثنىٰ منه، كما تقول: «**أخذت الأقلام إلا الكأس**»، فالكأس ليس من جنس الأقلام وإبليس ليس من جنس الملائكة، فالاستثناء في الآية منقطع كما قال أهل التأويل وأهل اللغة، والله أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]، هذه الآية شرفٌ للرسول ﷺ من بين سائر الخلق أجمعين، هذه الآية العظيمة تبين منزلة الرسول ﷺ وقَدْرَه عند الله ﷻ.

هذه الآية العظيمة هي وسامٌ للرسول ﷺ لا كأي وسام؛ إنه وسامٌ إلهي تشرفت به السماوات والأرض، وهذه الآية هي الآية الوحيدة التي بدأ الله بها الأمر بنفسه ثم ثَنَّىٰ بملائكته الكرام ثم ثلَّث بالناس أجمعين، كل ذلك إجلالًا للرسول ﷺ.

- أما صلاة الله ﷻ علىٰ النبي ﷺ فهو ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ.
- وأما صلاة الملائكة علىٰ النبي ﷺ فهو دعاؤهم له في السماوات.
- وأما صلاة الناس علىٰ الرسول ﷺ فهو دعاؤهم له في الأرض.

وبذلك يجتمع الدعاء السفلي مع الدعاء العلوي، كل ذلك تعظيمًا وشرفًا للرسول ﷺ، وهذه منزلة لم ينالها أحدٌ من العالمين، وقد أرشد النبي ﷺ صحابته الكرام إلىٰ الصلاة عليه لمَّا سألوه كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صلِ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد».

وقد بيَّن النبي ﷺ فضل الصلاة عليه، كما جاء في صحيح مسلم فقال النبي ﷺ: «من صلىٰ عليَّ صلاةً واحدة صلىٰ الله عليه بها عشراً»، اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد

كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

(١٠٣) (الرجز) و (الرجس) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -ﷻ- في سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢﴾ [سورة الأعراف:١٦٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في براءة: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [سورة التوبة:١٢٥].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿رِجۡزٗا﴾ [سورة الأعراف:١٦٢]؛ بالزاي.

وقال في الثانية: ﴿رِجۡسًا﴾ [سورة التوبة:١٢٥]؛ بالسين.

وبين الكلمتين اشتراكٌ كبيرٌ في الصوت والحروف مما جعل بعض العلماء يراهما بمنزلةٍ واحدة وأنهما علىٰ معنىٰ واحد، وقد فرّق العلماء بين هاتين الكلمتين فقال الكسائي رحمه الله: أن الرجز هو العذاب والعقاب، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥﴾ [سورة سبأ:٥]، وهذا عذاب.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾ [سورة العنكبوت:٣٤]، وهذا لا شك بأنه عذاب.

وقال الله ﷻ في حال فرعون وقومه: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ [سورة الأعراف:١٣٣-١٣٤]؛ يعنون هذا العذاب الواقع بنا: ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ [سورة الأعراف:١٣٤]، إذًا؛ بالجملة «الرجز»: هو العذاب والعقاب كما قَال به الكسائي وغيره.

وأما «**الرجس**»: فهو القذارة والنجاسة كما قال ابن منظور في «**لسان العرب**»، ويقول الله ﷻ في ذلك عن الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [سورة المائدة:٩٠].

الخمر معلومٌ أنها نجسة وقذرة كما قال بها الفقهاء، فقال الله ﷻ علىٰ سبيل الخبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ﴾ [سورة المائدة:٩٠]؛ أي: هي قذرة ونجسة.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [سورة التوبة:١٢٥]، قلوبهم قذرة فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم.

ويقول الله ﷻ أيْضًا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤٥]، هذه كلها رجس، أي هي قذرة وهي نجسة، فحرَّمها الإسلام.

إذن؛ صفوة هذه الوقفة:

- أن «**الرجز**»: هو العذاب وهو العقاب كما قال به الكسائي.
- وأما «**الرجس**»: فهو النجاسة والقذارة كما قال بذلك ابن منظور في «**لسان العرب**»،

والله ﷻ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

١٠٤) آلية التقديم والتأخير ونظامه في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ موجزةٌ مختصرة عن آلية التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم، وعن هذا النظام البياني البديع الذي جاء به القُرْآن الكريم.

التقديم والتأخير فنٌ عربيٌ فصيح ازدان جمالًا وروعةً لما ورد في كتاب الله ﷻ، وهو من الأساليب البيانية التي عنىٰ الله بها التحدي لأهل العربية.

وقد أمعن القُرْآنُ الكريم في ذلك لمَّا استغرق جميع أساليب التقديم والتأخير، وقد بلغ القُرْآنُ الكريم الذروة في ذلك في وضع الكلمة في مكانها المناسب اللصيق، بحيث تنظر إلىٰ هذه الكلمة في جميع أجزاء القُرْآن لا تملك إلا أن تقول: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [سورة هود:١].

وقد تكلَّم عبد القاهر الجرجاني في كتابه «**دلائل الإعجاز**» عن نظام التقديم والتأخير في اللغة العربية وفي كتاب الله ﷻ، ومجمل ذلك أن التقديم والتأخير يرجع إلىٰ أصلين وإلىٰ قسمين وإلىٰ ضربين:

❍ فأما الضرب الأول: **فتقديم اللفظ علىٰ عامله**، ويعنون بالعامل إما الفعل وإما المبتدأ، فيتقدم علىٰ الفعل إما المفعول به كقوله تعالىٰ: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة الأحزاب:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [سورة الزمر:٦٦].

ويتقدم علىٰ الفعل أَيْضًا الجار والمجرور كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [سورة البقرة:٢٨].

ويتقدم علىٰ المبتدأ خبرُه كقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

ويتقدم أَيْضًا خبر إن علىٰ اسمها كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ⑫﴾ [سورة المزمل:١٢].

وكل هذا النوع من التقديم والتأخير يفيد عند أهل البيان وعند أهل العربية الحصر والقصر والاختصاص.

❍ **وأما الضرب الثاني: فتقديم اللفظ علىٰ نظيره وعلىٰ مثله وعلىٰ شبيهه**، كتقديم الجن علىٰ الإنس وتقديم اللعب علىٰ اللهو والعكس، وتقديم السماوات علىٰ الأرض والعكس، وتقديم الضر علىٰ النفع وأَيْضًا عكسه.

وهذا التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم يتحكم فيه المعنىٰ القُرْآني ويتحكم فيه السياق القُرْآني، فأسبابه ترجع إلىٰ السياق القُرْآني فلابد للمتدبر والمتأمل أن ينظر في السياق القُرْآني.

والعرب لا يُقدِّمون إلا لسبب، فإذا تغيرت مجريات الأحداث وجاء الواقع علىٰ خلاف أصله قدَّموا ما له حق التأخير وأخَّروا ما له حق التقديم، والقُرْآنُ الكريم راعىٰ بذلك سَنَن اللغة العربية بل فاق في ذلك اللغة العربية، والله أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠٥) السر التعبيري في قوله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في شأن أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف: ٢٥]؛ هذه الآية هي فصل الخطاب في مدة لُبث أهل الكهف في كهفهم، يقرره لنا عالم الغيب والشهادة وهو الله ﷻ الذي أبصرهم وسمعهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [سورة الكهف:٢٦].

ومعلومٌ أن أهل الكهف لبثوا في كهفهم مدةً واحدة غير أنَّ القُرْآنَ الكريم قال في ذلك: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥]، فما السر التعبيري في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥]؟!

القُرْآنُ الكريم حَسِبَ هذه المدة الزمنية بحسابين معلومين:

- فمن حسبها بالشهور الشمسية التي تمثل التاريخ الميلادي فهي ثلاث مائة سنة.
- ومن حسبها بالشهور القمرية التي تمثل اليوم التاريخ الهجري فهي ثلاث مائة وتسع سنين.

وقد ذكر هذا جمعٌ غفيرٌ من أهل التأويل منهم القرطبي في تفسيره الجامع، والزيادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥]، ذلك أن السنة الشمسية تَفْضُل علىٰ السنة القمرية أحد عشر يومًا، وهذه الزيادة التراكمية جاءت في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥].

وهذا من عظمة التعبير في كتاب الله ﷻ ومن إعجاز هذا القُرْآن العظيم الذي نزل من حكيمٍ حميد؛ والذي قال الله ﷻ فيه: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [سورة الفرقان:٦]، وبهذا تتجلّىٰ هذه الآية ومعناها، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(١٠٦) ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء:١٠٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]، فأخبر الله ﷻ بهذه الآية أنَّ قومَ نوحٍ كذبوا جميع الرسل مع العلم أن قوم نوح لم يرسل لهم إلا نوحٌ عليه السلام فكيف يكون تكذيبهم لجميع الرسل؟!

دعوة الرسل هي دعوةٌ واحدة فكلهم يدعون إلىٰ الله ﷻ بدعوة التوحيد وهي: إفراد الله ﷻ بالعبادة؛ وكلهم يقولون لأممهم وأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:٥٩].

ومعلومٌ أن الكفر برسول يقتضي الكفر بجميع الرسل لذلك ردَّ الله ﷻ علىٰ الذين يُفرِّقون بين رسل الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾ [سورة النساء:١٥٠-١٥١].

فالإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض هذه إهانةٌ لرسل الله ﷻ، لذلك قال الله تبارك وتعالى في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾ [سورة النساء:١٥١]، نعم هنالك اختلافٌ بين تشريعات الرسل في العبادات كما قال عيسىٰ عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة آل عمران:٥٠].

وأما أن يؤمن الواحد برسول ويكفر بآخر فلا مجال له بذلك لأنَّ دعوة الرسل هي دعوةٌ واحدة؛ وبهذا تتجلَّىٰ معنىٰ آية الشعراء والله أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(١٠٧) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الزخرف:٢٢]
﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الزخرف: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الزخرف:٢٢].

في حين أن الله ﷻ يقول في الآية التاليةِ لها: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣].

فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الزخرف:٢٢].

وقال في الثانية: ﴿مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣].

فاختلفت الفواصل في هذه الآيات لاختلاف السياق:

- ففي الآية الأولىٰ الحديث عن كفار مكة الذين عاصروا النبي ﷺ بدلالة السياق القُرْآني إذ يقول الله -جَلَّ شأنه- فيه: ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ٢١﴾ [سورة الزخرف:٢١]، ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ [سورة الزخرف:٢١]؛ أي من قبل القُرْآنَ. ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ٢١﴾ [سورة الزخرف:٢١]؛ أي: معتصمون بهذا الكتاب: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [سورة الزخرف:٢٢]؛ أي: علىٰ دين: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الزخرف:٢٢]، فذكر الاهتداء لما جاء ذكر الكتاب في السياق لأن الاهتداء غالبًا يكون عن طريق العلم وعن طريق الكتاب.

- أما في الآية الثانية فهي في الكفار الذين سبقوا النبي ﷺ من الأمم السابقة الغابرة بدلالة السياق أَيْضًا، إذ يقول الله ﷻ فيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣].

فذكر الاقتداء وهو التأثُّر بمن سبق والتقليد لمن سبق والاحتذاء بمن سبق، ولما ذكر الاقتداء ذكر في السياق المترفون، والمترفون هم من الوزراء والسلاطين والخلفاء والملوك وأصحاب الثراء كما جاء عند الواحدي في تفسيره.

وهؤلاء الطائفة غالبًا تتأثَّر وتحتذي وتمتثل أمر من سبقها فقال الله ﷻ في سياق الآية: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣]، فذكر الاقتداء لما ذكر المترفين، وذكر الاهتداء لما جاء ذكر الكتاب في السياق، فكل فاصلةٍ ناسبت سياقها وهذا من تأويل هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠٨) ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢]
﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة:٣٢]، في حين أن الله ﷻ يقول في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [سورة الأعراف:١٠١].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢].
- وقال في الثانية: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١].

أما الآية الأولىٰ فقد جاءت في القُرْآنِ الكريم بهذا اللفظ مرتين؛ وأما الآية الثانية فقد جاءت في القُرْآنِ الكريم بهذا اللفظ ستَّ مرات، فما السر البياني في اختلاف هذه الألفاظ في هاتين الآيتين؟!

بدايةً، لفظ «رسل» أُضيفت إضافتين:

- إضافة تشريفٍ إلىٰ الله ﷻ «رُسُلُنَا».
- وإضافةٌ إلىٰ ضميرِ الغائب -وهم الناس- «رُسُلُهُمْ» وبالنظر والتأمل والتدبر لكتاب الله ﷻ نجد أن قوله تعالىٰ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢]، يأتي في سياق التكليف والتشريع، كما قال الله ﷻ في سياق التشريع في سورة المائدة: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ

جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة:٣٢]، فلما كان سياق تشريع قال الله ﷻ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢].

وأما في سياق التكليف فقد قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ [سورة الأعراف:٣٧]، هذا سياق تكليفٍ بالوفاة لرسل الله ﷻ فقال في الآية: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة الأعراف:٣٧].

وإذا أعدنا الكرة بالنظر لكتاب الله ﷻ وبالتأمُّل والتدبُّر وجدنا أن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١]، يأتي في سياق العقاب والهلاك والدمار والعذاب، كما قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٠١]، هذا سياق عقاب فقال الله ﷻ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١].

وقال الله ﷻ في يونس: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة يونس:١٣]، هذا سياق هلاك فقال الله ﷻ في الآية: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة يونس:١٣].

وقال الله ﷻ في فاطر: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة فاطر:٢٥-٢٦]، هذا سياق عقابٍ وعذاب فقال الله ﷻ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة فاطر:٢٥].

إذًا، يتبين لنا من خلال هذه الوقفة السريعة أن قوله تعالىٰ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢] في سياق التشريع والتكليف، وقوله تعالىٰ: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١] في سياق الهلاك والدمار والعقاب والعذاب، والقُرْآنُ شاهدٌ بأمثلته، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٠٩) (التحسُّس) و (التجسُّس) في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يوسف:٨٧].

في حين قال الله ﷻ في سورة الحجرات: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات:١٢].

– فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ [سورة يوسف:٨٧].

– وقال في الثانية: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

فما الفرق بين التحسُّس والتجسُّس في اللغة وفي التعبير القُرْآني؟!

فرَّق العلماء بين هاتين الكلمتين فقالوا: «**إن التحسُّس يكون في الخير عامة وأما التجسُّس فيكون في الشر**»، والتحسس يكون بالحاسة كاليد مثلًا والقائل هنا يعقوب عليه السلام لما كان أعمىٰ، أما التجسُّس فيكون غالبًا بالاستماع.

وقالوا: إن التحسُّس يطلبه الشخص لنفسه، أما التجسُّس فيطلبه الشخص لغيره، والتحسُّس يكون في الخير في البحث عن أخبار الناس وعمَّا يطلبه الناس والتفقد في حاجات الناس ومساعدة الناس.

أما التجسُّس فالبحث عن عيوب الناس وعن أسرار الناس ومعايبهم لذلك نهىٰ الله ﷻ عن التجسُّس وقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

وبهذا يتبين الفرق بين هاتين الكلمتين، أما من حيث الكتابة بين التحسُّس والتجسُّس فالفرق بينهم «**نقطة الجيم**» كما هو معلوم، هذه النُقطة أحدثت فرقًا كبيرًا بين هاتين الكلمتين في المعنىٰ، والله أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٠) الفرق بين (النصب ، اللغوب) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ الهادي البشير نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة فاطر: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾ [سورة فاطر:٣٥].

فما معنىٰ «النصب»؟! وما معنىٰ «اللغوب»؟! وهل اللفظان بمنزلةٍ واحدة وعلىٰ معنىٰ واحد كما يقول به بعض أهل التأويل؟!

- عند الزمخشري في الكشاف قال: «النصب: هو التعب والمشقة».
- وعند البغوي في معالم التنزيل: «النصب: هو التعب».
- وأما اللغوب فعند الزمخشري في تفسيره: «هو الفتور الذي يصيب الجسم».

إذًا يتبين من هذا أن «النصب»: هو التعب الشديد الذي معه تخور قُوىٰ الجسم فلا يصبح في الجسم قوة ولا يستطيع الجسم معه أن يقوم بمزيدٍ من عمل.

يقول الله ﷻ لنبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح:٧]، عند ابن جريرٍ: «انصب: أي في عبادة ربك»، أي: اتعب تعبًا شديدًا معه تخور وتنتهي قوة الجسم، كل ذلك شكرًا لله ﷻ وطاعةً لله ﷻ، لذلك النبي ﷺ كما جاء في الحديث «قام من الليل حتىٰ تفطَّرت قدماه».

ويقول الله ﷻ في نعيم أهل الجنة وكمال هذا النعيم: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾ [سورة فاطر:٣٥]، فذكر «النصب»: وهو التعب الشديد وذكر «اللغوب»: وهو فتور الجسم وبداية هذا التعب، وذكرهما معًا جميعًا لأنَّ ذكر أحدهما ربما يتوهم القارئ أن الآخر قد يقع، فنفىٰ الله ﷻ جميع الاثنين وكلا الاثنين، وذلك من نعيم أهل الجنة وكمال هذا النعيم.

ويقول الله ﷻ في سورة الكهف: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الكهف:٦٢]؛ أي: تعِبنا تعبًا شديدًا من جرَّاء هذا السفر.

إذًا، «**النصب**»: هو التعب الشديد الذي معه تخور وتنتهي قوة الجسم، وأما «**اللغوب**»: فهو فتور الجسم وبداية هذا التعب، وإذا حصل اللغوب فإن في الجسم بقيةً من قوة، وربما يستطيع الإنسان مع اللغوب أن يقوم بمزيدٍ من العمل، وقد افترت اليهود وزعمت علىٰ الله ﷻ زعمًا باطلًا عليها من الله ما تستحق لمَّا قالت: «**إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السبت**».

فردَّ الله ﷻ علىٰ هذا الزعم بقوله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨]، أي: لم يصبنا أيُّ لغوب، حتىٰ هذا اللغوب وهو بداية التعب وفتور الجسم لم يصب الله ﷻ، وهذا من عظمة الخالق الجبار.

وليس هذا فحسب بل إن الله ﷻ قال في الآية: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨]، و«**من**» هنا تسمىٰ الاستغراقية؛ أي: استغرقت جميع هذا اللغوب فلم يُصِبْ الله ﷻ شيءٌ مما قالت اليهود عليها من الله ما تستحق.

إذًا؛ يتبين لنا من هذه الوقفة اليسيرة أن «**النصب**» وأن «**اللغوب**» كل واحدٍ من هذه الكلمات لها معنىٰ خاصٌ بها، وأنه لا ترادُف في كتاب الله ﷻ، فكل كلمةٍ لها شخصيتها في السياق، وكل كلمةٍ لها عملها ومعناها في السياق، فظاهر هذه الكلمات الترادف وباطنها الاختلاف، وهذا من تأويل هذه الكلمات والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١١) ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام: ١٣١]
﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود: ١١٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام: ١٣١].

في حين قال الله ﷻ في هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود: ١١٧].

والآيتان تتحدثان عن عدل الله ﷻ وأن الله ﷻ لم يظلم أحداً كما قال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [سورة فصلت: ٤٦].

- فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام: ١٣١].
- وقال في الآية الثانية: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود: ١١٧].

فاختلفت هذه الفواصل بين هاتين الآيتين ولا ريب أن هذا الاختلاف راجعٌ لاختلاف السياق، فما السِرُّ في ذلك؟

بدايةً؛ «**الغافل**» من معانيه في القُرْآنِ الكريم: هو الذي لم يُنذر، وهو الذي لم يُرسل إليه رُسُلًا.

والسياق في سورة الأنعام يتحدث عن إقامة الحُجَّة علىٰ الثقلين يوم القيامة بإرسال الرسل والنذر كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [سورة الأنعام: ١٣٠].

ثم قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام:١٣١]، أي: أنَّ الله ﷻ لم يُعذِّب قرىٰ ولم يهلك أممًا أو أقوامًا إلا بعد إنذارهم وبعد أن أرسل إليهم رسلًا وأنزل إليهم كتبًا؛ لذلك قال الله ﷻ في الفاصلة: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام:١٣١].

أما في سورة هود فقال الله ﷻ: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود:١١٧]، و«**المُصْلِح**»: هو الذي تعدَّىٰ صلاحه إلىٰ غيره، والسياق يتحدث عن الفساد في القرىٰ وأنَّ هذا الفساد انتشر في القرىٰ ولم يكن هنالك مصلحون لهذا الفساد.

فقال الله ﷻ في سياق هود: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [سورة هود:١١٦].

إذًا هذه القرىٰ فاسدة، فقال الله ﷻ في الفاصلة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود:١١٧]، والصلاح عكسه الفساد، لذلك ختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود:١١٧].

فكل آيةٍ ناسبت سياقها، وهذا تأويل هذه الفواصل في كتاب الله ﷻ، وكل آيةٍ انسجمت مع معاني آياتها، والله أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٢) ﴿مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٣١]

﴿لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة هود:١١٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام:١٣١].

في حين قال الله ﷻ في سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود:١١٧].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ بصيغة الاسم: ﴿مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٣١].
- وقال في الآية الثانية بصيغة الفعل: ﴿لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة هود:١١٧].

فاختلف التعبير بين هاتين الآيتين في هاتين الصيغتين، فما السر البياني في اختلاف هذه الصيغ في كتاب الله ﷻ؟

أولًا: لابد أن نقرر قاعدةً لغوية تقول: «**أن التعبير بالاسم يدل علىٰ الثبوت والدوام والاستقرار، وأن التعبير بالفعل يدل علىٰ الحدوث والتجدد**».

وإذا نظرنا وتأمَّلنا في سياق الآيتين وجدنا أن في سورة الأنعام الحديث في الآخرة، كما قال الله ﷻ مقيمًا الحُجَّة علىٰ الثقلين بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [سورة الأنعام:١٣٠].

هذا الكلام في الآخرة، والآخرة ثبتت واستقرت، لذلك قال الله ﷻ بعدها: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٣١]، فجاء التعبير بالاسم لأن الحديث عن

الآخرة، والتعبير بالاسم يدل علىٰ الثبوت والتجدد والاستقرار والآخرة كذلك، فتناسب اللفظ مع سياقه.

وأما في سورة هود فإن الحديث في الدنيا كما قال الله ﷻ عن أهل القرىٰ التي فسدت: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة هود:١١٦]، وهذا في الدنيا، والدنيا لازال فيها تجدد وحدوث ولازال هنالك فرصة للتغيير، فقال الله ﷻ بصيغة الفعل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة هود: ١١٧].

فجاء التعبير بالفعل الذي يدل علىٰ التجدد والحدوث لما كان الحديث عن الدنيا، وجاء التعبير بالاسم الذي يدل علىٰ الثبوت والدوام وهو ﴿مُهْلِكَ﴾ [سورة الأنعام:١٣١]؛ لما كان الحديث عن الآخرة؛ فكل لفظٍ ناسب سياقه، وهذا من روعة التعبير القُرْآني، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٣) ﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الواقعة:٥١]
﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الواقعة:٩٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الواقعة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الواقعة:٥١-٥٢].

في حين يقول الله ﷻ بعدها: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة الواقعة:٩٢-٩٤].

فقَدَّم الله ﷻ في الآية الأولىٰ لفظَ «**الضَّالِّين**» وقال: ﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الواقعة:٥١].

وقدم الله ﷻ في الآية الثانية لفظَ «**الْمُكَذِّبين**» وقال: ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الواقعة:٩٢].

وكل لفظةٍ نالت شَرَفها في التقديم في سياق القُرآن الكريم، وكل لفظةٍ قدَّمها القُرآنُ الكريم لها العناية ولها الأولوية ولها الاهتمام أكثر من غيرها، فالمعنىٰ يدور عليها؛ فلما قدَّم الله ﷻ لفظَ «**الضَّالِّين**» كان المعنىٰ عليهم أكثر من غيرهم، كما قال الله ﷻ قبل هذه الآية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الواقعة:٤٥]؛ أي: مُنَعَّمين: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الواقعة:٤٦]، ما هو الحِنث العظيم؟!

جاء تفسيره عند ابن عباس رضي الله عنهما كما نقل ابن جريرٍ -رحمه الله تعالىٰ- قال: «**هو الذنب العظيم**".

وروي تفسيره عن ابن عباسٍ أَيْضًا: «**هو الشرك**»، وكلا التفسيرين علىٰ معنىٰ واحد، فليس بعد الشرك من ذنب.

فوصفهم الله ﷻ لَّما ارتكبوا الشرك ولمَّا ارتكبوا الذنب العظيم، وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١﴾ [سورة الواقعة:٥١]، فليس بعد الشرك من ضلال، فقدَّم اللفظة عنايةً بها في هذا السياق.

وأما في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ [سورة الواقعة:٩٢]، قدَّم لفظَ «الْمُكَذِّبِين» لأن الحديث يدور عن المكذبين كما قال الله ﷻ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ [سورة الواقعة:٨١].

وقوله: ﴿مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ [سورة الواقعة:٨١]، جاء تفسيره عند ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء عند ابن جرير: «هم المكذبون».

ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [سورة الواقعة:٨٢]؛ إذًا الجو العام كُلُّه يتكلم عن المكذبين، فقدَّم الله ﷻ لفظَ «الْمُكَذِّبِين» عنايةً بهم في هذا السياق، فكل لفظةٍ نالت شرفها في التقديم في السياق القُرْآني، وهذا من تأويل هذه الألفاظ المتباينة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٤) (الخُفية) و (الخِيفة) في تعبير القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأعراف: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [سورة الأعراف:٥٥].

في حين يقول الله ﷻ في السورة نفسها: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٥].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: «خُفْيَة».
- وقال في الثانية: «خِيفَة».

و«الخُفْيَة»: هي من الخفاء، و«الخِيفَة» هي من الخوف، كما قال أهل التأويل وأهل اللغة، فقال الله ﷻ في سياق الدعاء: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا﴾ [سورة الأعراف:٥٥]؛ أي: إنابةً وتذللًا وخشوعًا؛ «وَخُفْيَةً» أي: خفاءً في الدعاء، لذلك عقَّب الله بعدها وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [سورة الأعراف:٥٥].

والدعاء الأنفع له أن يكون خفاءً أخلصُ للقلب وأبعدُ عن الرياء كما قال العلماء؛ ولذلك قال الله ﷻ ممتدحًا نبيه زكريا عليه السلام: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾ [سورة مريم:٣]، قال العلماء: «في جوف الليل أخلص للعمل وأبعد عن الرياء».

أما «الخِيفَة»: فهي من الخوف، وقال الله ﷻ في سياق الدعاء أَيْضًا: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٥]؛ أي: خوفًا وإجلالًا لله العظيم ﷻ، فلابد للقلب أن يكون خائفًا في حال الدعاء تضرعًا وإجلالًا وتعظيمًا لله ﷻ.

وقال الله ﷻ في شأن ضيف إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ [سورة الذاريات:٢٨]؛ أي: خاف منهم إبراهيم عليه السلام.

وقال الله ﷻ في شأن موسىٰ عليه السلام: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [سورة طه:٦٧].

إذًا: «**الخِيفَة**»: هي من الخوف، و«**الخُفْيَة**»: هي من الخفاء، واللفظان جاءا في سياق الدعاء، فكلاهما مطلوبان في الدعاء، فالدعاء:

- لابد أن يكون خُفيَةً.
- ولابد أن يكون خِيفةً إجلالًا لله وتعظيمًا.

والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٥) ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء: ٣١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

في حين يقول الله ﷻ في الإسراء: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء: ٣١].

هذه الآيات من جملة الوصايا العشر التي وصَّىٰ الله بها عباده جاءت في سورة الأنعام وجاءت في سورة الإسراء، جاءت في سورة الأنعام في سياق الفقراء والمحتاجين، وجاءت في سورة الإسراء في سياق الأغنياء.

لما كان السياق سياق فقراء قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، يعني: من فقر؛ فالفقر واقعٌ بهم ونازلٌ بهم، ولما كان الحال والسياقُ سياقَ أغنياء قال الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾ [سورة الإسراء: ٣١]؛ أي: خوفَ الفقر، فالفقر لم يقع بهم ولم ينزل بهم، إنما لا تقتلوهم خشية الفقر.

فقدَّم الله ﷻ الآباء في سورة الأنعام ضمانًا لحياتهم لما وقع ونزل بهم الفقر، واهتمامًا لهم وعنايةً بالآباء؛ وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، فقدَّم الله ﷻ الآباء ضمانًا لحياتهم.

وقدَّم الله ﷻ الأبناء في سورة الإسراء رحمةً بهم ولُطفًا بهم لما لم يقع الفقر فيهم؛ وقال الله ﷻ في الآية: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء: ٣١]، فقَدَّم الأبناء رحمةً بهم وعنايةً بهم ولطفًا لهم.

والله ﷻ هو الرازق للطائفتين، فلما كان الحال فقرًا قَدَّم الآباء عنايةً بهم وضمانًا لحياتهم؛ ولما كان الحال غنىٰ قَدَّم الأبناء رحمةً بهم ولطفًا بهم، هذا هو التقديم والتأخير في كتاب الله ﷻ ولا نقول: أن هذا من باب المزاوجة في الألفاظ كما يقول به بعض علماء التفسير.

إنما القُرْآن يُقدِّم ما له العناية في السياق والاهتمام، ويهتم بالكلمة ويُقدِّمُها علىٰ غيرها احتفالًا بها واهتمامًا لها، شأنه بذلك شأن اللغة العربية؛ والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٦) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر:١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

عظَّم الله ﷻ ليلة القدرِ وأنزل سورةً كاملة باسمها؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [سورة القدر:١-٣].

وسمَّاها الله ﷻ بـ«**المباركة**» حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [سورة الدخان:٣]، فليلة القدر هي أفضل ليله في السنة نالت هذا الشرف العظيم بنزول القُرْآنِ الكريم فيها.

وقد قال الله ﷻ في الآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر:١]، ولم يقل: إنا نزَّلنه، والإنزال يقتضي أن المنزَّل جاء دفعةً واحدة وجملةً واحدة؛ وهكذا نَزَل القُرْآن الكريم من السماء السابعة إلىٰ السماء الدنيا جُملةً واحدة كما جاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما كما عند ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ في تفسيره.

ورويَ عن الشعبي: «أن القُرْآنَ الكريم كان ابتداء نزوله في ليلة القدر»، وسُميت بهذا الاسم لأن المقادير والأرزاق والحوادث تُقدَّر فيها كما قال أهل التأويل عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ [سورة الدخان:٣-٤].

وقد جاء فضلها كما صحَّ عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تَقَدَّم من ذنبه**».

والعمل في هذه الليلة خيرٌ من ألف شهر كما جاء في كتاب الله ﷻ.

وقد سألت عائشة النبيَّ ﷺ فقالت: ما أقول في ليلة القدر؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفوا عني**».

وموطن هذه الليلة هي في الليالي الأوتار من العشرِ الأخيرِ من شهر رمضان، وكان أُبي بن كعب الصحابي الجليل يُقسِم أن ليلة القدر هي ليلة سبعٍ وعشرين؛ وقد جاء هذا عن ابن عباسٍ ﷺ وعن أَبِي هُرَيْرَة وعن غيرهم من الصحابة الكرام.

كل ذلك في فضل هذه الليلة العظيمة التي نزل القُرْآنُ الكريم فيها، فعلينا أيها الأحبة أن نجتهد في هذه الليلة ونتقرَّب إلىٰ الله ﷻ بالطاعة ولزوم كتاب ربنا -ﷻ- قراءةً وتأملًا وتدبرًا.

أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعلنا مما يوفق لليلة القدر ولقيامها إيمانًا واحتسابًا والتعبد فيها، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٧) سبب اختلاف وصف العذاب في قصة صالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في وصف عذاب ثمود: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [سورة الأعراف:٧٣]، وهذه الآية في الأعراف.

في حين قال الله ﷻ في هود: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤﴾ [سورة هود:٦٤].

وقال الله ﷻ في ثالثة في الشعراء: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦﴾ [سورة الشعراء:١٥٦].

فاختلفت هذه الفواصل مع اتحادٍ في القصة واتحادٍ في القائل، إذ أن القائل هو النبيُّ صالح -عليه السلام- فما سبب هذا الاختلاف؟

هذا الاختلاف راجعٌ إلىٰ اختلاف السياق في تلك القَصَص، ولعلنا نرجع إلىٰ هذه القصص لنرىٰ سبب هذه الاختلاف.

ففي سورة الأعراف بالغ النبي صالح عليه السلام لقومه في الوَعظ والنُصح والتوجيه والإرشاد؛ وعليه بالغ أَيضًا في وصف العذاب حيث قال الله ﷻ في الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٣﴾ [سورة الأعراف:٧٣].

قال الكرماني رحمه الله تعالىٰ في «متشابه القُرْآنَ»: «بالغ النبي صالح لقومه في الوعظ والتوجيه والنصح وعليه بالغ أَيْضًا في وصف العذاب».

وأما في سورة هود فإن النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ هدَّد قومه وتوعدهم بالعذاب بقوله: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة هود:٦٥]، ولا ريب ولا شك أنَّ ثلاثةَ أيام هي قريبة لذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ في القصة: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة هود:٦٤]، فانسجمت هذه الفاصلة مع الجو العام للقصة.

وأما في الشعراء فإن قصة الشعراء جاءت بخبرٍ عظيم وهو خبر الناقة حيث قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الشعراء:١٥٥-١٥٦]، فأخبر الله -جَلَّ شأنه- عن الناقة بأنها تشرب الماء كُلَّه في يوم؛ وهذا خبرٌ عظيم، وعليه قال الله عَزَّ وَجَلَّ في وصف العذاب: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الشعراء:١٥٦]، فانسجمت أَيْضًا هذه الفاصلة مع الجو العام للقصة.

وعذاب ثمود هو عذابٌ واحدٌ ولا ريب، ولا تنافر بين هذه الآيات، فالله عَزَّ وَجَلَّ عذَّب ثمود بالصيحة والرجفة؛ فلما صاح الملَك في السماء رجفت الأرض، وهذا عذابٌ أليمٌ قريبٌ من ثمود في يومٍ عظيم، وبهذا تجتمع هذه الآيات وهذه الفواصل، وهذا من تأويل هذا المتشابه في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٨) دلالة التعبير بالفعل (عذاب يخزيه) والاسم (عذاب مقيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة هود: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة هود:٣٩]، هذا تهديدٌ من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سَخِرَ منه قومه فهددهم بعذابين:

- عذابٌ يخزيه.
- وعذابٌ مقيم.

جاء عند ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره عند قوله: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة هود:٣٩]، قال: «**يُهينه في الدنيا**».

وعند الشوكاني وعند غيرة قال: هو الغرق.

وأما قوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة هود:٣٩]، فعند ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره قال: «**دائمٌ لا انقطاع له**».

وثمة فرقٌ بين هذين العذابين، وهذا الفرق ناشئٌ من اختلاف الصيغتين:

- فوُصف العذاب الأول بصيغة الفعل بقوله: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [سورة هود:٣٩].
- ووصف العذاب الثاني بصيغة الاسم بقوله تعالىٰ: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة هود:٣٩].

والقاعدة اللغوية البيانية تقول: «**أن الفعل يدل علىٰ التجدد والحدوث وأن الاسم يدل علىٰ الثبوت والدوام**»، فلما هدَّدهم بعذابٍ في الدنيا والدنيا منقطعة لا دوام لها وصف هذا العذاب بصيغة الفعل الذي لا يدوم، وهذا الفعل يدل علىٰ التجدد والحدوث فقال: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [سورة هود:٣٩]، جاء تفسيره عند غير واحد من أهل التأويل بأنه: الغرق.

ولما هددهم بعذابٍ دائمٍ مقيم كان ذلك في الآخرة، فَوَصف العذاب بقوله تعالىٰ: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٩﴾ [سورة هود:٣٩]، والآخرة دائمة لا انقطاع والاسم أَيْضًا يدل علىٰ الثبوت والدوام والاستمرار، فجاء وصف العذاب بقوله تعالىٰ: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٩﴾ [سورة هود:٣٩] و«مقيمٌ»: هو اسم فاعل أقام يقيم.

إذًا ثمة فرقٌ بين هذين العذابين ناشئٌ وراجعٌ إلىٰ اختلاف الحالين في العذابين، وهذا من بديع النظم القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١١٩) الفرق بين (الوالدان والأبوان)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة الأحقاف:١٥].

في حين أن الله ﷻ يقول في يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف:١٠٠].

فجاء لفظ «**الوالدين**» في الآية الأولىٰ ولفظ «**الأبوين**» في الآية الثانية، والوالدان والأبوان اسمان ولفظان لمسمىٰ واحد هما: الأب والأم، كلاهما جاءا علىٰ جهة التغليب ومن باب التغليب في اللغة العربية، فما الدلالة البيانية في التعبير القُرْآني لهذين اللفظين؟!

إذا أجرينا مَسْحَةً سريعة علىٰ القُرْآنِ الكريم وألقينا نظرةً فاحصة في تعبير القُرْآن الكريم وجدنا أن كتاب الله ﷻ يُوظِّف لفظ «**الوالدين**» في باب الإحسان والبر والشفقة والدعاء والرحمة.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة النساء:٣٦].

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [سورة العنكبوت:٨].

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [سورة الأحقاف:١٥].

فكل هذه الآيات وغيرُها من كتاب الله ﷻ يأتي فيها لفظ «**الوالدين**» في سياق البر والإحسان والصلة والدعاء، ذلك أن الأم أكثر حقًا من الأب علىٰ الأبناء في الدعاء والبر والإحسان.

كما قال وسأل الصحابي النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من أحق الناس بحسن صُحبتي؟ قال: أمك؛ قال ثم من؟ قال: أمك؛ قال ثم من؟ قال: أمك؛ قال ثم من؟ قال: أبوك»، فالأم أكثرُ حقًا من الأب علىٰ الأبناء في البر والإحسان والشفقة.

وقد أخذ العلماء من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة إبراهيم في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [سورة إبراهيم:٤١]، أخذوا من هذه الآية: (أَنَّ أُمَّ إِبْرَاهِيمْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِدَلَالَةِ لَفْظ «وَلِوَالِدِيَّ» فِي اَلْآيَةِ)، وَأَمَّا أَبُوهُ فَبِنَصِّ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ هُوَ مُشْرِكٌ.

وأما لفظ «الأبوين» فإن هذا اللفظ يأتي في سياق القُرْآن الكريم في ثلاثة مواطن:

❍ أولها: في سياق الإرث والميراث، ومعلومٌ أن الأب أكثر حقًا في الميراث من الأم كما قال الله ﷻ: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [سورة النساء:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [سورة النساء:١١]، ففي سياق الميراث يوظِّف القُرْآن الكريم لفظ «الأبوين».

❍ وثاني هذه المواطن: في سياق الفخر، ومعلومٌ أن العرب كانت تفتخر بآبائها، ومن هذا المعنىٰ قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [سورة البقرة:٢٠٠]، فكانت العرب في الجاهلية إذا نزلت مزدلفة تفتخر بآبائها، فقال الله ﷻ آمرًا عباده في الحج: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة:٢٠٠]، أذكروا الله العظيم: ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [سورة البقرة:٢٠٠].

ومن هذا أَيْضًا قول الله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [سورة يوسف:١٠٠]، وهذا مقام فخر، والفرزدق يفتخر علىٰ جرير بآبائه وكانوا كرامًا، فكان يقول:

أولئكَ أبائي فجئني بِمثلهمْ ... إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

فيا عجبًا حتىٰ كُليبٌ تسبني ... كأنَّ أباها نهشلٌ أوْ مجاشعُ

- وثالث هذه المواطن في سياق النسب: فالإنسان لمن ينتسب؟ لا ريب أنه ينتسب لأبيه، وقد أمر الله ﷻ بذلك فقال: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الأحزاب:٥].

وقوله تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾ [سورة الكهف:٨٠].

إذًا، في هذه العُجالة وختامًا لهذه الوقفة: يتبين لنا أن التعبير القُرْآني يزاوج بين الألفاظ، ولا تتكافأ مثل هذه الألفاظ في سياق القُرْآن الكريم، فهذه الألفاظ ظاهرها الترادف وباطنها الاختلاف، وهذا من بديع التعبير القُرْآني والدلالة البيانية للفظ «الوالدين» و«الأبوين»، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٠) (الأمثال للناس) و (للناس أمثالهم)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا الهادي البشير.

يقول الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٥].

في حين يقول الله ﷻ في سورة محمد: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة محمد:٣].

- فقدَّم الله ﷻ لفظ «**الأمثال**» في آية إبراهيم وقال: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٥].
- وقدَّم الله ﷻ لفظ «**الناس**» في سورة محمد وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة محمد:٣].

وظاهرة التقديم والتأخير في القُرْآن تُعطي الكلمة أولويةً وعنايةً كبيرة، فالسياق القُرْآني يقدم ما له العناية والتركيز والاهتمام ويعطيها مزيدًا من الإيضاح، إذًا الفيصل في هذا هو السياق القُرْآني، فدعونا نحتكم إلىٰ كتاب الله ﷻ في مثل هذه الآيات:

يقول الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [سورة إبراهيم:٢٤-٢٥]، هذا مثلٌ ضربه الله للناس في الآية فقدَّم عندها لفظ «**الأمثال**» وقال: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٥].

ونظير ذلك قوله تعالىٰ في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤١]، هذا مثلٌ ضربه الله للناس في هوان عبادة المشركين،

فعندها قدَّم الله ﷻ لفظ «**الأمثال**» في الآية وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٣].

ونظير ذلك أَيْضًا قوله تعالىٰ في سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الحشر:٢١]، ثم قال الله ﷻ بعد ضرب هذا المثل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحشر:٢١].

إذًا، إذا حوت الآية وضمَّت الآية مَثَلًا ضُرب للناس عندها يُقدِّم القُرْآن الكريم لفظ «**الأمثال**» في جميع القُرْآن.

أما ما جاء في سورة محمد فإن الله ﷻ يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة محمد:٣]، هذه الآية بيَّنت حقيقة طائفتين وصنفين وفريقين من الناس هم:

- أهل الباطل.
- وأهل الحق.

فقدَّم الله ﷻ في الآية لفظ «**الناس**» وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة محمد:٣]، ولم يكن ثمة مثل ضرب في الآية للناس في سورة محمد، وهذه الآية هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي قُدِّم فيها لفظ «**الناس**» علىٰ لفظ «**الأمثال**».

وحاصل هذه الوقفة: أن القُرْآنَ الكريم يعطي أولويةً وعنايةً كبيرة للكلمة المُقدَّمة في السياق القُرْآني، وهذه الوقفة شاهدةٌ علىٰ هذا، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢١) ﴿بما تعملون بصير﴾ ﴿والله بما تعملون خبير﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله جل شأنه في غير ما آية من كتابه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٥، سورة آل عمران:١٥٦، سورة الأنفال:٧٢، سورة الحديد:٤، سورة الممتحنة:٣، سورة التغابن:٢].

- في حين يقول الله ﷻ نظيرةٌ له: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤، سورة البقرة:٢٧١، سورة آل عمران:١٨٠، سورة الحديد:١٠، سورة المجادلة: ٣، سورة المجادلة:١١، سورة لتغابن:٨] هذه من الفواصل القرآنية التي تتردد كثيرا في كتاب الله ﷻ والتي يتسائل عنها القارئ للقرآن الكريم عن سبب سِرِّ هذا الاختلاف بين هاتين الفاصلتين.

فمتىٰ يختم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وبقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؟!

بداية؛ «**البصير**»: «**هو العالم بظواهر الأمور وعلانيتها**».

وأما «**الخبير**»: «**فهو العالم ببواطن الأمور وأسرارها**».

والبصير والخبير من أبنية المبالغة علىٰ وزن فعيل، كلتا الكلمتين تدل علىٰ ثبوت الصفة لله ﷻ ثبوتـًا قطعيـًا بما يليق بجلاله وعظمته.

- وهذه الآيات ترددت في القرآن الكريم كثيرا، فقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ترددت في القرآن الكريم خمس عشرة مرة باختلاف صيغها.

- وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فقد ترددت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة باختلاف صيغها.

- فإذا كان السياق القرآني يتحدث عن أمورٍ مشاهدة مرئية مُبصرة فإنه عندئذٍ يختم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، كقوله تعالىٰ في البقرة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠﴾ [سورة البقرة:١١٠]، فختم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠﴾ [سورة البقرة:١١٠]؛ للأمور المُشاهدة المرئية المُبصرة مثل إقامة الصلاة.

ويقول الله ﷻ: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١١﴾ [سورة سبأ:١١]، وختم بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ١١﴾ [سورة سبأ:١١]، أيضًا للأمور المشاهدة المرئية المُبصرة.

ويقول الله ﷻ في سورة الفتح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ [سورة الفتح:٢٤]، فختم الله ﷻ الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ [سورة الفتح:٢٤] للسبب نفسه الذي ذُكر في الآيتين الآنفتين.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيأتي هذا الختام وتأتي هذه الفاصلة في الآيات التي تتحدث:

- عن أمور خفية غير ظاهرة.
- وعن أمور قلبية.
- وعن أسرار الأمور كقوله تعالىٰ مثلا في النفقة: ﴿إِن تُبۡدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١﴾ [سورة البقرة:٢٧١]، فختم الله ﷻ بهذه الفاصلة في النفقة الغير مرئية والتي أسرَّها المُنفق لله ﷻ،

وقد حثَّ عليها القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧١].

ويقول الله ﷻ نظيرةٌ لهذه الآية في الذين بخلوا بأموالهم؛ كما قال الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ [سورة آل عمران:١٨٠]، فختم الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ [سورة آل عمران:١٨٠]؛ للأمور القلبية وهو البُخل، فالآية تتحدث عن البُخل، والبُخل من الأمور القلبية فختم بهذه الآية مناسبةً للسياق.

- وفي المشاكل الزوجية يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [سورة النساء:١٢٨]، والشُّح هو البخل، فختم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [سورة النساء:١٢٨].

إذن؛ ختاماً لهذه الفاصلة ولهذه الوقفة:

- يختم القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ للأمور المُشاهدة المرئية.
- ويختم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ للأمور القلبية السرية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ.

وهذه الوقفة وهذه الآيات شاهدة علىٰ هذا الأمر وعلىٰ هذا الخط العام في القرآن الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٢) الضر والنفع في القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ موجزه مختصرة حول لفظتي «الضُّر» و«النفع» في القُرْآنِ الكريم؛ فالقارئ لكتاب الله ﷻ يتساءل عن تقديم «الضُّر» علىٰ «النفع» وتقديم «النفع» علىٰ «الضُّر» وما السرُّ البياني لذلك؟! وما الضابط في هذه المسألة؟!

بدايةً:

- قَدَّم الله ﷻ «الضُّر» علىٰ «النفع» في تسع آيات.
- وقَدَّم «النفع» علىٰ «الضُّر» في ثماني آيات.

ومسألة التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم قائمةٌ علىٰ تقديم ما له الأهم والعناية والتركيز في السياق القُرآني، وهذه قاعدة التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم وفي اللغة العربية.

فحيث قَدَّم القُرْآنُ الكريم «الضُّر» فإن السياق يتحدث عن ضررٍ يعود علىٰ الإنسان في الدنيا والآخرة؛ كما قال الله ﷻ لما تحدَّث عن السحر وعن خطر السحر قال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

فلما بيَّن الله ﷻ خطر السحر قدَّم ما له العناية في السياق فقدم الضر في الآية وقال: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، ولا ريب أن السحر ضررٌ علىٰ الفرد والمجتمع.

ومن ذلك قوله تعالىٰ أَيْضًا في سورة المائدة لما تحدث الله ﷻ عن اختلاف النصارىٰ في عيسىٰ، ولما ذكر الله ﷻ أقوال النصارىٰ في عيسىٰ قال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [سورة المائدة:٧٦]، فقدَّم الله ﷻ «الضُّر» لما تحدث عن أقوال النصارىٰ وأن هذه الأقوال عائدةٌ علىٰ قائلها وهم النصارىٰ بالضرر في الدنيا والآخرة.

وأما تقديم النفع في القُرْآنِ الكريم: فحيث ضمَّ السياق منافعَ كثيرة للإنسان في القُرْآنِ وفي السياق وعائدةٌ عليه بالنفع في الدنيا والآخرة يُقدِّم القُرْآنُ الكريم «النفع» علىٰ «الضُّر» في الآية، كما قال الله ﷻ في سورة الفرقان لما عدَّد الله ﷻ نِعمَه وآلائه علىٰ الإنسان قدَّم الله ﷻ «النفع» في آية الفرقان فقال الله ﷻ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [سورة الفرقان:٥٥].

وقد سبق هذه الآية منافع كثيرة منه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ٤٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [سورة الفرقان:٤٧-٤٨].

ثم قال الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾ [سورة الفرقان:٥٣] إلىٰ آخر السياق، فلما عدَّد الله ﷻ هذه المنافع قال الله ﷻ في نهاية السياق: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [سورة الفرقان:٥٥]، فقدَّم ما له العناية في السياق.

وصفوة هذا الكلام: أنَّ القُرْآنَ الكريم يُقَدِّم الكلمة التي لها الاحتفال والاهتمام والتركيز ويُسلِّط عليها الضوء، فحيث تحدث السياق عن ضررٍ كبير قَدَّم «الضُّرَّ» في آيات القُرْآنِ، وحيث تحدث عن منافع كثيرة قَدَّم «النفع» في آيات القُرْآنِ الكريم؛ وهذه الوقفة ماثلةٌ للناظرين وشاهدةٌ علىٰ هذه المسألة، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(١٢٣) (أنبأ) و (نبأ) في نظم القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمد الشاكرين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد الهادي البشير.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [سورة البقرة:٣٣].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة الأنعام: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [سورة الأنعام:١٤٣].

فجاء في الآية الأولىٰ بالفعل «أنبأ».

وجاء في الآية الثانية بالفعل «نبأ».

وكلا الفعلين يرجعان إلىٰ أصلٍ واحد وهو النبأ و«النبأُ»: هو الخبر العظيم.

والفعل «أنبأ» بهمزة التعدية جاء في القُرْآنِ الكريم أربع مرات.

في حين أن الفعل «نبأ» بالتضعيف جاء في القُرْآنِ الكريم ستًا وأربعين مرة.

والنظم القُرْآني والبيان القُرْآني يفرق بين هذين الفعلين؛ فلكل فعلٍ دَلالةٌ بيانيةٌ يقتضيها السياق القُرْآني، أما الفعل «أنبأ» فيطلقه القُرْآن في سياق البلاغ والإخبار فحسب، كما قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [سورة البقرة:٣٣]؛ أي: أخبرهم بأسمائهم، كما جاء ذلك تأويله عند قتادة رحمه الله تعالىٰ.

ونظيرٌ لهذا يقول الله ﷻ في سورة التحريم: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ [سورة التحريم:٣]؛ أي: من أخبرك هذا؟! ومن أطلعك عليه؟! ومن أبلغك علىٰ هذا الخبر؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [سورة التحريم:٣].

إذًا «أنبأ» يأتي في سياق القُرْآن في سياق الإبلاغ والخبر فحسب دون الإطالة ودون التفصيل ودون الشرح؛ أما «نبّأ» بالتضعيف، فمن مكونات هذا الفعل أن فيه التضعيف، والتضعيف من دلالته اللغوية عند أهل العربية يفيد الإطالة ويفيد البيان ويفيد الشرح.

وإذا ولَّينا أنظرنا إلىٰ كتاب الله ﷻ وجدنا هذا جليًا واضحًا في دلالة هذا الفعل كما قال الله ﷻ في سورة يوسف في أصحاب السجن: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦].

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾ [سورة يوسف:٣٦]، أي: فصِّل لنا في هذه الرؤيا واشرح لنا هذه الرؤيا، لم يقولوا «**أنبأنا**» إنما طلبوا الشرح والتفصيل والإطالة، لذلك أخذ يوسف عليه السلام في شرح هذه الرؤيا.

ونظيرٌ لهذا يقول الله ﷻ في قصة موسىٰ والخضر -عليهما السلام-: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ٧٨﴾ [سورة الكهف:٧٨]، «**سأنبئك**» أي: سأُفصِّل لك وسأشرح لك، إذن هذه دلالة هذا الفعل وهو «**نبّأ**» الذي يفيد التفصيل والشرح والإطالة والبيان.

وهذا له نظائرٌ كثيرة في القُرْآنِ الكريم وهذا من بديع النظم القُرْآني؛ إذًا لا ترادف في كتاب الله ﷻ فهذه الألفاظ ظاهرها الترادف وباطنها الاختلاف، وهذا من بديع النظم القُرْآني الذي أعجز الله به فُصحاء العرب وأئمة البيان في الجزيرة العربية والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٤) (يتساءلون ، يتلاومون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الصافات:٢٧].

في حين يقول الله ﷻ في سورة القلم: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة القلم:٣٠].

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الصافات:٢٧].

- وجاءت فاصلة الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة القلم:٣٠].

أما قوله تعالىٰ: ﴿يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الصافات:٢٧]، فقد جاءت هذه الآية وترددت هذه الآية في القُرْآنِ الكريم ثلاث مرات: اثنتان منها في سياق المؤمنين وواحدةٌ في سياق الكفار، والتساؤل كله في الآخرة؛ يتساءلون عن حالهم في الدنيا.

كما قال الله ﷻ في سياق المؤمنين: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الطور:٢٥-٢٨].

وأما في شأن الكفار فقد قال الله ﷻ في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الصافات:٢٧-٢٩]، قال أهل التأويل: «**القائل لهذا الكفار يخاطبون الجن الذين أضلوهم في الدنيا**».

وأما قولة تعالىٰ: ﴿يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة القلم:٣٠]، فهذه الآية في الدنيا، وهذه الآية جاءت في سياق أصحاب الجنة الذين مَنعوا الزكاة ومنعوا حقوق الله ﷻ ومنع حقوق الفقراء فدمَّر الله

ﷻ جنتهم كما قال الله ﷻ: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ [سورة القلم:١٩-٢٠].

فلما رأوها تلاوم بعضهم بعضًا، وألقىٰ باللائمة علىٰ بعض، كلٌ يلوم الآخر علىٰ ما حلَّ به من مصيبة وما حلَّت بهم من مصيبة في إهلاك جنتهم.

إذًا ثمة فرقٌ بين هذا التساؤل الواقع في الآخرة وهذا التلاوم الواقع في الدنيا من أصحاب الجنة الذين حلَّت بهم مصيبة، والذين أخذ بعضهم يلوم بعضـًا علىٰ ما أصابهم وما حلَّت بهم من نازلة ورزية، وهذا هو الفرق بين هاتين الآيتين أو هذا هو من الفرق بين هاتين الآيتين والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

(١٢٥) (كلام الله) و (كلمات الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطر السماوات والأرض، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة براءة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة التوبة:٦].

في حين يقول الله ﷻ في سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [سورة لقمان:٢٧].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].

وقال في الثانية: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة لقمان:٢٧].

جاء عند عامة أهل التفسير: «أَنَّ كَلَامَ اَللهِ هُوَ اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ، وَكَلِمَاتُ اَللهِ هِيَ عِلْمُهُ وَشَرْعُهُ وَهُدَاهُ».

- فجاء في الآية الأولىٰ بجمع الكثرة وقال: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].

- وجاء في الآية الثانية بجمع القلة وقال: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة لقمان:٢٧]، ولا ريب أن النظم القُرآني هو الذي يحدد اختيار هذين اللفظين في هاتين الآيتين، فلننظر في سياق القُرْآنِ الكريم.

يقول الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ﴾ [سورة التوبة:٦]، والآية تأمر النبي ﷺ بإعطاء الأمان للكفار عند سماع القُرْآنِ الكريم.

إذًا هو سياق استمالةٍ لقلوب الكفار وترغيبٍ لسماع القُرْآنِ الكريم ودعوةٍ إلىٰ الإسلام، ولا ريب أن سماع الكثير من القُرْآنِ الكريم أدعىٰ للقبول من سماع القليل؛ لذا جاء بجمع الكثرة وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].

وأما في آية لقمان فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [سورة لقمان:٢٧]؛ وهذه الآية تبين عظيم هُدىٰ الله وعظيم علمه وشرعه.

والمعنىٰ لو أن أشجار الأرض كلها أقلام والبحر من بعده سبعة أبحر كله مداد يُكتب به علم الله وشرعه ما نفد القليل من كلمات الله؛ فقال الله ﷻ: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [سورة لقمان:٢٧]، ولا ريب ولا شك أن جمع القلة هنا أنسب من جمع الكثرة إذ هو يبين عظيم علم الله ﷻ وعظيم هداه وعظيم شرعه.

إذًا، كل آيةٍ جاءت بما يناسبها، وكل جمعٍ ناسب السياق القُرْآني؛ وهذا من عظيم التعبير في كلام الله ﷻ الذي أعجز الله به صُنَّاع الكلام، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٦) التقارب في قصة يوسف وموسى -عليهما السلام-

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي هدانا للإسلام، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ موجزة تبين التناظر والتشابه بين النبيين الكريمين يوسف وموسىٰ -عليهما السلام-؛ فالمتأمِّل والمتدبِّر لحياة وقصة هذين النبيين الكريمين في القُرْآنِ الكريم يجد بينهما أوجهًا من التشابه والتقارب في التنزيل:

- من ذلك: أن النبيين الكريمين كلاهما من أنبياء بني إسرائيل، ولم يرسل الله -جَلَّ شأنه- لأهل مصر من أنبياء بني إسرائيل سوىٰ يوسف وموسىٰ -عليهما السلام-، والذي أدخل بني إسرائيل مصر هو يوسف عليه السلام حيث يقول الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يوسف:٩٩].
- والذي أخرج بني إسرائيل من مصر هو موسىٰ عليه السلام حيث يقول الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشعراء:٥٢].
- وكلا النبيين الكريمين عاشا حياة القصور، فيوسف عليه السلام عاش في قصر عزيز مصر، وأما موسىٰ فعاش في قصر فرعون في كنف فرعون.
- وكلا النبيين الكريمين عاشا عِوضًا عن الولد في القصر في عائلةٍ لا تُرزق بالولد؛ وقيل فيهما كليهما: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [سورة القصص:٩].

❍ فيوسف عليه السلام قال فيه عزيز مصر: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [سورة يوسف:٢١].

❍ وموسىٰ عليه السلام قالت فيه امرأة فرعون: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [سورة القصص:٩].

- وافتتن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث راودته امرأة العزيز وكان بريئًا فسُجن؛ وأما موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فافتتن وقَتَل خطأً وكان مخطئًا مذنبًا فهرب، فالبريء سُجن والمذنب هرب.
- والدور البارز في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان للأب وأما الأم لم يكن لها ثمة ظهورٌ في القصة، وأما الدور البارز في قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان للأم وأما الأب فلم يكن له ثمة ظهورٌ في القصة.
- وابتدأت حياة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خارج مصر وانتهت بمصر، وأما موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فابتدأت حياته في مصر وانتهت خارج مصر فسبحان الله.

فهذه من أوجه التشابه والتناظر والتقارب والتماثل بين قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ العظيم ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٧) ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١]
﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ خير المرسلين نبينا محمد.

يقول الحق -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [سورة البقرة:٢٦١].

في حين يقول الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ [سورة يوسف:٤٣].

فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١].

وقال في الآية الثانية: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣].

فجاء التعبير القُرْآني في الآية الأولىٰ بجمع الكثرة وقال: ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، وحقُّه أن يكون جمع قلة.

وجاء التعبير القُرْآني في الآية الثانية بجمع القلة وقال: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣]، و«**سُنْبُلَاتٍ**»: جمع قلة حيث أن جمع التأنيث السالم إذا جُرِّد من «**أل**» أفاد القلة كـ«**سيئات**» و«**حسنات**» و«**خطوات**» وغير ذلك، فلماذا جاءت آية البقرة بجمع الكثرة؟!

التعبير القُرْآني مقصودٌ لذاته، والقُرْآنُ الكريم يضع اللفظة حيث تكون، والسياق في آية البقرة هو سياق تضعيفٍ وتكثير وسياق حثٍّ وإغراءٍ وبذلٍ للصدقة والنفقة، فقال الله ﷻ في السياق: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ

سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، هذا سياق حثٍّ وبذلٍ وإغراءٍ للنفقة والصدقة فجاء بجمع الكثرة وقال: ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١].

في حين أن في سورة يوسف السياق يتحدَّث عن رؤيا الملك، كما قال الله ﷻ وقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ [سورة يوسف:٤٣]، هذه رؤيا للملك وطلب الملك أن تُفَسَّر له وأن توضح، فجاء التعبير القُرْآني بجمع القلة وقال: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣] مُناسَبةً للسياق وموافقةً لقواعد اللغة العربية.

وغاية هذه الوقفة: أنه لما كان سياق حثٍّ وإغراءٍ وبذلٍ للصدقة جاء بجمع الكثرة وقال: ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١]؛ ولما كان ما سوىٰ ذلك جاء بجمع القِلَّة وقال: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣]، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٨) الدلالة البيانية للفظ (السميع، سمّاع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطر السماوات والأرض، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة المائدة: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٧٦﴾ [سورة المائدة:٧٦].

في حين يقول الله ﷻ في السورة نفسها: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ﴾ [سورة المائدة:٤١].

فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «السَّمِيع».

وجاءت الآية الثانية بلفظ «سَمَّاع».

أما لفظ «السَّمِيع» فهو من أبنية المبالغة علىٰ وزن «فعيل» يفيد ثبوت الصفة لله ﷻ ثبوتًا قطعيًا بما يليق بجلاله وعظمته، وهذا الاسم لفظ «السَّمِيع» جاء في القُرْآنِ الكريم في سياق المدح والإطراء، وجاء كله منسوبًا إلىٰ الله ﷻ سوىٰ آيتين من كتابه العزيز:

- حيث يقول الله ﷻ فيهما: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ [سورة هود:٢٤].
- وقوله تعالىٰ أيضًا في سورة الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٢﴾ [سورة الإنسان:٢].

إذًا لفظ «السَّمِيع» جاء كله في سياق المدح منسوبًا إلىٰ الله ﷻ.

أما لفظ «سَمَّاع» فهو من أبنية المبالغة علىٰ وزن «فعَّال» يفيد امتهان الصفة من قبل صاحبها، أي: أن هذه الصفة أصبحت عملًا لصاحبها كما نقول: «جزَّار» أصبحت مهنة لصاحبها.

وهذا الاسم لفظ «سَمَّاع» جاء في القُرْآنِ الكريم أربع مرات كله في سياق الذم، وكله منسوبًا إلىٰ الناس:

❍ كما قال الله ﷻ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [سورة التوبة:٤٧].

❍ وقال الله ﷻ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ [سورة المائدة:٤٢].

إذًا لفظ «**سَمَّاع**» جاء أربع مرات في سياق الذم، وأما لفظ «**السَّمِيع**» فجاء منسوبًا إلىٰ الله ﷻ في سياق المدح، وهذا من بديع النظم القُرْآني، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٢٩) لفظ (أشهر) و (شهور) في النظم القرآني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٧].

في حين يقول الله ﷻ في سورة براءة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾ [سورة التوبة:٣٦].

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «**أَشْهُر**».
- وجاءت الآية الثانية بلفظ «**شُّهُور**».

و«**أَشْهُر**»: هو جمع قلة علىٰ وزن «**أفْعُل**» مثل أبْحُر.

وأما لفظ «**شُّهُور**»: فهو جمع كثرة علىٰ وزن «فُعُول» مثل صُدُور، **والسؤال: ما مناسبة مجيء جمع القلة في سورة البقرة وجمع الكثرة في سورة براءة؟!**

الحديث في سورة البقرة وفي آية البقرة عن أشهر الحج، ومعلومٌ أنَّ أشهر الحج هي ثلاثة وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة، كما أجمع علىٰ ذلك المفسرون عند هذه الآية، ولا ريب أن «**ثلاثة شهور**» هي جمع قلة لذلك جاء بما يناسب هذا الجمع وقال الله ﷻ فيه: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٧].

في حين أن آية براءة الحديث عن شهور السنة كلها وهي: اثنا عشر شهرًا، وهذه الأشهر ارتبطت عبادة المسلمين بها من صيامٍ وحج فقال الله ﷻ في الآية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾ [سورة التوبة:٣٦]، ولا ريب أن اثني عشر شهرًا جمع كثرة فجاء بما يناسب هذا الجمع وقال الله ﷻ في الآية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣٦].

فكل آيةٍ جاءت بجمع يناسب سياقها، وهذا من بديع النظم القُرآني، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٠) الفرق بين: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥] ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عالم الغيب والشهادة، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيد المرسلين نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥].

في حين يقول الله ﷻ في الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥].
- وقال في الثانية: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩].

ويتردَّد التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]، وبقوله تعالىٰ: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]؛ في القُرْآنِ الكريم كثيرًا، وهذا موطن تساؤل لدىٰ كثيرٍ من قُرَّاء كتاب الله ﷻ ما الفرق بين هذين التعبيرين من حيث الدلالة البيانية؟!

بداية «حَيْثُ»: ظرف مكانٍ مبنيٍ علىٰ الضم في محل نصب دائمًا كما قرَّره علماء العربية، والتعبير بـ«حَيْثُ» يفيد العموم ويفيد الإطلاق في الظرف ويفيد عدم التحديد وعدم التقييد ويفيد أَيْضًا السَعَة.

كما قال الله ﷻ في البقرة بعد أن كرَّم آدم وأفاض عليه من النِعم فأطلق في التعبير وقال: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥]، أي: من

أي جهةٍ ومن أي مكانٍ في الجنة فكلا منها رغدًا حيث شئتما، فهذا سياقُ تكريمٍ لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فناسب سياق العموم والإطلاق وعدم التحديد وعدم التقييد في التعبير القُرْآني.

ونظيرٌ لهذا يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ﴾ [سورة يوسف:٥٦]، ﴿حَيْثُ يَشَآءُۚ﴾ [سورة يوسف:٥٦]؛ أي: من أي جهةٍ من الأرض يتبوأ منها، فالسياق سياق إطلاقٍ وعموم كما هو ظاهرٌ من هذه الآية.

وأَيْضًا نظيرٌ لهذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة البقرة في شأن القبلة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٤٤]، أي: في أي جهةٍ من الأرض وفي أي مكانٍ من الأرض ولُّوا وجوهكم شطر المسجد الحرام، فهذا سياق عمومٍ وسياق إطلاقٍ كما هو ظاهرٌ من هذه الآيات.

أما التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ [سورة الأعراف:١٩]، فبدايةً «مِنْ»: حرف جر يفيد ابتداء الغاية، والتعبير «مِنْ حَيْثُ»: يفيد عدم العموم ويفيد التقييد ويفيد التحديد؛ كما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ في سياق سورة الأعراف لما عصىٰ آدم ربه فقال الله جَلَّ جَلَالُهُ في السورة: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩].

فحدد الله لهم الجهة ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]، وقيَّد لهما ولم يُعمِّم ولم يأتي بالتعبير بمثل ما جاء به في سورة البقرة، حيث أن سياق سورة الأعراف هو سياق عِتابٍ من الله جَلَّ جَلَالُهُ لآدم وسياق لومٍ وتثريب وعدم رضىٰ من الله جَلَّ جَلَالُهُ لآدم حيث عصىٰ آدم ربه فعاتبه الله جَلَّ جَلَالُهُ، فناسب الأسلوب وناسب التعبير بمجيء قول الله تعالىٰ: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]، وهذا الأسلوب يفيد التقييد والتحديد وعدم الإطلاق، وهذا مناسبٌ لسياق سورة الأعراف كما ذكرت.

ونظيرٌ لهذا يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ [سورة يوسف:٦٨]، فيعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حدَّد لأبنائه كيفية الدخول كما هو معلوم، إذ يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ في هذا

الشأن: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [سورة يوسف:٦٧]، إذًا حدَّد لهم طريقة الدخول ثم قال الله ﷻ عَقِب هذه الآية: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ [سورة يوسف:٦٨]؛ أي: من الجهة التي حددها لهم أبوهم بالدخول.

ونظيرٌ لهذا يقول الله ﷻ: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ [سورة النحل:٢٦]، أي: من جهةٍ لم يتوقعوها فجاءهم العذاب من مكانٍ لم يتوقعوه، وهذا سياق تحديدٍ وسياق تقييدٍ وعدم عمومٍ في هذه الآية وفي غيرها.

وختامًا لهذا الوقفة فأقول: إنَّ التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿حَيۡثُ﴾ [سورة البقرة:٣٥]، يفيد العموم ويفيد الإطلاق ويفيد عدم التحديد وعدم التقييد.

وأما التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿مِنۡ حَيۡثُ﴾ [سورة الأعراف:١٩]، فيفيد التقييد والتحديد وعدم الإطلاق.

والقُرْآنُ الكريم شاهدٌ بهذه الأمثلة وحافلٌ بهذه الأمثلة علىٰ هذه القاعدة، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣١) الفرق بين (اللائي) و (اللاتي) في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول المولىٰ -ﷻ- في سورة الطلاق: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [سورة الطلاق:٤].

في حين قال الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [سورة يوسف:٥٠].

فقال الله في الآية الأولىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ [سورة الطلاق:٤].

- وقال في الثانية: ﴿ٱلَّٰتِي﴾ [سورة يوسف:٥٠].

وكلتا الكلمتين اسمٌ موصول لجمع المؤنث السالم، أما «**اللائي**» بالهمز: فهو أثقل في النطق من «**اللاتي**» وهذا هو المقرر من قواعد اللغة العربية، هذا أمر.

أمرٌ آخر: أن «**اللائي**»: من الإيلاء وهو التعب والمشقة، كما عند أهل المعاجم.

وإذا تأملنا كتاب الله ﷻ وتدبرنا القُرْآن الكريم وجدنا أن هذا اللفظ وهو «**اللائي**» يأتي في سياقات التعب والمشقة والحالات الثقيلة علىٰ المرأة، كما قال الله ﷻ في سياق الحيض: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [سورة الطلاق:٤]، ولا ريب ولا شك أن الحيض أمرٌ ثقيلٌ علىٰ نفوس النساء فجاء التعبير في القُرْآنِ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ [سورة الطلاق:٤].

وفي سياق الطلاق قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ [سورة المجادلة:٢]، ولا ريب أيضًا أن الطلاق أمرٌ ثقيل في نفوس النساء

فجاء التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّئِي﴾ [سورة المجادلة:٢]، وهذه دقة متناهية في اختيار القُرْآن لهذا اللفظ في هذه المواطن.

في حين أن «**اللاتي**» لما سوىٰ ذلك تأتي في سياقات المشاكل الزوجية والاجتماعية كما قال الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [سورة يوسف:٥٠].

وقال تعالىٰ أَيْضًا: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [سورة النساء:٣٤].

وهذا من بديع النظم القُرْآني والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٢) كلمة (فسق) في تعبير القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذي الجبروت والإنعام، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد.

يقول المولىٰ ﷻ في سورة التوبة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [سورة التوبة:٢٤]، «الفِسق» تردد كثيرًا في كتاب الله ﷻ وتنوَّع بصيغٍ مختلفة:

- فجاء بصيغة الفعل.
- وتارةً بصيغة الاسم.
- وثالثة بصيغة المصدر.

وكُلُّ هذه الصيغ تندرج تحت تعريفٍ واحد: وهو مخالفة الأمر والخروج عن الطاعة وعصيان الله ﷻ، كما أخبر الله بذلك عن إبليس بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [سورة الكهف:٥٠]، أي: خرج عن طاعته وخالف أمره وشرعه.

ويقول النبي ﷺ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم»، وإنما سُمِّيَت فواسق لأنها خرجت عن النص الشرعي، فلا حرمة لها لا بحرمٍ ولا بحل.

وأهل اللغة وأهل العربية عرَّفوا «الفِسق» بهذا التعريف فعند ابن فارس في مقاييس اللغة: «هو مخالفة الأمر وترك أوامر الله ﷻ»، ومثل ذلك جاء عند ابن منظور في «لسان العرب» وعند غيره.

وأهل التأويل حملوا لفظ «الفِسق» علىٰ أي معصيةٍ عُصي الله بها، فيشمل أيَّ معصيةٍ عُصي الله بها تعتبر فسقًا، والفسق أعم من الكفر؛ فقد يطلق علىٰ الكفر وعلىٰ معصيةٍ من معاصي الله ﷻ في كتابه العزيز.

فقد أطلق الله ﷻ لفظ «الفِسق» علىٰ الكفار حيث قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ [سورة البقرة:٩٩]، والمنافقون استحقوا هذا الوصف

بكامل معناه وبتمامه حيث قال الله ﷻ عنهم: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ [سورة التوبة:٦٧].

ولما خرج قوم لوط عن الفِطرة البشرية التي فَطَرَها الله الناس عليها استحقُّوا وصف الفاسقين حيث قال الله ﷻ عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝٧٤﴾ [سورة الأنبياء:٧٤].

وقال الله ﷻ عنهم في موطن آخر: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٣٤﴾ [سورة العنكبوت:٣٤].

ولما خالف بنو إسرائيل أمر نبيهم موسىٰ عليه السلام وخرجوا عنه وعن طاعته سمَّاهم الله ﷻ بـ«**الفاسقين**»، حيث قال الله ﷻ عنهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِىۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥﴾ [سورة المائدة:٢٥].

ولما خالف أَيْضًا أصحاب السبت أمر الله ﷻ وخرجوا عن طاعته وعن نهيه سمَّاهم الله ﷻ بـ«**الفاسقين**» حيث قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٣﴾ [سورة الأعراف:١٦٣].

واعتبر الله ﷻ كل ما يُذبح للأصنام وللأنصاب فسقًا كما أخبر الله ﷻ بذلك وقرَّر وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤٥]؛ أي: خروج عن الدين وعن طاعة الله ﷻ خروجًا كاملًا.

واعتبر الإسلام كل ما يخالف فريضة الحج ويخدش فريضة الحج من المعاصي ولو صَغُرت «**فسوق**» كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]، فهو خروجٌ عن طاعة الله ﷻ ونقصٌ بكمال الحج.

وصفوة الكلام بهذا: أن «**الفِسق**» تردد كثيرًا في كتاب الله ﷻ تحت هذا التعريف وهو: مخالفة أمر الله ﷻ والخروج عن طاعته وعصيان الله ﷻ، وهذا التعريف ينسحب علىٰ كل

ألفاظ «الفِسق» الذي وردت في القُرْآنِ الكريم، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٣) دلالة قوله: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [سورة الرعد:٢، سورة لقمان:١٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله ﷻ في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [سورة الرعد:٢].
- ويقول الله ﷻ في سورة لقمان ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [سورة لقمان:١٠].

فقال الله ﷻ في هاتين الآيتين: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [سورة الرعد:٢، سورة لقمان:١٠]، فإلىٰ أين يرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾؟ هل المعنىٰ أن الله ﷻ خلق ورفع السماوات بعمدٍ ولكن لا نرىٰ هذه العمد! أم أن السماوات رفعت أصلًا بغير عمد؟!

اختلف أهل التأويل في هذه المسألة علىٰ قولين مشهورين:

❍ أحدهما: أن الله ﷻ رفع السماوات وخلقها بعمدٍ ولكن لا نرىٰ هذه العَمَد، وهذا قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما وقول مجاهد، وقد نقل هذا القول ابن كثيرٍ رحمه الله تعالىٰ في تفسيره.

❍ وثانيهما: أن الله رفع السماوات وخلقها بغير عمدٍ أصلًا، وهذا قول الحسن -رَضِيَ اَللهُ تعالىٰ عَنْه- وقول قتادة وإياس بن معاوية -رَحِمَ الله الجميع- ونقل هذا القول ابن كثيرٍ رحمه الله تعالىٰ.

ففي القول الأول أثبتوا العمد ونفوا الرؤية، وفي القول الثاني أثبتوا الرؤية ونفوا العمد، والقول الثاني هو القول الأقوىٰ والأدل علىٰ قدرة الله ﷻ، وقد أثبت هذا القول غير واحدٍ من أهل التأويل.

ويدل علىٰ هذا القول ويعزه قول الله تعالىٰ في صريح القُرْآن: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [سورة الحج:٦٥]، وهذا يدل علىٰ عِظَمِ خلق السماوات والأرض كما قال الله ﷻ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [سورة غافر:٥٧].

وقد ذكر هذه المسألة الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**دفع إيهام الاضطراب عن آيِ الكتاب**»، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٤) اختلاف الرسم القرآني في قوله: (كذابا) في سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة النبأ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النبأ:٢٨].

في حين قال الله ﷻ فيها أيضًا: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النبأ:٣٥].

والمتدبر والمتأمل لهاتين الآيتين يجد اختلافًا يسيرًا في الرسم القُرْآني للفاصلة في هاتين الآيتين؛ فقوله تعالىٰ: ﴿كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النبأ:٢٨] في الآية الأولىٰ جاءت برسمٍ كامل دون نقص، وقوله تعالىٰ: ﴿كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النبأ:٣٥] في الآية الثانية جاءت برسمٍ ناقص فجاءت دون ألفٍ بعد الذال في الرسم.

والرسم القُرْآني له إيحاءاتُه في المعنىٰ القُرْآني، وله دلالته البيانية في السياق القُرْآني، والآية الأولىٰ جاءت في شأن الكفار الذين كذَّبوا بآيات الله ﷻ وكذَّبوا برسله وحُجَجه وبراهينه، فلما جاء التكذيب مطلقًا من قِبل الكفار جاء الرسم مطلقًا في الآية فقال الله ﷻ في الآية: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النبأ:٢٨].

أما الآية الثانية فهي في شأن أهل الجنة، ومن كمال نعيم أهل الجنة أنهم لا يسمعون في الجنة لغوًا ولا كذابًا؛ مهما قل وصَغُر فقال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النبأ:٣٥]، أي: ولا مكاذبة كما قال ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ وغيره في التأويل.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَغْوًا﴾ و ﴿كِذَّابًا﴾ نكرة في سياق النفي دلَّت علىٰ العموم فعمَّت أيَّ لغو وأيَّ كذب، فأهل الجنة من نعيمهم في الجنة أنهم لا يسمعون هذه الأمور فيها.

وصفوة الكلام: أن الرسم القُرْآني في هذه الوقفة له معناه وله دلالته في السياق القُرْآني، وله إيحاءاته في المعنىٰ القُرْآني، وهذا من بديع التعبير القُرْآني، أسأل الله تعالىٰ أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٥) الفرق بين قراءة الإضافة والتنوين في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنفال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]، هذه الآية جاءت في ثنايا الحديث عن معركة بدرٍ الكبرىٰ؛ حيث أن الله ﷻ أضعف كيد الكفار وأوهن قوتهم فهُزموا شر هزيمة ونصر الله ﷻ رسوله وعباده الْمُؤْمِنِيْنَ يوم الفرقان يوم التقىٰ الجمعان.

وقد جاءت قراءاتٌ في هذه الآية متواترة:

- منها قراءة الإضافة حيث يقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]، بإضافة اسم الفاعل «مُوهِنُ» إلىٰ المصدر «كَيْد».
- وقُرئت بالقطع من الإضافة، وهي قراءة التنوين حيث يقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]، ومما قرَّره العلماء حول القراءات القُرْآنية أنه لا تضاد ولا تنافر ولا اختلاف بين هذه القراءات، فكل قراءةٍ تعطي وجهًا من وجوه المعنىٰ للآية بشكلٍ عام.

فقراءة الإضافة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]، الإضافة عند علماء العربية تُفيد التحديد والتعيين، ويتوجَّه المعنىٰ إلىٰ أن الله تبارك وتعالى أضعف كيد الكفار وأبطل قوتهم في بدرٍ خاصة، وهذه قراءة الإضافة التي تفيد التحديد والتعيين.

وأما قراءة التنوين بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [سورة الأنفال: ١٨]، فالتنوين عند علماء العربية يُفيد العموم والشمول، ويتوجه المعنىٰ لهذه القراءة أن الله ﷻ أضعف كيد الكفار علىٰ مدار الزمان وعلىٰ مدار العصور، فلا يتوجَّه المعنىٰ إلىٰ معركة بدر خاصة بل هو يفيد العموم.

فهذا الوهن وهذا الإبطال وأن الله ﷻ أوهن كيد الكفار وأبطل قوتهم وكيدهم علىٰ مدار الزمان وعلىٰ مدار العصور، وبهذا يتبين أنه لا تضادَ ولا اختلافَ بين قراءات كتاب الله ﷻ.

وهذا من بديع البيان القُرْآني، ومما عَنىٰ به الله ﷻ التحدي لأئمة اللغة وأهل العربية، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٦) الفرق بين (خلفاء ، خلائف) في نظم القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [سورة الأعراف:٦٩].

وقال الله ﷻ في يونس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [سورة يونس:٧٣].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿خُلَفَآءَ﴾ [سورة الأعراف:٦٩].
- وقال في الثانية: ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ [سورة يونس:٧٣].

وكلتا الكلمتين ترجعان إلىٰ أصلٍ واحد وهو «**خليفة**» فما الفرق في التعبير القُرْآني بين هاتين الكلمتين؟ بالنظر والتأمل والتدبر لكتاب الله ﷻ نجد أن «**الخلفاء**» هم القوم الذين خلفوا أناسًا صالحين مؤمنين مهتدين وأمروا باتباع سنتهم وطريقتهم ومنهجهم؛ كما قال الله ﷻ علىٰ لسان هود يُذكِّر قومه ويأمرهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [سورة الأعراف:٦٩].

فعادٌ عَقِبوا الطائفة المؤمنة الناجية من الطوفان والغرق مع نوحٍ في السفينة، فلما جاءوا بعد هذه الطائفة المؤمنة ذكَّرهم هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمرهم باتباع سنة وطريقة هذه الطائفة المؤمنة من قوم نوح، وقال لهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [سورة الأعراف:٦٩].

وصالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه ويذكِّرهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ [سورة الأعراف:٧٤]، ومعلومٌ أن الله ﷻ أهلك المجرمين من عاد بالصيحة ونجىٰ هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين.

ثم جاء بعد تلك الطائفة المؤمنة ثمود، فصالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر قومه بالطائفة الناجية المهتدية المؤمنة من قوم عاد ويقول لهم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾ [سورة الأعراف:٧٤].

إذًا «**الخلفاء**» هم القوم الذين أُمروا باتباع سنة من قبلهم، وهم الذين خلفوا أناسًا صالحين مهتدين مؤمنين، لذلك نُسَمِّىٰ أبا بكر وعمر وعثمان وعلي نُسمِّيهم «**خلفاء**» لأنهم خَلَفوا النبيَّ ﷺ واقتدوا سنته وأثره وطريقة.

وأما «**الخلائف**»: فهم القوم الذين خلفوا أناسًا فاسدين مجرمين كافرين؛ وأمروا بمخالفة سنتهم وطريقهم وشرعهم وملتهم، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الناجين من قوم نوح بعد أن أهلك الله عَزَّ وَجَلَّ وأغرق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الظالمينَ من قوم نوح، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ في الطائفة الناجية: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ [سورة يونس:٧٣]، لم يقل: وجعلناهم خلفاء، لأن هؤلاء خالفوا مَنْ قبلهم من الظالمين والمجرمين الذين هلكوا في الطوفان.

ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ في يونس أَيْضًا: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [سورة يونس:١٣-١٤]، ثم جعلناكم خلائف لم يقل: جعلناكم خلفاء؛ لأن هؤلاء الخلائف جاءوا بعد المجرمين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ [سورة يونس:١٣-١٤]، أي: لتُخالفوا سنتهم وكفرهم وطريقتهم ومنهجهم وما كانوا عليه من ظلمٍ وشركٍ وعدوان.

وأما «**خلفاء**» فقد جاءت في القُرْآنِ ثلاث مرات، وأما «**خلائف**» فقد جاءت في القُرْآنِ الكريم أربع مرات.

وصفوة هذه الوقفة: أن «**الخلفاء**» هم القوم الذين عَقِبوا أناسًا صالحين مهتدين وأمروا بإتباع سنتهم وطريقتهم ومنهجهم، وأما «**الخلائف**» فهم القوم الذين عَقِبوا أناسًا كافرين فاسدين مجرمين وأمروا بمخالفة طريقتهم وبمخالفة سنتهم وشرعهم، وبهذا يتبين أنه لا

مكان للترادف في كتاب الله ﷻ فكل كلمةٍ لها سياق، وكل كلمة لها تعبيرٌ في نظم القُرْآنِ الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٧) الدلالة البيانية للفظ (الجبل) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية موجزة مختصرة حول لفظ «الجبل» وما تصرَّف عنه في القُرْآنِ الكريم، لفظ «الجبل» إذا تأملناه وتدبرناه في كتاب الله ﷻ وجدنا أن هذه اللفظة تأتي في مقام الهيبة والقوة والعظمة والشدة، ولعلنا نُجري نظرةً فاحصةً سريعة علىٰ بعض آيات الله ﷻ لتقرير هذا المعنىٰ.

يقول الله ﷻ في سورة الحشر: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الحشر:٢١]، هذه الآية تبين عَظَمَةَ تأثير كتاب الله ﷻ، فلو أُنزل هذا القُرْآن العظيم علىٰ هذا الجبل العظيم وهذا الصخر وهذه القوة المهيبة لتشقَّق وتصدَّع وخشع من آيات الله ﷻ، فإذا كان هذا حال الجبل مع القُرْآنِ العظيم فما بالنا وبال قلوبنا مع كتاب الله ﷻ؟! فالله المستعان علىٰ ذلك.

ويقول الله ﷻ في شأنِ نوحٍ ﷺ لمَّا ناد ابنه في الطوفان: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [سورة هود:٤٢]، فماذا كان ردُّ الابن؟ ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [سورة هود:٤٣]، فهو لا يرىٰ عاصمًا في هذا الخطب العظيم إلا هذه القوة المهيبة وهو «الجبل».

لم يقل الله ﷻ: سآوي إلىٰ «طود» أو إلىٰ «وتد» أو إلىٰ «عَلَم» كل هذه الألفاظ لا تتناسب في هذا السياق ولا تنسجم مع هذا السياق، فجاء لفظ «الجبل» في مقام الهيبة والشدة والقوة والعظمة لأن هذا الجبل له مكانه في نفس الإنسان وهي مكانته العظيمة.

ويقول الله ﷻ في سورة «طه»: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥﴾ [سورة طه:١٠٥]، هذه الجبال الهائلة الكثيرة المهيبة بلمحة بصر ينسفها الله ﷻ: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [سورة طه:١٠٦-١٠٧].

هذه الجبال التي تأخذ مع الإنسان عندما يريد أن يَهُدَّها أو يزيلها تأخذ سنوات؛ الله ﷻ بلمحة بصر: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة طه:١٠٥-١٠٦].

ويقول الله ﷻ أَيْضًا في شأن القُرْآن العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [سورة الرعد:٣١].

قال أهل التأويل: «**الجواب معلومٌ وحُذف للعلم به**»، أي لكان هذا القُرْآن، لو أن هنالك قُرْآن تُسيَّر به الجبال أو تُقطَّع به الأرض أو يكلم به الموتىٰ لكان هذا القُرْآن، وهذا دلالة علىٰ عظمة كتاب الله ﷻ، فذُكرت «**الجبال**» في مقام العظمة والهيبة والشدة.

وصفوة هذا الكلام: أن هذه اللفظة تأتي في هذا المقام وهو مقام الهيبة والعظمة والقوة والشدة، وآيات الله ﷻ ماثلةٌ وشاهدةٌ علىٰ هذا المعنىٰ البديع اللطيف، أسأل الله تعالىٰ بمنه وكرمه أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٣٨) (ولكن أكثر الناس) (ولكن أكثرهم)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٣].

في حين يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنعام:٣٧].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣].

- وقال في الآية الثانية: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٣٧] فأضاف اسم التفضيل في الآية الأولىٰ إلىٰ الاسم الظاهر وقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] في حين أنه أضاف اسم التفضيل في الآية الثانية إلىٰ الضمير وقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٣٧].

ومن قواعد العربية: «**أن الإضافة إلىٰ الاسم الظاهر تعني السعة والشمول والعموم والإحاطة في حين أن الإضافة إلىٰ الضمير تعني الإيجاز والاختزال**» وكتاب ربنا شاهد علىٰ هذا وماثلٌ علىٰ هذا.

فإذا ولّينا أنظارنا إلىٰ هذه الآية وغيرها وجدنا أن الله ﷻ قال في آية سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] لاحِظ ﴿أُلُوفٌ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣]، و﴿أُلُوفٌ﴾: جمع كثرة، أي هو عدد كبير وشريحة من الناس كبيرة جدا فقال الله ﷻ: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] لم يقل: «**ولكن أكثرهم**»

لأن الآية تتحدث عن ألوف من الناس وعن شريحة وجموع كثيرة حتىٰ قال بعضهم: أكثر من ثلاثين ألف.

إذن قال في الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] لمَّا تحدث عن عموم الناس وعن فئام كثيرة من الناس.

ويقول الله ﷻ في «سورة غافر» نظيرة لهذه الآية: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة غافر:٥٧]، وهذا الأمر يخص جميع الناس فقال الله ﷻ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة غافر:٥٧]، وهذا أمر -كما ذكرت- يخص جميع الخلق وجميع الناس.

ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة غافر:٥٩]، لم يقل: «ولكن أكثرهم» لأن الساعة تَخُص جميع الناس فقال الله ﷻ في ختام الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة غافر:٥٩].

في حين أن الله ﷻ يقول في «سورة الأنعام»: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنعام:٣٧]، فأضاف اسم التفضيل إلىٰ الضمير فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٣٧]، وهذه الإضافة تدل علىٰ الإيجاز والاختزال؛ ذلك أن هذه الآية تعني بمجموعةٍ وطائفة من الناس وهم كفار مكة القائلين لهذا القول: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة الأنعام:٣٧]، كما جاء عند البغوي في «معالم التنزيل» وعند غيره.

إذن قال الله ﷻ في نهاية الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٣٧]؛ لأن الآية تخاطب وتعني طائفة من الناس ليست بكثيرة.

ويقول الله ﷻ نظيرةٌ لهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [سورة الحجرات:٤]، وهذه الآية نزلت في «وفد تميم» وهم وفدٌ من الأعراب من نجد جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ فنادوا النبي ﷺ وقالوا: «يا محمد اخرج إلينا فإن حمدنا زين وذمّنا شين» فقال ﷺ: «ذاك الله»، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [سورة الحجرات:٤]، لم يقل: «أكثر الناس» لأن الآية تعني بطائفةٍ من الناس حضروا عند النبي ﷺ وشريحة ونزرٍ بسيط فقال الله ﷻ في مَعْرِض الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [سورة الحجرات:٤]، فأضاف اسم التفضيل للضمير لأن الآية تعني بطائفة بسيطة ونزر قليل من الناس.

وخلاصة هذه الوقفة: أن اسم التفضيل في القرآن الكريم إذا أضيف للاسم الظاهر فإنه يعني السعة والعموم والإحاطة والشمول وإذا أضيف للضمير فإنه يعني بطائفةٍ قليلة من الناس وشريحة بسيطة من الناس تعرَّض لها السياق وذكرها السياق القرآني، والله أعلم بمُراده، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد.

(١٣٩) لفظ (التواري) في القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ وإشاراتٌ بيانية حول لفظ «**التواري**» في القُرْآنِ الكريم، هذا اللفظ الذي تردد في بعض آيات الله ﷻ أقف علية مبينًا الدلالة البيانية في سياق القُرْآن.

«**التواري**» عند أهل العربية هو الاختفاء، وإذا رجعنا إلىٰ أقوال أهل التفسير وجدنا أنهم يفسرون «**التواري**» بالاختفاء أَيْضًا.

ومعلومٌ أن المفسرين يفسرون اللفظ غالبًا بالمعنىٰ العام، غيرَ أننا إذا رجعنا إلىٰ كتاب الله ﷻ وتأملنا وتدبرنا هذا اللفظ في القُرْآنِ الكريم وجدنا أن «**التواري**»: هو الاختفاء ولكن حياءً، أو هو إخفاءُ شيءٍ مما يستحيا منه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ﴾ [سورة النحل:٥٨-٥٩].

فهو يختفي حياءً من قومه، فلا يقابل قومه حياءً من سوء ما بُشِّر به؛ فانظر إلىٰ اختيار اللفظ القُرْآني، لم يقل الله ﷻ: يغيب عن القوم أو يختفي أو يستتر إنما قال: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [سورة النحل:٥٩]، وهذا اختيارٌ في منتهىٰ الروعة.

وأخبرنا القُرْآنُ الكريم عن النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لما استعرض خَيلَه وفاتته صلاة العصر بانشغاله بخيله، فقال الله ﷻ في هذا الشأن: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [سورة ص:٣٢].

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [سورة ص:٣٢]؛ وهو الخيل: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [سورة ص:٣٢]؛ أي: عن صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [سورة ص:٣٢]، ما هي التي توارت بالحجاب؟ هي الشمس اختفت حياءً من نبيٍ فاتته صلاة العصر، فلما تبين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن صلاة العصر فاتت عليه أخذ خيله وقطَّع أعناقها وسُوقها كما قال الله ﷻ.

إذًا الشمس اختفت حياءً من نبيٍ فاتته صلاة العصر، لم يقل الله ﷻ: حتىٰ غابت أو حتىٰ غَرُبت أو حتىٰ أفَلت، إنما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝٣٢﴾ [سورة ص:٣٢]، وهذا اختيارٌ أَيْضًا في منتهىٰ الروعة.

ويقول الله ﷻ في شأن أهل الجاهلية: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [سورة الأعراف:٢٦]، يُخفي مما تستحيون منه وهو العورة، فكان أهل الجاهلية يطوفون عُراةً بالبيت فقال الله ﷻ في هذا الشأن: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦].

وهذا أَيْضًا في منتهىٰ الروعة، فـ«**التواري**»: هو الاختفاء حياءً أو هو إخفاءُ مما يستحيا منه كما هو في سياق دلالة اللفظ في سورة الأعراف، أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٠) الفرق بين (الميَّت) و (الميْت) في تعبير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجبروت والأنعام وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان، نبينا محمد.

يقول الله -ﷻ- في كتابه العزيز: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [سورة الزمر:٣٠-٣١]، هذه الآية في سورة الزمر.

في حين يقول الله جل شأنه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [سورة المائدة:٣]، وهذه الآية في المائدة.

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «**المَيِّت**» بتحريك الياء مع التضعيف.
- وجاءت الآية الثانية بلفظ «**مَيْت**» بسكون الياء دون تضعيف.

وثمة فرقٌ بين هذين اللفظين في تعبير القُرْآنِ الكريم، فـ«**المَيِّت**» بتحريك الياء مع التضعيف: هو الحي الذي سيموت، كما خاطب الله ﷻ نبيه عليه السلام في حياته قائلًا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [سورة الزمر:٣٠-٣١].

ويقول الله ﷻ في شأن أهل النار وهم يُعذَّبون: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [سورة إبراهيم:١٧]؛ إذ هو لازال حيًا في النار يعذب؛ إذًا «**المَيِّت**» بتحريك الياء مع التضعيف: هو الحي الذي سيموت، فهو متحركٌ كلفظه، وهذا تناظرٌ بين اللفظ والمعنىٰ في اللغة العربية.

في حين أن «**المَيْت**» بسكون الياء؛ هو من فارقته الروح؛ وهو الميِّت الجثة الهامدة، كما قال الله ﷻ في المَيْتة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [سورة المائدة:٣]، فهذه مَيْتة فارقتها الروح.

ويقول الله ﷻ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات:١٢]، وهذا أَيْضًا فارقته الروح فأصبح جثةً هامدة، فـ«المَيْت» بسكون الياء دون تضعيف هو مَنْ فارقته الروح فهو ساكنٌ كلفظه، وهذا تناظرٌ بين اللفظ والمعنىٰ في اللغة العربية.

وهذا التعبير خاصٌ بالقُرْآنِ الكريم، وإن كان نقل ابن منظور في «لسان العرب» عن إمام اللغة الزجَّاج: «أن اللفظين بمنزلةٍ واحدة في اللغة العربية»، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤١) ﴿رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ﴾ [سورة الرعد:٣٨]
﴿مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا﴾ [سورة الروم:٤٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد:٣٨]، هذه الآية في سورة الرعد.

في حين يقول الله ﷻ في سورة الروم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة الروم:٤٧].

فقدَّم الله -جَلَّ شأنه- وأخَّر بين هاتين الآيتين:

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ﴾ [سورة الرعد:٣٨].
- وقال في الثانية: ﴿مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا﴾ [سورة الروم:٤٧].

والكلمة المُقدَّمة في سياق القُرْآن لها الاهتمام والعناية والتركيز، فالتقديم والتأخير في كتاب الله ﷻ ليس من قبيل المزاوجة والتنوع في الأسلوب فحسب؛ بل المعنىٰ يقتضي تقديمَ هذه الكلمة أو تلك، والسياق في سورة الرعد يتحدث عن بشرية الرسل وأنهم من جملة الناس ومن عامة المجتمع كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد:٣٨].

قال ابن جريرٍرحمه الله تعالىٰ في تفسيره عند هذه الآية: «**فجعلناهم بشرًا لهم أزواجٌ وذرية يأكلون ويشربون**».

وأما في سورة الروم: فقدَّم الله ﷻ لفظَ «**مِنْ قَبْلِكَ**» إذ أنَّ السياق في سورة الروم يتحدث عن الحُقبة الزمنية التي سبقت النبي ﷺ، وعن الفترات الزمنية التي ضمَّت رسلًا إلىٰ أقوامهم

فجاءوهم بالبينات فكُذِّبوا فانتقم الله ﷻ لأنبيائه وأصفياءه؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [سورة الروم:٤٧].

قال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالىٰ في تفسيره عند هذه الآية: «**هذه تسليةٌ لنبيه – عليه الصلاة والسلام – بأنه وإن كذَّبه كثيرٌ من قومه فقد كُذبت الرسل المتقدمون**».

إذًا كل كلمةٍ نالت حظَّها من المعنىٰ لما قُدِّمت في السياق أكثر من غيرها، فقَدَّم الله ﷻ لفظ «**الرسل**» لما كان الحديث عن بشرية الرسل وأنهم من عامة الناس ومن جملة المجتمع، وقدَّم الله ﷻ لفظ «**من قبل**» لما كان الحديث عن الفترات الزمنية التي سبقت النبي ﷺ.

وسورة الروم تردد فيها لفظ «**من قبل**» سبع مرات:

كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [سورة الروم:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [سورة الروم:٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة الروم:٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ٤٩﴾ [سورة الروم:٤٩].

وهذا من بيان كتاب الله ﷻ، ومن بديع التعبير القُرْآني، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٢) ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾ [سورة نوح:٢٤]
﴿إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾ [سورة نوح:٢٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة نوح: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾ [سورة نوح: ٢٤].

في حين قال الله ﷻ فيها أيْضًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾ [سورة نوح:٢٨].

هذان دعاءان من نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قومه حينما أوحىٰ الله ﷻ إلىٰ نوح أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [سورة هود:٣٦]، فدعىٰ عليهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذين الدعاءين؛ فاختلفت الفاصلة في هاتين الآتين:

- فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾ [سورة نوح: ٢٤].
- وقال في الثانية: ﴿إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾ [سورة نوح:٢٨].

والفاصلة القُرْآنية تأتي تبعًا للآية وهي منسجمة مع الجو العام والمعنىٰ العام للآية، فقال الله ﷻ في فاصلة الآية الأولىٰ: ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ۝٢٤﴾ [سورة نوح: ٢٤]، والضلال: هو البُعد كُل البعد عن الحق والصواب، وغالبًا ما يطلق علىٰ الشرك في القُرْآنِ الكريم كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦].

فجاءت هذه الفاصلة لما قال الله ﷻ قبلها: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ﴾ [سورة نوح:٢٣-٢٤]، وهذا حال قوم نوحٍ في

شركهم فقد اتخذوا آلهةً من دون الله ﷻ وأشركوا في ذات الله ﷻ فدعىٰ عليهم نوحٌ عليه السلام بقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ٢٤﴾ [سورة نوح: ٢٤].

في حين أنَّ في فاصلة الآية الثانية قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨﴾ [سورة نوح:٢٨]، والتبار والتتبير: هو الدمار والهلاك والفساد كما عند غير واحدٍ من أهل التأويل، وذكر التبار والتتبير لما ذكر الديار قبلها، كما قال الله ﷻ في السورة: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [سورة نوح:٢٦].

وهذا نظير قول الله ﷻ في سورة الإسراء لما قال الله ﷻ: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدًا مَّفۡعُولًا ٥﴾ [سورة الإسراء:٥]، فلما ذكر الديار أعقب ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ [سورة الإسراء:٧].

فدعىٰ عليهم نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨﴾ [سورة نوح:٢٨]، فذكرَ التبار لما ذكر الديار، وهذا الدعاء دعاءٌ علىٰ الكافرين وعلىٰ من سكن الديار وعلىٰ من دار في الأرض كما قال ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ.

فكل فاصلة انسجمت مع سياقها العام ومع الجو العام للآية، وهذا من توجيه هاتين الفاصلتين، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٣) الفاصلة في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمد الشاكرين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

هذه وقفةٌ مختصرة موجزة حول مصطلح «**الفاصلة في القُرْآنِ الكريم**» والتي تُعَدُّ مظهرًا من مظاهر البيان في كتاب الله ﷻ، وهي إحدىٰ فنون علم القُرْآنِ الكريم التي اهتم بها العلماء سلفًا وخلفًا.

عرف العلماء «**الفاصلة**» بأنها الكلمة الأخيرة في الآية؛ وهي التي تفصل آيةً عن آية، قال بذلك التعريف الإمام الزركشي في «**البرهان**» وابن منظورٍ في «**لسان العرب**» وغيرهم، وقد نزَّه طائفةٌ من العلماء بتسمية الفاصلة بـ«**السجع**» فقالوا: «**إن الفاصلة خاصةٌ بالقُرْآنِ الكريم وإنَّ السجع خاصٌ بكلام العرب من نثرٍ وشعر ومعلومٌ الفرق بينهما**».

وقال الإمام الروماني: «**إن الفواصل بلاغة وإن السجع عيبٌ**»، ذلك أن «**الفاصلة**» تأتي تبعًا للآية وهي تُكْمِل معنىٰ الآية وهي جزءٌ لا يتجزأ من الآية، وهذه بلاغة؛ وأما «**السجع**» فإن الكلام يُهتم به في تحسين اللفظ فتُهمل المعاني علىٰ حساب تحسين الألفاظ وهذا هو السجع، وهو عيبٌ في كلام العرب.

وقد انفرد القُرْآنُ الكريم بهذه التسمية بـ«**الفاصلة**» وقد جاءت ذكرها في غير ما آيةٍ من كتاب الله ﷻ، حيث يقول الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [سورة هود:١]، وقال تعالىٰ أَيْضًا: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [سورة فصلت: ٣].

فانفرد القُرْآنُ الكريم بهذه التسمية عن بقية فنون العرب من الكلام، و«**الفاصلة**» لها وظيفتان:

- معنوية: وهي تأتي تبعًا للآية وتُكمل معنىٰ الآية.

- ولفظية: تتصل بالإيقاع وبالصوت وبأواخر فواصل الآي، فتهتم بأواخر الآي في السورة.

و«**الفاصلة**» في القُرْآنِ الكريم علىٰ ضربين:

- فهي خفية غير واضحة تحتاج إلىٰ تأمل وإلىٰ طول نظر وإلىٰ تدبر: كقوله تعالىٰ مثلًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٧]، فختم بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٧] لمعنىً خفيٍ في الآية يحتاج إلىٰ طول نظرٍ وتدبر.

- وفاصلةٌ واضحة لا تحتاج إلىٰ طول نظر كقوله تعالىٰ: مثلًا: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، فختم بالإحسان لأنه أمر به في معرض الآية، فمثلها فاصلةٌ واضحة لا تحتاج إلىٰ طول نظرٍ ولا إلىٰ تأمل.

وقد راعىٰ القُرْآنُ الكريم الذوق العربي الفصيح والفِطرة البيانية العربية الفصيحة، حيث جاءت أكثر الفواصل القُرآنية منتهية بحرفين هما: «**النون والميم**»، ولجمال هذين الحرفين ولجمال صوتهما عند الأُذن خُتمت بهما أكثر الفواصل القُرآنية، كقوله تعالىٰ مثلًا: «**يعلمون؛ يتقون**» وكقوله تعالىٰ أَيْضًا: «**عليمٌ، وحكيم**».

في حين أن الفواصل القُرْآنية خلت من حرفين أَيْضًا وهما: «**الخاء والغين**»، فلم تأتي فاصلةٌ في القُرْآنِ الكريم منتهية بحرف «**الخاء**» ولا بحرف «**الغين**» لسوء هذين الصوتين ولسوء الانتهاء بهما، وبذلك راعىٰ القُرْآن الكريم الذوق العربي الفصيح.

وصفوة هذا الكلام: أن الفاصلة القُرْآنية أسلوبٌ عربيٌ فصيح فريد انفرد به القُرْآن الكريم عن بقية فنون الكلام العربي الفصيح؛ والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٤) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢]
﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [سورة غافر:٦٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٢].

في حين يقول الله ﷻ في غافر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة غافر:٦٢].

هاتان الآيتان تدلان علىٰ عظمة الله ﷻ في الوحدانية وفي الخلق، وبين هذه الآيات تقديمٌ وتأخير فقدَّم الله ﷻ في سورة الأنعام شهادة التوحيد وأخَّر الخلق وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢].

في حين أن الله ﷻ قدَّم في «**غافر**» الخلق وأخَّر شهادة التوحيد وقال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [سورة غافر:٦٢]، ومسألة التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم المُتحكِّم فيها السياق القُرْآني فدعونا نحتكم إلىٰ كتاب الله ﷻ.

في سورة الأنعام السياق والحديث عن الذين افتروا علىٰ الله ﷻ وأشركوا في ذات الله ﷻ؛ وزعموا أن لله ندًا وشريكًا، وزعموا أَيْضًا أن لله الولد كما قال الله -جَلَّ شأنه- في سياق الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٠-١٠١].

هذه الآيات لما نسب المشركون لله الشريك والولد ردَّ الله ﷻ بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢]، فقدَّم ما يستلزم السياق وهو شهادة التوحيد التي تدل علىٰ عظمة الله ﷻ وعلىٰ وحدانية الله ﷻ؛ فزعم المشركون أن لله شريكا فردَّ الله ﷻ علىٰ سبيل الإخبار بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢]، فقدَّم الأهم في السياق وهي شهادة التوحيد.

في حين أن في «غافر» السياق يتحدث عن خلق الله ﷻ وعن عظيم خلقه وعظيم صنعه وبديع صنعه في الكون؛ كما قال الله ﷻ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [سورة غافر:٥٧]، ثم أعقب الله ﷻ بعد هذه الآية بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [سورة غافر:٦١].

و«جعل» هنا في الآية بمعنىٰ «خلق»، وشرطُ «جعل» بمعنىٰ «خلق» في القُرْآن أن يكون المجعول يخلف بعضه بعضا، فالليل يخلف النهار، وكما قال الله ﷻ في آية أخرىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [سورة الأنعام:١]، فالظلمات تخلف النور والنور يخلف الظلمة، وهذا ذكره الإمَام الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ في «أضواء البيان».

فـ«جعل» في الآية بمعنىٰ «خلق» والسياق كله يتحدث عن الخلق فقال الله ﷻ في آية غافر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [سورة غافر:٦٢].

وصفوة هذه الوقفة: أن السياق القُرْآني يُقدِّم ما له الأهمية والعناية في سياق القُرْآن وفي ألفاظ القُرْآن، فلما كان الحديث عن الشرك في سورة الأنعام قدَّم شهادة التوحيد وأخَّر الخلق، ولما كان الحديث في «غافر» عن الخلق قدَّم الخلق وأخَّر شهادة التوحيد، وهذا من توجيه هاتين الآيتين والله ﷻ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٥) الفرق بين قول لوط عليه السلام في سورتي الأعراف والنمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٠].

في حين أن الله ﷻ يقول في سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النمل:٥٤].

فما الفرق بين هذين الخطابين من لوط عليه السلام لقومه؟!

هل هما بمنزلةٍ واحدة في التعبير القُرْآني؟!

لعلنا نقف علىٰ هذين الخطابين، نتأمل فيهما ونتدبر.

بدايةً؛ لوطٌ عليه السلام هو أحد أنبياء الله ﷿ أرسله الله تبارك وتعالى إلىٰ قرية «سدوم» التي كانت تعمل الخبائث فاقتصَّ الله من هذه القرية وأرسل عليها حجارة من سجيلٍ منضود.

والمتأمل والمتدبر لقصة لوطٍ عليه السلام وورودها في القُرْآنِ الكريم يجد أن القصة في الأعراف تمثل أول أطوار الدعوة، ويتبين له بالتأمل أن دعوة لوطٍ عليه السلام لقومه في الأعراف في مهدها؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٨٠].

هذا الخطاب من لوطٍ عليه السلام جاء علىٰ سبيل الخبر؛ إذ أنه يمثل أول أطوار هذه الدعوة، ومما يُعزِّز ذلك قول الله ﷻ بعد هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة الأعراف:٨١]، فقال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٨١]؛ علىٰ سبيل الخبر أَيْضًا، وعلىٰ سبيل الدعوة.

ومما يُقوِّي ذلك كُلّه قول الله ﷻ في فاصلة الآية في الأعراف: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ [سورة الأعراف:٨١]؛ أي: أنتم تجاوزتم حدود الفطرة البشرية، فالإسراف هو تجاوز الحد، وقوم لوط تجاوزوا حدود الفطرة البشرية وخرجوا عنها كما قال الله ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾ [سورة الأنبياء:٧٤]؛ فسماهم «فَاسِقِينَ» لأنهم خرجوا عن الفطرة البشرية، إذًا القصة في سورة الأعراف تمثل أول أطوار الدعوة.

وإذا تأمَّلنا في سورة النمل نجد أن القصة تختلف اختلافًا كبيرًا عن سورة الأعراف، إذ أن القصة جوها مشحونٌ باللوم والعتاب والتقريع والتوبيخ والهجوم من لوطٍ عليه السلام لقومه حيث قال لهم: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤﴾ [سورة النمل:٥٤]؛ فقوله: ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤﴾ [سورة النمل:٥٤]؛ هذا لومٌ وعتابٌ وتوبيخٌ من لوطٍ -عليه السلام- لقومه.

ومما يُعزِّز ذلك قول الله ﷻ بعدها: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥﴾ [سورة النمل:٥٥]، فهاجمهم بهذا الوصف الذي لا يمكن أن يتحمله إنسان؛ حتىٰ الجاهل يتبرأ من هذا الوصف، لذلك غضبوا؛ فقال الله ﷻ بعدها: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ [سورة النمل:٥٦]؛ قال أهل التأويل: «**أظهروا اسمه غيظًا وكمدًا منهم**».

إذًا الحال يختلف بين القصتين، فلا سواء بين هاتين القصتين، فالقِصَّة في الأعراف تمثل أول أطوار الدعوة والقِصَّة في سورة النمل تمثل أحد أطوار الدعوة المتقدمة، وهذا من توجيه هذه الآيات المتشابهة المتقاربة، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٦) سر تخصيص نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان؛ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الصافات في قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ [سورة الصافات:٧٨-٧٩].

في حين أنه قال في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في السورة نفسها: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ [سورة الصافات:١٠٨-١٠٩].

وهكذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ في بقية الأنبياء مثلما قال في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فجاء تخصيص نوحٍ بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ [سورة الصافات:١٠٩] من دون سائر الأنبياء الذين ذكرهم الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الصافات.

جاء عند ابن جريرٍرحمه الله تعالىٰ في تفسيره قال: «**تركنا عليه الذكر الجميل والثناء الحسن في الآخرين**»، فما سر تخصيص نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا اللفظ من دون سائر الأنبياء الذين ذكرهم الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الصافات؟!

لما أهلك الله قوم نوح وأغرقهم بالطوفان بقي نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبناءه الثلاثة وهم: «**حام، وسام، ويافث**»، وبهذا البقاء يُعَدُّ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أبو البشر الثاني، وبهلاك قوم نوح تجددت البشرية مرةً أخرىٰ.

فالأمم والخلائق والشعوب تدعوا لأبيها نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ قيام الساعة بالذكر الحسن والثناء الجميل والسيرة العطرة، وهذا من سر تخصيص قول الله عَزَّ وَجَلَّ في نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ [سورة الصافات:٧٨-٧٩]؛ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٧) الفرق بين (الآخِر) و (الآخَر) بكسر الخاء وفتحها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

- يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد:٣].

- في حين أنه قال في يوسف: ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ [سورة يوسف:٤١].

فجاء اللفظ في الآية الأولىٰ بقوله: ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ [سورة الحديد:٣] بكسر الخاء.

وجاء اللفظ في الآية الثانية بقوله: ﴿ٱلْآخَرُ﴾ [سورة يوسف:٤١] بفتح الخاء.

وثمة فرقٌ بين هذين اللفظين في الدلالة البيانية في تَعبير القُرْآنِ الكريم؛ أما «**الآخِر**» بكسر الخاء فهو ما دلَّ علىٰ الانتهاء كما قال ابن منظور في «**لسان العرب**»، وهو ما كان آخر العدد، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [سورة الحديد:٣]، الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء.

ونظير ذلك يقول الله ﷻ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [سورة التوبة:٢٩].

ومؤنث الْآخِرِ هو «**الآخرة**» كما قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [سورة القيامة:٢٠-٢١].

وجمع «**الْآخِر**»: هم الآخِرون، كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨﴾ [سورة الصافات:٧٨]، وهذا ثناءٌ علىٰ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأما «**الْآخَر**» بفتح الخاء فهو ما تميَّز عن الأول بشيء، وهو ما كان مغايرًا عن الأول بعملٍ أو بصفة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ﴾ [سورة يوسف:٤١]، وقال الله ﷻ: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأٓخَرِ﴾ [سورة المائدة:٢٧].

ومؤنث «**الْآخَر**»: هي الأخرىٰ كما قال الله ﷻ في طه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧﴾ [سورة طه:٣٧].

وجمع «**الْآخَر**»: هم الآخَرون كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأٓخَرِينَ ۝٦٤﴾ [سورة الشعراء:٦٤]؛ وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأٓخَرِينَ ۝١٧٢﴾ [سورة الشعراء:١٧٢].

إِذًا لا سواء بين هذين اللفظين في تعبير القُرْآنِ الكريم وفي الدلالة البيانية في نظم كتاب الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٨) الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود:٢٥]
وقوله: ﴿نَذِيرٌ لَّكُم﴾ [سورة سبأ:٤٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان.

- يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة هود:٢٥].

- في حين يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة سبأ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة سبأ:٤٦].

- فقال الله ﷻ في آية هود: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود:٢٥].

- وقال في آية سبأ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ [سورة سبأ:٤٦].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، فالآية الأولىٰ قَدَّمت الجار والمجرور علىٰ العامل، والآية الثانية أخَّرت الجار والمجرور علىٰ العامل، والمقرر من قواعد العربية: «**أن تقديم الجار والمجرور علىٰ العامل يفيد الحصر والقصر والاختصاص**».

وهذه المعاني ظاهرةٌ من قول نوحٍ عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود:٢٥]؛ أي: أنا خاصٌ بكم ورسالتي محصورةٌ عليكم ومقصورةٌ لكم دون غيركم؛ فنوحٌ عليه السلام أُرسل لقومه خاصة وهكذا شأن جميع الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القُرْآنِ الكريم وغيرهم.

فكل نبيٍ يقول لقومه:

- ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود:٢٥].

- أو ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الشعراء:١٠٧]، كما جاء ذلك في سورة الشعراء؛ والرسل الذين أُرسلوا لأصحاب القرية في سورة «**يس**» يقول الله -جَلَّ شأنه- عنهم:

﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [سورة يس:١٤]، «إنا إليكم» أي: نحن خاصون بكم ونحن رسلٌ لكم دون غيركم.

إذًا؛ الرسل كلهم أرسلوا لأقوامهم خاصة والنبي ﷺ بيَّن ذلك في البُخَارِيّ إذ يقول: «والنبي يبعث إلىٰ قومه خاصة»، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ في سورة هود علىٰ لسان نوح: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾ [سورة هود:٢٥].

في حين أن في سورة «سبأ» قال الله -جَلَّ شأنه- في النبي ﷺ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم﴾ [سورة سبأ:٤٦]، فتأخَّر الجار والمجرور علىٰ العامل، والسياق أفاد الإحاطة والشمول والعموم.

ورسالة النبي ﷺ كما هي معلومة عامةٌ للثقلين الإنس والجن، كما قال الله ﷻ في ذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سورة سبأ:٢٨]، والنبي ﷺ قال في البخاري: «وبعثت للناس عامة»، فآية «سبأ» بينت أن رسالة النبي ﷺ عامة غير محصورة لأحد؛ لا لوطنٍ أو لعرقٍ أو لجنسيةٍ أو للونٍ أو غير ذلك.

وصفوة هذه الوقفة: أن آية «هود» بينت أن رسالة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ محصورةٌ ومقصورةٌ علىٰ قومه، وفي آية «سبأ» بينت أن رسالة النبي ﷺ عامةٌ غيرِ محصورةٍ لأحد.

وهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة المتباينة في كتاب الله ﷻ، فكل آيةٍ اقتضت معنًىٰ يختلف عن الأخرىٰ، وهذا من توجيه هذه الآيات والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٤٩) الدلالة البيانية لكلمة (عفريت) في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

هذه وقفةٌ بيانية حول لفظ «**العفريت**» في القُرْآنِ الكريم.

«**العفريت**» عند أهل العربية من العَفَر وهو الشدة والقوة.

و«**العفريت**»: كل شيطانٍ بلغ القِمَّة في الإبداع والإتيان بالخوارق تسميه الجن عفريتًا.

والكلمة جاءت في القُرْآن مرة واحدة في قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [سورة النمل:٣٩]، قال أهل التأويل: «**أي قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه**»، و«**العفريت**» يقابله في الإنس البطل، فالعفاريت هم أبطال الجن، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٠) أعظم بلاء جاء في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

تعدَّد البلاء وتنوَّع في كتاب الله ﷻ بين الخير والشر كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٣٥].

ومن جملة ما جاء من البلاء في القُرْآنِ الكريم: بلاءُ بني إسرائيل مع عدوهم فرعون كما قال الله ﷻ: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأعراف:١٤١].

غيرَ أن أعظم بلاءٍ جاء في القُرْآنِ الكريم: هو ما جاء في سورة الصافات في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٦]، و«**الْبَلَاءُ الْمُبِين**»: البين الواضح؛ كما جاء عند أهل التأويل، وذلك في قصة إبراهيم عليه السلام لـمَّا أمره الله ﷻ بذبح ابنه، ولا ريب ولا جرم أن هذا أعظم بلاءٍ تبتلىٰ به النفس في أنَّ أبـًا يذبح ابنه تقربًا وطاعةً لله ﷻ.

ومما يُعزِّز هذا التوكيدات التي جاءت في الآية:

- في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ﴾ [سورة الصافات:١٠٦]، التي تفيد التوكيد.
- واللام التي جاءت في الآية في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُوَ﴾ [سورة الصافات:١٠٦]، والتي تفيد التوكيد أيْضًا.
- وضمير الفصل «**هو**» الذي يفيد التوكيد في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُوَ﴾ [سورة الصافات:١٠٦].
- وأدوات الحصر والقصر وهي: «**أل التعريف**» التي تفيد الحصر والقصر في قوله تعالىٰ: ﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٦]، فهذا أعظم بلاءٍ جاء في القُرْآنِ الكريم وليس له نظيرٌ في كتاب الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٥١) تفسير كلمة (الجمل) في القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

هذه وقفةٌ لطيفة حول الدلالة البيانية للفظ «الجمل» في القُرْآنِ الكريم يقول الله جل شأنه في التنزيل في تيئيس الكفار من دخول الجنة: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [سورة الأعراف:٤٠].

و«الجمل»: هو الحيوان المعروف، جاء ذلك تفسيره عند جمهور المفسرين، واختار هذا التفسير إمام المفسرين ابن جريرٍ الطبري رحمه الله تعالىٰ، و«سَمِّ الْخِيَاطِ»: هو ثُقب الإبرة، فقد علَّق الله -جَلَّ شأنه- دخول الكفار الجنة بولوج هذا الجمل المهيب في خِلقته العظيم في هيأته؛ بأن يدخل هذا الجمل في ثقب الإبرة وهو «سمُّ الْخيَاط».

وهذا التفسير منسجمٌ وملائمٌ للغة العرب، فالقُرْآنُ الكريم لا يخاطب العرب إلا:

- بما يفهمون من لغتهم.
- وبما يشاهدون في بيئتهم.

وقد قرأ ابن عباسٍ رضي الله عنهما «الجمل» بالجُمَّل: وهو الحبل الغليظ الذي تُشد به السفن، وشتانَّ بين اللفظين.

وقال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾ [سورة المرسلات:٣٣]، و«الجِمالة»: جمع جمل، كحَجَر وحجارة، وهذا قرره أهل العربية في كتبهم.

وصفوة هذه الوقفة: أن «الجمل» في الآية هو الحيوان المعروف، واختار هذا التفسير ابن جريرٍ الطبري رحمه الله تعالىٰ في تفسيره، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٢) أنواع الفوز (المبين، الكبير، العظيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

هذه وقفة لطيفة حول لفظ «الفَوْز» في القرآن الكريم. «الفَوْز»: هو الظَفَر بالخير مع حصول السلامة، قال ذلك الراغب الأصفهاني في مفرداته علىٰ القرآن الكريم.

والفوز كُلُّ الفوز أن يفوز الإنسان بالآخرة، كما قال الله جل شأنه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

وقد تعدَّد الفوز وتنوَّع في كتاب الله ﷻ علىٰ ثلاثِ مراتب ووصف بثلاثة أوصاف:

أولها: «**الفوز المبين**»: وهو أن يُصرف عن صاحبه عذاب جهنم ويفوز برحمة الله ﷻ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦]، وقوله تعالىٰ أيضًا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الجاثية:٣٠]، و«**الفوز المبين**» جاء في القرآن الكريم مرتين.

وثانيها: «**الفوز الكبير**»، والفوز الكبير جاء في قصة أصحاب الأخدود الذين افتُتنوا في دينهم والذي أبتُلوا في دينهم، فوصف الله ﷻ فوزهم بالفوز الكبير، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة البروج:١١]، و «**الفوز الكبير**» جاء في القرآن الكريم مرة واحدة.

وثالث هذه المراتب هو: «**الفوز العظيم**»، وهو أعلىٰ فوز جاء في القرآن الكريم، والفوز العظيم يأتي في سياق:

- الخلود في الجنة.
- والمساكن في الجنة.
- ويأتي في سياق رضا الله ﷻ.

وأعلىٰ فوز جاء في القرآن الكريم ما جاء في سورة الصافات في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾ [سورة الصافات:٦٠-٦١]، هذا الفوز أفضىٰ بصاحبه إلىٰ الجنة وإلىٰ دخولها، والآية فيها من المؤكِّدات الشيءَ الكثير الذي جعل هذه الآية تمثل وتتضمن أعلىٰ فوز جاء في القرآن الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٥٣) رسم البسملة في القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

هذه وقفةٌ لطيفة حول رسم البسملة في القُرْآنِ الكريم، البسملة في كتاب الله ﷻ تأتي علىٰ رسمين والمعني في هذه الوقفة لفظ «اسم» هذا اللفظ يأتي مرسومًا في القُرْآنِ الكريم دون ألف في أوله ويأتي مرسومًا بالألف.

فيأتي مرسومًا دون ألفٍ في أوله بشرطين -ولابد من اجتماع الشرطين كليهما-:

- وهو أن يكون مجرورًا بحرف الجر «الباء».
- وأن يكون مضافًا إلىٰ لفظ الجلالة «الله» كقوله تعالىٰ مثلًا في سورة هود: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [سورة هود:٤١]، وكقوله تعالىٰ في النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [سورة النمل:٣٠]، في هاتين الآيتين رُسم اللفظ دون ألفٍ في أوله.

وإن اختل أحد الشرطين وإذا فقد أحد الشرطين رجع الاسم مرسومًا كاملًا بألف:

- ومثال فقد الشرط الأول كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ [سورة الحج:٣٦]، فهنا رُسم اللفظ بألف.
- ومثال فقد الشرط الثاني كقوله تعالىٰ مثلًا في الواقعة: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [سورة الواقعة:٧٤]، هنا جاء اللفظ مرسومًا بألف لأنه أضيف إلىٰ لفظ «رب».
- ومثال فقد الشرطين في القُرْآنِ الكريم قوله تعالىٰ في سورة الأعلىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [سورة الأعلىٰ:١]، فهنا جاء اللفظ مرسومًا بألف، وهذا الرسم خاصٌ بكتاب الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٥٤) إلى ما يعود الضمير في قوله ﴿ولقد تركناها آية﴾؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذي الجبروت والإنعام، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة القمر في قصة نوحٍ عليه السلام: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٥﴾ [سورة القمر: ١٥]، فاختلف أهل التفسير في رجوع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ [سورة القمر: ١٥]، إلىٰ ما يعود هذا الضمير؟!

- فطائفةٌ من المفسرين تقول: «**إن الضمير راجعٌ إلىٰ الفِعلة التي فعلها الله ﷻ بقوم نوح، حيث أغرقهم وجعلهم عبرةً وعظةً ودرسًا للبشرية علىٰ وجه التاريخ**»، وهذا يؤيده قول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [سورة الفرقان:٣٧]، أي: وجعلنا هلاكهم للناس آيةً وعظةً ودرسًا.

- وطائفةٌ أخرىٰ من المفسرين تقول: «**إن الضمير عائدٌ وراجعٌ إلىٰ السفينة التي صنعها نوحٌ عليه السلام وأتقنها وركبها هو ومن معه من المُؤْمِنِيْن**»، وهذا أَيْضًا يؤيده قول الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٥﴾ [سورة العنكبوت:١٥].

فكلا القولين مُرادان في تفسير هذا الضمير، وهذا من سِعَةِ لفظ القُرْآنِ الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٥) الفرق بين المطر والغيث في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الشعراء:١٧٣].

في حين يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [سورة لقمان:٣٤].

فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «المطر» وجاءت الآية الثانية بلفظ «الغيث»، وشتان بين هذين اللفظين في تعبير القُرْآن الكريم.

- فأما «المطر» فإنه يأتي في القُرْآنِ الكريم في سياق العذاب في جميع القُرْآن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة هود:٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [سورة الفرقان:٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الشعراء:١٧٣]، كل ذلك وغيره في سياق العذاب وقد جاء المطر في القُرْآنِ الكريم في سياق العذاب في خمس عشرة آية سوىٰ آيةٍ واحدة من القُرْآنِ الكريم جاء المطر فيها في سياق الخير والرحمة وجاء أَيْضًا مقيدًا، وذلك في سورة النساء؛ إذ يقول الله ﷻ ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [سورة النساء:١٠٢]، وهذا المطر هو المطر المعروف.

- أما لفظ «الغيث» فإنه يأتي في القُرْآنِ الكريم في سياق الرحمة كما قال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [سورة لقمان:٣٤]؛ ويقول الله ﷻ في الشورىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [سورة الشورىٰ:٢٨].

فكل ذلك في سياق رحمة، وهذا التعبير خاصٌ بالقُرْآنِ الكريم، وأما في لغة العرف فأن المطر يأتي في سياق الرحمة كما قال النبي ﷺ: «**مُطرنا بفضل الله ورحمته**»، والله ﷻ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٦) إعجاز في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [سورة الإسراء:١٠١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [سورة الإسراء:١٠١]، هذه الآية في سورة الإسراء حيث أيَّد الله ﷻ كليمه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بتسع آياتٍ بينات من جملتها: «العصىٰ والطوفان والجراد والقمل والضفادع»، وغير ذلك.

والمتأمِّل والمتدبِّر لكتاب الله ﷻ يجد أمرًا لافتًا للنظر، وهو أن لفظ «موسىٰ» عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء مرتبطًا بلفظ «الآيات» في القُرْآنِ الكريم تسع مرات، فقد اجتمع موسىٰ مع لفظ «الآيات» تسع مراتٍ في كتاب الله ﷻ، كقوله تعالىٰ مثلًا في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦﴾ [سورة هود:٩٦]، هذه الآية جمعت بين لفظي «موسىٰ» و «الآيات»، هذا الاجتماع نجده في تسع آياتٍ من القُرْآنِ الكريم بعدد الآيات التي أيَّد الله ﷻ بها موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وثمة أمرٌ آخر: وهو أن آية الإسراء وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [سورة الإسراء:١٠١]، جاءت هذه الآية في وصف الآيات التسع التي جمعت بين لفظي «موسىٰ» و «الآيات» في القُرْآنِ الكريم.

كقوله تعالىٰ مثلًا قبل آية الإسراء في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة إبراهيم:٥].

وقوله تعالىٰ مثلًا بعد آية الإسراء في سورة الزخرف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٦﴾ [سورة الزخرف:٤٦].

فآية الإسراء جاءت في وسط الآيات التسع التي جمعت بين لفظي «موسىٰ» و «الآيات».

وهنالك أمرٌ أخير: وهو أن لفظ «الآيات» في القُرْآنِ الكريم جاء بتسع صيغ، فجاء منه متصرفًا بتسع صيغ مثلًا: «الآيات» و«آياتنا» و«آياتهم» و«آياتي» و«آية» وغير ذلك.

فهذا اللفظ جاء مُتصرِّفـاً بتسع صيغٍ في القُرْآنِ الكريم، وهذا ليس من باب الصُّدفة بل هو من إحكام كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٧) الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة البقرة:٨٣] ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة البقرة:٨٣].

في حين يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة النساء: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ في شأن بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة البقرة:٨٣].

وقال الله ﷻ في الآية الثانية في شأن المسلمين: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦].

فزيدت «**الباء**» في الآية الثانية عن الآية الأولىٰ، وقد ذكر العلماء أسبابًا لزيادة «**الباء**» في آية النساء عن آية البقرة:

❍ من ذلك: أن آية النساء جاء التفصيل فيها أكثر مما جاء عليه في سورة وآية البقرة، فلما فصَّل الله ﷻ وأطنب في آية النساء ناسب زيادة الباء في آية النساء عن آية البقرة، وهذا ما يسميه العلماء بالسِّمة التعبيرية في البيان القُرْآني.

❍ ومن ذلك أَيْضًا: أن آية النساء فيه أمرٌ صريحٌ من الله ﷻ بعبادته والإحسان إلىٰ الوالدين والإحسان لذي القربىٰ، فأكَّد الله ﷻ بزيادة الباء في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦]، علىٰ هذا الأمر، و«**الباء**» تُزاد للتوكيد في البيان القُرْآني.

فلما كان الأمر من الله ﷻ في شأن المسلمين وفي شأن الأمة المحمدية التي فضَّلها الله ﷻ علىٰ سائر الأمم أكَّد الله ﷻ علىٰ صِلة ذي القربىٰ وعلىٰ التلاحُم والتواصل بين الأرحام أكثر

مما أكَّد عليه في آية البقرة في شأن بَنِي إِسْرَائِيل؛ وهذا من التوجيه بين هاتين الآيتين المتناظرتين، والله ﷻ أعلم بمراده وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علىٰ نبينا محمد.

(١٥٨) التقديم والتأخير بين آيتي الأنفال وبراءة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٧٢].

علىٰ حين يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة براءة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة التوبة:٢٠].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، فقدَّم الأموال في الآية الأولىٰ وقال: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٧٢].

وجاء التقديم في سورة براءة بقوله تعالىٰ: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة التوبة:٢٠].

والكلمة المُقدَّمة في السياق القُرْآني لها العناية ولها التركيز ولها الأهمية بشكلٍ أكبر، ولابد من النظر في السياق القُرْآني إذ هو أحد قواعد التأمُّل والتدبُّر في كتاب الله ﷻ.

- فالسياق في سورة الأنفال يتحدث عن الغنائم وعن الفِداء وعن أخذ المال كما قال الله ﷻ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧﴾ [سورة الأنفال:٦٧]، وعَرَض الدنيا هو المال كما جاء عند أهل التأويل.

وقال الله ﷻ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [سورة الأنفال:٦٨]، أي: من الفداء والمغنم: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦٩﴾ [سورة الأنفال:٦٨-٦٩]، فلما كان الحديث عن الغنائم في سورة الأنفال قدَّم وقال: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٧٢].

وأما في سورة براءة فالسياق يتحدث عن الجهاد في سبيل الله كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ﴾ [سورة التوبة:١٦].

وقال تعالىٰ أَيْضًا فيها ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة التوبة:١٩].

فلما كان الحديث والسياق في سورة براءة عن الجهاد في سبيل الله قدَّم وقال: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ﴾ [سورة النساء:٩٥]، فكل كلمة نالت أهميتها في السياق القُرْآني بين هاتين الآيتين، وهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ جاء ذلك عند الكَرماني في «أسرار التكرار» والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٥٩) الفرق بين الرياح والريح في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [سورة الفرقان:٤٨].

في حين يقول الله ﷻ في سورة الذاريات: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الذاريات:٤١].

- فجاءت الآية الأولىٰ: بلفظ «الرِّيَاح».
- وجاءت الآية الثانية: بلفظ «الرِّيح».

واللفظان اسمان لمسمىٰ واحد غيرَ أنَّ القُرْآنَ الكريم يُفرِّق في التعبير بينهما، فبالتأمل والتدبر لكتاب الله ﷻ نجد أن لفظ «الرِّيَاح» يأتي في سياق الخير والرحمة والبُشرىٰ من الله ﷻ.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [سورة الروم:٤٦].

وقال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [سورة الحجر:٢٢].

علىٰ حين أننا نجد لفظ «الرِّيح» يأتي في سياق العذاب والهلاك والعقاب؛ كما قال الله جلَّ شأنه في عاد: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الذاريات:٤١].

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [سورة الأحزاب:٩].

إذًا لفظ «**الرِّيَاح**» يأتي في سياق الرحمة والخير والبُشرىٰ من الله ﷻ؛ وأما لفظ «**الرِّيح**» فيأتي في سياق العذاب والعقاب والهلاك، وهذا التعبير خاصٌ بكتاب الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٦٠) الفرق بين (اليم) و (البحر) في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَقَدَّرَ فَهَدَىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٦]، هذه الآية في سورة الأعراف.

في حين يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [سورة النحل:١٤]، وهذه الآية في سورة النحل.

- فجاءت الآية الأولىٰ: بلفظ «الْيَمّ».
- وجاءت الآية الثانية: بلفظ «الْبَحْر».

وكلا الاسمين لمسمىٰ واحد غيرَ أنَّ النظمَ القُرْآني يُفرِّق بين هذين الاسمين في التعبير القُرْآني:

- أما «الْيَمّ» فقد اختلف العُلَمَاءُ فيه علىٰ قولين:

❍ فمنهم من ذهب إلىٰ أن الكلمة هي كلمةٌ عِبرية لذلك لا تجدها إلا في سياقات بَنِي إِسْرَائِيل في القُرْآنِ الكريم.

❍ وذهب آخرون إلىٰ أن اللفظ أصله عربي من «مَيْمُوم» وهو الغريق، فإذا طُرح الرجل في البحر سمي ميمومًا، وجاء ذلك عند الخليل بن أحمد في كتابه «العين».

وإذا تأمَّلنا الكلمة في سياق القُرْآنِ الكريم وجدنا أن كلا القولين ماثلين في الدلالة البيانية لهذه الكلمة في سياق القُرْآن، فالكلمة لا تأتي إلا في سياقات بَنِي إِسْرَائِيل ولا تأتي أَيْضًا إلا في سياق الشدة والغرق والهلاك.

من ذلك يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٦].

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة طه:٧٧-٧٨]، وهذا سياق غرقٍ وهلاك.

وكقوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ﴾ [سورة القصص:٧]، وهذا موقفٌ شديدٌ عصيب لأم موسىٰ.

أما لفظ «الْبَحْر» فيأتي في القُرْآنِ الكريم في سياق المنافع الدنيوية والمصالح للناس، كما قال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [سورة النحل:١٤].

وقال تعالىٰ أَيْضًا: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرحمن:١٩-٢٢]، وهذه منافع للناس.

وكقوله أَيْضًا: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾ [سورة فاطر:١٢]، وهذا لا ريب أنه منافعُ للناس.

وصفوة هذه الوقفة: أن لفظ «الْيَمّ» في القُرْآنِ الكريم تأتي هذه الكلمة في سياق الغرق والهلاك أو المواقف الشديدة العصيبة؛ وأما لفظ «الْبَحْر» فإنه يأتي في سياق المنافع للناس بشكلٍ عام والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦١) الفرق بين (تتذكَّرون) و (تذكَّرون) في تعبير القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنعام:٨٠]، وهذه الآية في سورة الأنعام، في حين يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة النحل: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧].

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنعام:٨٠] بتاءَين.
- وجاءت فاصلة الآية الثانية بتاءٍ واحدة وقال الله ﷻ فيها: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧].

والفاصلة القُرْآنية هي جزءٌ لا يتجزأ من معنىٰ الآية فهي تُتِم معنىٰ الآية وتكمل معنىٰ الآية، فإذا كان السياق القُرْآني يحمل مسائل كثيرة ويضم مسائل تحتاج إلىٰ طولٍ في التأمُّل والتفكير والتدبر هنا تختم الآية بفاصلةٍ بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنعام:٨٠]، بتاءَين.

كما قال الله ﷻ في سورة الأنعام في محاجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنعام:٨٠]، وهذه المُحاجَّة دامت طويلًا بدلالة المد اللازم، قال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [سورة الأنعام:٨٠].

هذه مسائل كثيرة تحتاج إلىٰ طولٍ في التفكير والتدبر والتأمل، لذا جاءت فاصلة الآية بتاءَين بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [سورة الأنعام:٨٠]، أي: أفلا تُطيلون التذكر والتأمل والتفكير في مثل هذه المسائل، ونظير هذا ما جاء في سورة السجدة وفي سورة غافر.

في حين أنَّ آيةَ النحل خُتمت بتاءٍ واحدة بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧]، والسياق القُرْآني إذا كان يضم مسائل واضحة أو مسألةً واضحة لا تحتاج إلىٰ طولٍ في التأمُّل ولا التفكير ولا التدبُّر هنا تختم الآية بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧]، كما جاء ذلك في سورة النحل كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧].

هذه مسألة واضحة، هذه مسألة لا تحتاج إلىٰ طول في التفكير والتأمل والتدبر لذا جاءت فاصلة الآية منسجمة مع سياقها، فقال الله ﷻ فيها: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧].

ونظيرُ هذا ما جاء في سورة الذاريات وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [سورة الذاريات:٤٩]، فهذه مسألةٌ واضحة لا تحتاج إلىٰ طولٍ في التأمُّل والتفكير فجاءت فاصلة الآية بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [سورة النحل:١٧]، والزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٢) الفرق بين (وهو الغفور الرحيم) (وهو الرحيم الغفور)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في كتابه العزيز: ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨﴾ [سورة الأحقاف:٨]، وهذه الآية في سورة الأحقاف.

في حين يقول الله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [سورة سبأ:٢]، وهذه الآية في سورة سبأ، فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الفاصلتين.

- جاءت فاصلة الآية الأولىٰ بتقديم «**الغفور**» علىٰ «**الرحيم**» وقد ترددت هذه الفاصلة في القُرْآنِ الكريم في بضعٍ وسبعين آيةً من كتابه العزيز.
- في حين جاءت فاصلة آيةِ سبأ بتقديم «**الرحيم**» علىٰ «**الغفور**» وهي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم بهذه الفاصلة، فما السِّرُّ البياني في التقديم والتأخير بين هاتين الفاصلتين؟!

بالتأمل والتدبر لكتاب الله ﷻ نجد أن القُرْآنَ الكريم يُقدِّم لفظ «**الغفور**» علىٰ «**الرحيم**» في سياق الذنوب والمعاصي والآثام التي اكتسبتها أيدي الناس، كما قال الله ﷻ: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ [سورة البقرة:١٨٢].

ويقول الله -جَلَّ شأنه- أَيْضًا: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [سورة المائدة:٣]، فقدَّم الله ﷻ لفظ «**الغفور**» في هاتين الآيتين وغيرهما لما كان السياق يتحدث عن ذنوبٍ ومعاصي اجترحها الناس واكتسبتها أيدي الناس.

في حين في آية سبأ يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سورة سبأ:٢]، وهذه مصالح ومنافع للناس والله ﷻ رحيمٌ بهذه الأمور كلها، فعندها قدَّم «**الرحيم**» علىٰ «**الغفور**» وقال: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة سبأ:٢].

فالآية ليست في سياق الذنوب والمعاصي؛ إنما في سياق منافع ومصالح للناس والله ﷻ رحيمٌ بها، وهذا من توجيه هاتين الفاصلتين في كتاب الله ﷻ، والله أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٣) الفرق بين الفعلين (وإن تدعوهم) (وإن تدعهم)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [سورة الأعراف:١٩٣]، وهذه الآية في سورة الأعراف.

في حين يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الكهف: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧﴾ [سورة الكهف:٥٧].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ [سورة الأعراف:١٩٣].
- وقال في الثانية: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ﴾ [سورة الكهف:٥٧].

فما الفرق بين هذين الفعلين من حيث الناحية النحوية الإعرابية؟!

- أما الفعل الأول في سورة الأعراف: أصله «**تدعون**» فهو فعلٌ من الأفعال الخمسة مسندٌ لواو الجماعة، والمخاطب به الكفار، والمعنىٰ: وإن تدعون الأصنام لا يتبعونكم، هذا أصل الكلام.
- وأما الفعل الثاني في سورة الكهف: فأصله «**تدعوا**» فهو فعلٌ مضارع معتل الآخر، والمُخاطَب به النبي ﷺ: وإن تدعوا الكفار يا محمد فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا، وهذا هو أصل الكلام.

والفعلان كلاهما دخلت عليه أداة الجزم «**إِنْ**» التي تجزم فعلين، فالفعل الأول جُزم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والفعل الثاني جُزم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، فهو معتل الآخر، وهذا هو الفرق بين هذين الفعلين، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٤) (فجعلتم منه حراما و حلالا) (هذا حلال وهذا حرام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة يونس: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩﴾ [سورة يونس:٥٩].

في حين يقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة النحل:١١٦].

فقدَّم الله -جَلَّ شأنه- في سورة يونس لفظ «**الحرام**» وقال: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [سورة يونس:٥٩].

وقدَّم الله ﷻ في سورة النحل لفظ «**الحلال**» وقال: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [سورة النحل:١١٦].

والكلمة المُقدَّمة في السياق القُرْآني لها العناية ولها التركيز أكثرُ من غيرها، ذلك أن السياق في سورة يونس يتحدث عن الرزق الذي أحلَّ الله، كما قال الله ﷻ في صدر الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [سورة يونس:٥٩]، والأصل في الرزق أنه حلال كما قال الله ﷻ في الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف:٣٢].

جاء عن ابن جريرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ- عن مجاهد قال: «**حرَّموا السائبة والوصيلة والحام التي ذكرها الله ﷻ في سورة المائدة**».

إِذًا الكفار افتروا علىٰ الله الكذب وحرَّموا ما رزقهم الله افتراءً علىٰ الله فقدَّم الله لفظ «**الحلال**» عنايةً في هذه الكلمة في السياق القُرْآني.

علىٰ حين أن في سورة النحل قدَّم لفظ الحلال ذلك أن السياق في سورة «**الحلال**» يتحدث عن الأطعمة التي حرم الله ﷻ، فقال في ذلك: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥﴾ [سورة النحل:١١٥].

والكفار افتروا علىٰ الله كذبًا وأحلوا ما حرم الله ﷻ من هذه الأطعمة ومن غيرها، وبعد هذه الآية يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ [سورة النحل:١١٨]، إِذًا السياق كله تحريم من لَدُن الله ﷻ والكفار أحلوا ما حرم الله.

وصفوة الكلام: أن الكفار افتروا علىٰ الله الكذب في كلتا الآيتين، فقد حرموا الرزق الذي أحلَّ الله وأحلوا الطعام الذي حرَّم الله، وهذا توجيهٌ لهاتين الآيتين المتناظرتين في كتاب الله ﷻ، أسأل -الله تَعَالَىٰ- أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٥) ﴿والله غفور رحيم﴾ ﴿إن الله غفور رحيم﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [سورة البقرة:٢١٨].

في حين قال الله ﷻ في براءة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [سورة التوبة:١٠٢].

- فجاء التوكيد في فاصلة الآية الثانية وقال فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [سورة التوبة:١٠٢].

- علىٰ حين أن الآية الأولىٰ خلت من التوكيد فقال الله فيها: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [سورة البقرة:٢١٨].

وتتردد هذه الآيات كثيرًا في كتاب الله ﷻ ويكثر حولها السؤال لِمَ أكَّد في هذه الآية ولم يؤكِّد في الآية الأخرىٰ؟

التوكيد في القُرْآنِ يأتي علىٰ قدر الحاجة، والتوكيد في القُرْآنِ يستدعيه السياق ويستدعيه المعنىٰ.

وبالتأمُّل في كتاب الله ﷻ والتدبر والسبرِ للقرآن الكريم نجد أن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [سورة التوبة:١٠٢]، بالتوكيد يأتي في سياق الذنوب والمعاصي التي تتحدث عنها الآية والتي اقترفها الناس واجترحها الناس واكتسبتها أيدي الناس.

كما قال الله ﷻ في سورة التوبة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [سورة التوبة:١٠٢]، فهؤلاء اكتسبوا ذنوب، ثم قال الله ﷻ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾

[سورة التوبة:١٠٢]، بعد أن رجعوا وأنابوا إلىٰ الله ﷻ وطلبوا مغفرته فأكَّد الله ﷻ في هذا السياق وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [سورة التوبة:١٠٢].

ونظيرُ ذلك قوله تعالىٰ في سورة المائدة بعد أن وردت آياتٌ فيها الحدود وذَكَرَ الله ﷻ حدوده، ثم أعقب بذلك وقال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ [سورة المائدة:٣٩]، من رجع عن ذنبه وأصلح وتاب إلىٰ الله وطلب مغفرة الله ﷻ بعد هذا الذنب الذي اقترفه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [سورة المائدة:٣٩]، ونظائر ذلك كثير في كتاب الله ﷻ.

علىٰ حين أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [سورة البقرة:٢١٨]، في آياتٍ لم يأتِ فيها ذنوبٌ ولا معاصي اقتُرفت من قِبل العباد ومن أيدي الناس، كما قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة البقرة:٢١٨]، فالآية تتحدَّث عن الذين آمنوا والمهاجرين وتتحدث عن الذين جاهدوا في سبيل الله، فأولئك كلهم يرجون رحمت الله والله ﷻ غفورٌ رحيم ابتداءً.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [سورة البقرة:٢١٨]، بدايةً وابتداءً من الله ﷻ قَبل أن يكتسب الناس ذنوبًا أو معاصي.

ويقول الله ﷻ في ذلك أَيْضًا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [سورة آل عمران:٣١]، ثم بيَّن الله ﷻ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [سورة آل عمران:٣١]، في فاصلة هذه الآية، فالله ﷻ ابتداءً غَفُورٌ رَحِيم.

إِذن؛ صفوة هذه الوقفة:

- أنه إذا تحدثت الآية عن ذنوبٍ ومعاصي اكتسبها الناس فَإنَّ الله ﷻ يؤكِّد علىٰ مغفرته للمذنبين والتائبين ويرحمهم، ويقول الله ﷻ في ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [سورة التوبة:١٠٢].

- أما إذا لم يأتِ في الآية ذنوبٌ ولا معاصي ولم تتحدث الآية عن ذلك ولا عن شيءٍ من ذلك فَإِنَّ الله ﷻ يبين علىٰ سبيل الابتداء بأنه غَفُورٌ رَحِيم، والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٦) ﴿بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩﴾ [سورة هود:٦٩]
﴿بِعِجۡلٍ سَمِينٖ ۝٢٦﴾ [سورة الذاريات:٢٦]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩﴾ [سورة هود:٦٩]، وهذه الآية في سورة هود.

علىٰ حين أن الله ﷻ قال في الذاريات: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦﴾ [سورة الذاريات:٢٦].

وهذه الآيات تحكي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أضيافه من الملائكة وهم: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل؛ كما جاء عند ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في تفسيره، واختلف اللفظ بين الفاصلة في هاتين الآيتين:

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بقوله: ﴿بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩﴾ [سورة هود:٦٩].
- وجاءت الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦﴾ [سورة الذاريات:٢٦].

ولا تنافر بين هاتين الفاصلتين، فكل فاصلة ناسبت الجو العام لسياقها.

أما قوله تعالىٰ: ﴿بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩﴾ [سورة هود:٦٩]، فعند ابن جريرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**الحنيذ**» هو المشوي، فلما قال الله ﷻ في سياق الآية: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ [سورة هود:٦٩]؛ أي: أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتأخَّر علىٰ أضيافه في تقديم الطعام، ومعلومٌ أن الحنيذ وهو المشوي لا يستغرق وقتا طويلا في تقديمه، فناسبت هذه الفاصلة الجو العام لسياق الآية.

علىٰ حين أن في سورة الذاريات قال الله ﷻ: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦﴾ [سورة الذاريات:٢٦]، و«**السمين**» عند أهل اللغة: هو المكتنز اللحم والممتلئ اللحم وهذا من أدب الضيافة، إذ أنَّ

إبراهيمَ عليه السلام قدم أجود ما يملك، وقدم أجود ما عنده من الطعام، وأكرم ما عنده من الطعام، وهذه الفاصلة ناسبت الجوَّ العام للسياق، إذ أنَّ الله ﷻ يقول في الذاريات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾ [سورة الذاريات:٢٤]، المُكرمين من الله ﷻ ومن قِبل إبراهيم عليه السلام إذ أنَّ إبراهيم عليه السلام أكرم ضيفه فقدَّم أجودَ وأطيبَ ما عنده من الطعام.

فهذه الفاصلة ناسبت الجو العام في سياقها، وهذا أَيْضًا من أدب الضيافة، فكل آيةٍ ناسبت سياقها، ولا تنافر بين هاتين الآيتين، فإبراهيمُ عليه السلام قدَّم عجلًا حنيذًا سمينًا لضيفه، وهذا جمعٌ للآيتين، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٧) الفرق بين (بثمنٍ بخس) و (وثمنًا قليلاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -ﷻ- في التنزيل في شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة يوسف:٢٠].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في التوبة: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة التوبة:٩].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [سورة يوسف:٢٠].
- وقال في الثانية: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة التوبة:٩].

وثمَّة فرقٌ كبير بين هذين الثمنين:

- أما «**الثمن البخس**»: فهو ما دون القيمة الأصلية للمبيع، وهو ما دون القَدر المساوي للسلعة، والبخس في اللغة: هو النقص، كما جاء عند ابن منظورٍ في «**لسان العرب**».

وكما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:٨٥]، أي: لا تُنْقِصُوهم حقوقهم، إذًا الثمن البخس هو ما دون القيمة الأصلية للمبيع، وهكذا باع إخوة يوسف يوسفَّ عليه السلام بعشرين درهم كما جاء ذلك عند ابن جريرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «**أن إخوة يوسف باعوا يوسف عليه السلام بعشرين درهم**».

وأما «**الثمن القليل**» فقد جاء في القُرْآنِ كله في مقابل آيات الله ﷻ، ومعلومٌ أن آياتَ الله ﷻ ليس لها عِوض وليس لها مُقابل وليس لها ثمن، فمهما دُفع في مقابل آيات الله ﷻ فهو قليل، والثمن القليل كما ذكرت جاء في مقابل آيات الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم، وهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة وهذه الألفاظ المتناظرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٦٨) الفرق بين (مليم) و (ملوم) في تعبير القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الذي هدانا للإسلام، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان نبينا محمد.

- يقول الله -جَلَّ شأنه- في الصافات: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [سورة الصافات:١٤٢]، هذه الآية في شأن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [سورة الذاريات:٥٤]، وهذه الآية في شأن النبي ﷺ.

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ: ﴿مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [سورة الصافات:١٤٢].
- وجاءت الآية الثانية بلفظ: ﴿بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [سورة الذاريات:٥٤].

وكلتا الكلمتين ترجعان إلىٰ أصلٍ واحد وهو اللوم والعذل علىٰ ارتكاب خطأٍ أو ذنب أو تقصيرٍ في فعل، أما «مُلِيم»: فهي اسم فاعل من ألامَ يُليم فهو مُلِيم، وهو مَنْ ارتكب خطأ ولامه عليه الناس.

ذلك أن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك قومه وأبَقَ إلىٰ الفلك المشحون فقال الله -جَلَّ شأنه- فيه: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [سورة الصافات:١٤٢]، قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ كما عند ابن جرير: «أي مذنب»، فلامه الناس علىٰ هذا الخطأ.

ونظير ذلك في فرعون الذي ارتكب أعظمَ ذنبٍ في جنب الله وهو الشرك، فقال الله -جَلَّ شأنه- فيه: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [سورة الذاريات:٥٤]، أي: مُذنبٌ في جنب الله علىٰ شركه.

وأما «ملوم»: فهو اسم مفعول من لامَ يلوم مَلوم، وهو الذي يلومُه الناس ولم يرتكب خطئًا، وذلك في شأن النبي ﷺ الذي بلَّغَ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة قال الله -جَلَّ شأنه- فيه:

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [سورة الذاريات:٥٤]، قال أهل التأويل: «**لست ملومًا إذا أدَّيت الرسالة**».

وصفوة هذه الوقفة:

- أن «**مُلِيم**» اسم فاعل وهو الذي ارتكب خطأً ولامه عليه الناس.
- وأما «**ملوم**»: فهو اسم مفعول؛ وهو الذي يلومه الناس ولم يرتكب خطئًا، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٦٩) (بآياتنا إلى فرعون وملئه) (إلى فرعون وملئه بآياتنا)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [سورة الأعراف:١٠٣].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [سورة يونس:٧٥].

- ففي آية الأعراف قدَّم الله -جَلَّ شأنه- لفظ «**الآيات**» علىٰ لفظ «**فرعون**».
- في حين أن الله قدَّم لفظ «**فرعون**» علىٰ لفظ «**الآيات**» في سورة يونس.

والقُرْآنُ الكريم يُقدِّم لفظ «**الآيات**» علىٰ لفظ «**فرعون**» في جميع قَصَصِ موسىٰ مع فرعون، وأما في سورة يونس فإننا نجد أن الله ﷻ قدَّم لفظ «**فرعون**» علىٰ لفظ «**الآيات**» وهذا هو الموطن الوحيد في القُرْآنِ الكريم، والقاعدة القُرْآنية اللغوية تقول:

«**إن الكلمة المُقَدَّمة في السياق القُرْآني لها الأهمية والعناية والتركيز بشكلٍ أكبر**».

ذلك أن الله ﷻ لما قدَّم لفظ «**الآيات**» علىٰ لفظ «**فرعون**» في قصة الأعراف كان الاهتمام والاحتفال والتركيز بشكلٍ أكبر علىٰ لفظ «**الآيات**»؛ كما قال الله ﷻ في الأعراف: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٠٥-١٠٨].

إذًا السياق يهتم بشكلٍ أكبر بلفظ «**الآيات**» كما رأينا، وسلَّط القُرْآنُ الكريم الضوءَ وركَّز علىٰ لفظ «**الآيات**» في قصة الأعراف بشكلٍ أكبر من تسليطه الضوء علىٰ لفظ «**فرعون**»، وهذا نجده أَيْضًا في قصة موسىٰ مع فرعون في سورة الزخرف، ونجده أَيْضًا في قصصٍ أخرىٰ.

أما في سورة يونس فإنَّ -الله تَعَالَىٰ- قَدَّم لفظ «**فرعون**» علىٰ لفظ «**الآيات**»، وإذا تأمَّلنا في قصة يونس وجدنا أن الاهتمام والتركيز والعناية بشكلٍ أكبر علىٰ لفظ «**فرعون**» في سياق قصة يونس، كما قال الله -جَلَّ شأنه-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة يونس:٧٩].

ثم يواصل بنا القُرْآن حيث يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة يونس:٨٣].

ثم يبين لنا القُرْآن الكريم دعاء موسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- علىٰ فرعون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة يونس:٨٨].

ثم أَيْضًا يبين لنا القُرْآن الكريم اللقطات الأخيرة لفرعون من حياته كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يونس:٩٠-٩٢].

إذًا نجد العناية والتركيز والاهتمام بشكلٍ أكبر بلفظ «**فرعون**» في سورة يونس.

وغاية هذه الوقفة: أنَّ القُرْآنَ الكريم يُقدِّم لفظ «**الآيات**» علىٰ لفظ «**فرعون**» في جميع القُرْآن، وأما في يونس فإنه قدَّم لفظ «**فرعون**» علىٰ لفظ «**الآيات**» وهذا من توجيه هذه الآيات المتناظرة المتشابهة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٠) الدلالة البيانية للفعل (ألفى) في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله –جَلَّ شأنه– في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [سورة البقرة:١٧٠].

- الفعل «أَلْفَىٰ» في العربية هو من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، وهذا الفعل يفيد في وقوعه اليقين، هذا من حيث النحو.

- أما من حيث البيان: فإن الفعل «أَلْفَىٰ» يأتي في القُرْآنِ الكريم في سياق الذم، وقد جاء في القُرْآنِ الكريم ثلاث مرات:

- كقوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، هذا سياق ذم بدلالة أن الله ﷻ عقَّب علىٰ قولهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، فذمَّهم وذمَّ أباءهم بعدم العقل وعدم الهداية، وهذا ذمٌّ لهم.

- ونظير ذلك قوله تعالىٰ في سورة يوسف: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [سورة يوسف:٢٥]، وهذا أَيْضًا سياق ذم، حيث ذمَّ الله ﷻ السيد بعد الغيرة علىٰ أهله، فجاء علىٰ لسان السيد قوله تعالىٰ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة يوسف:٢٩]، فلم تكن عنده الغيرة علىٰ أهله، وهذا جاء عند الرازي في «مفاتيح الغيب» وعند القرطبي في تفسيره.

ونظير ذلك كله قول الله ﷻ في سورة الصافات: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الصافات:٦٩]، فذمَّهم الله ﷻ هم وآباؤهم بالضَّلال، وهذا أَيْضًا سياق ذم.

ومن ذلك قول أبي ذُئيب الهذلي في رثائه لأبنائه:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع

وهذا أَيْضًا ذمٌ للتمائم، والله ﷻ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٧١) ﴿ إذا ﴾ و ﴿ إن ﴾ الشرطيتين في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان، نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [سورة الأعراف:١٣١].

هذه الآية جمعت بين أداتي الشرط: «إِذَا» و«إِنْ» ولكلٍ من هاتين الأداتين معنىً خاص بها وهذه الأدوات للشرط المستقبلي، فأما «إِذَا»: فهي اسم شرط، وهذا الاسم للشرط المقطوع بحصوله والمُتأكَّد وقوعه.

كما قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ [سورة الأعراف:١٣١]، و«**الحسنة**»: هي الأخبار السارَّة والأمور المُفرحة لهم، وهذا يقع كثيرًا لهم، فعبَّر القُرْآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ﴾ [سورة الأعراف:١٣١].

ومثل هذا يقول الله ﷻ في الصلاة: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾ [سورة البقرة:٢٣٩]، ولا ريب أن الآمنين في الصلاة هم السواد الأعظم، فلما كان كذلك عبَّر القُرْآنُ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ [سورة البقرة:٢٣٩].

ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [سورة المائدة:١٠٦]، ولا ريب أن الموت حتمي الوقوع ومقطوعٌ بحصوله فعبَّر القُرْآنُ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ [سورة المائدة:١٠٦].

وأما «**إِنْ الشرطية**»: فهي حرف شرط، وهذا الحرف للشرط النادر الوقوع أو المشكوك بحصوله كما قال الله ﷻ في آية الأعراف: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ [سورة الأعراف:١٣١]، وهذا نادر الوقوع، فعبَّر القُرْآنُ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ [سورة الأعراف:١٣١].

ومثل هذا في الحج يقول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، ولا ريب أن الحجاج المُحصرين هم نزرٌ يسير وعددٌ قليل فعبَّر القُرْآنُ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [سورة البقرة:١٩٦].

ويقول المتنبي في مدحه لسيف الدولة:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردَّ

وقد تحدث النحاة عن ذلك في كتبهم منهم ابن هشام في «**مغني اللبيب**»، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٢) (داخرين) في دلالة القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي هدانا للإسلام، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠]، فجاءت فاصلة الآية بقوله تعالىٰ: ﴿دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠].

«الدَاخِر» عند أهل العربية: هو الذليل الصاغر المُهان، كما جاء ذلك عند الراغب الأصفهاني في مفرداته علىٰ القُرْآن وعند غيره، فما مناسبة هذه الفاصلة لسياق هذه الآية؟!

الله ﷻ أمر عباده بدعائه ووعد بالاستجابة كما قال الله -جَلَّ ثناؤه-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠].

فبين الله ﷻ أن هنالك طائفةً من الناس قد استكبروا عن دعائه وعن عبادته، وهؤلاء سوف يدخلون جهنم؛ لا كأي دخول إنما حالهم وهم يدخلون جهنم؛ داخرين، كما قال الله ﷻ أي: ذليلين راغمين صاغرين، كما جاء ذلك عند ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسيره.

فقد دخلوا جهنم ذليلين صاغرين مُهانين جرَّاء ما استكبروا عن عبادة الله ﷻ وعن دعاء الله ﷻ، وهذا تناظرٌ في اللغة، والداخر قد يكون بذل معصية وقد يكون بذل طاعة كما جاء ذلك في سورة النحل كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝٤٨﴾ [سورة النحل:٤٨].، وهذا ذل طاعةٍ وتعبدٍ لله ﷻ.

و«داخرين» جاءت في القُرْآنِ الكريم أربع مرات كما قال الله ﷻ في سورة الصافات: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝١٨﴾ [سورة الصافات:١٨]، وقال تعالىٰ في سورة النمل: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾

[سورة النمل:٨٧]، و«الدَّاخِر» قد يكون بذل طاعة، وقد يكون بذل معصية، والله ﷻ أعلم بمُراده،

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

(١٧٣) الفرق بين قوله تعالى ﴿ فلا تسألنِ ﴾ و ﴿فلا تسألني ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدا يليق بجلاله وعظمته، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

في سورة الكهف بقول المولىٰ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ [سورة الكهف:٧٠].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة هود: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [سورة هود:٤٦].

- فجاء اللفظ في الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ [سورة الكهف:٧٠] بإثبات الياء.

وجاء اللفظ في الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ [سورة هود:٤٦] بحذف الياء.

و«**الياء**» هنا هي ياء المتكلم، وإثبات الياء وحذفها لا علاقة له بالإعراب النحوي؛ إنما الإثبات والحذف جاء لمسألةٍ بيانية ولجهةٍ بلاغية يقتضيها السياق القُرْآني، فإن السؤال وقع في سورة الكهف ثلاث مرات من موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أما السؤال في سورة هود فإنه وقع مرةً واحدة من نوحٍ لربه لما طلب بأن يُنَجِّي ابنه، ولا ريب أن زيادة المعنىٰ في سورة الكهف جاء أكثر منه في سورة هود، لذا أُثبتت الياء في سورة الكهف وحُذفت منه في سورة هود، «**والزيادة في المبني تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ**» وهذه مسألةٌ من مسائل الرسم القُرْآني، وهذا توجيهٌ من توجيهات هذه المسألة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

١٧٤) متى يذكر لفظ الكتاب أوالقرآن بعد الأحرف المقطعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في صدر سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢].

في حين قال الله ﷻ في سورة ص: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [سورة ص:١].

افتتح الله ﷻ بعض سور القُرْآنِ الكريم بالأحرف المقطعة، وتحدث عنها المفسرون من جوانب عدة، جاء لفظ «**الكتاب**» ولفظ «**القُرْآن**» بعد هذه الحروف المقطعة، **والسؤالُ: متىٰ يأتي لفظ «الكتاب» و «القُرْآن» بعد هذه الأحرف المقطعة؟!**

قسَّم العلماء الأحرف المقطعة إلىٰ قسمين فقالوا:

- إما أن يتكون المقطع من ثلاثة أحرف فأكثر فعندها يأتي بعده بلفظ «**الكتاب**».
- وإما أن يتكون المقطع من حرفٍ أو حرفين فعندها يأتي بلفظ «**القُرْآن**».

ومثال ذلك قوله تعالىٰ في صدر سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢]؛ فجاء بلفظ «**الكتاب**» بعد أن كان المقطع ثلاثة أحرف.

ونظير ذلك قوله تعالىٰ في الأعراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [سورة الأعراف:١-٢]، فالمقطع تكون من أربعة أحرف جاء بعده بلفظ «**الكتاب**».

وقوله تعالىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [سورة ص:١]، المقطع تكون من حرف جاء بعده بلفظ «**القُرْآن**».

وقوله تعالىٰ أيضًا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [سورة طه:١-٢]، المقطع تكون من حرفين جاء بعده بلفظ «**القُرْآن**».

والعلة في ذلك: أن لفظ «**الكتاب**» أعم معنىٰ من لفظ «**القُرْآن**» إذ أنَّ «**الكتاب**» يطلق علىٰ التوراة وعلىٰ الإنجيل وعلىٰ القُرْآن، أما القُرْآن فلا يطلق إلا علىٰ الذي أنزل علىٰ النبي ﷺ.

إذًا لفظ «**الكتاب**» أعم معنىٰ من لفظ «**القُرْآن**» فجاء بالأعم معنىٰ مع الأكثر حروفًا، والأخص معنىٰ مع الأقل حروفًا، واستثنىٰ العلماء من هذه القاعدة سور الحواميم، حيث يقول الله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [سورة غافر:١-٢].

فقالوا: إنه جاء بعد هذا المقطع المتكون من حرفين بلفظ «**الكتاب**» لأن الميم بمنزلة حرفين عند قراءتها بالمد، فتكوَّن المقطع من ثلاثة أحرف بمدِّ الميم والله ﷻ أعلم بمراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٥) السر في تقديم الأرض على السماء والسماء على الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا يبلغ منتهاه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [سورة آل عمران:٥-٦].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول فيها أَيْضًا: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [سورة آل عمران:١٩٠].

- ففي الآية الأولىٰ قَدَّم الله ﷻ لفظ «**الأرض**» علىٰ لفظ «**السماء**».
- وفي الآية الثانية قَدَّم لفظ «**السماوات**» علىٰ لفظ «**الأرض**».

والكلمة المُقدَّمة في القُرْآنِ الكريم لها الاهتمام ولها العناية ولها التركيز، وهذه إحدىٰ قواعد التأمل والتدبر في كتاب الله ﷻ.

جاء تقديم الأرض علىٰ السماء في القُرْآنِ الكريم خمس مرات، وأما تقديم السماوات علىٰ الأرض فإنه كثيرٌ جدًا في كتاب الله ﷻ.

- فحيثما قدَّم الله ﷻ لفظ «**الأرض**» علىٰ لفظ «**السماء**» فإن الاهتمام والعناية لأهل الأرض والخطاب موجَّهٌ لأهل الأرض، كما قال الله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [سورة آل عمران:٥-٦]، فالخطاب لأهل الأرض فقدَّم الله ﷻ لفظ «**الأرض**».

أَيْضًا يقول الله ﷻ في يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة يونس:٦١]، فقدم لفظ الأرض لأن الخطاب موجهٌ لأهل الأرض.

أيْضًا يقول الله ﷻ في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [سورة إبراهيم:٣٨]، فقدَّم لفظ «**الأرض**» في الآية لأن الخطاب والحديث عن ساكنيها وهم أهل الأرض.

أيْضًا يقول الله ﷻ في طه: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾ [سورة طه:٤].

أيْضًا يقول الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [سورة العنكبوت:٢٢].

- وأما تقديم السماوات علىٰ الأرض فإنه كثيرٌ جدًا في القُرْآنِ الكريم، وجاء في أغراضٍ كثيرة:

- منها إذا كان الحديث عن خَلْقِهما: فإنَّ الله ﷻ يُقدِّم لفظ «**السماوات**» علىٰ «**الأرض**»، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [سورة البقرة:١٦٤].

- أيْضًا إذا كان الحديث عن مُلْكِهما: كما قال الله ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [سورة المائدة:١٢٠].

- أيْضًا إذا كان الحديث عن الساعة: فإن الله ﷻ يُقدِّم «**السماوات**» علىٰ «**الأرض**» لأنَّ الساعة منشؤها ومبدؤها من السماوات كما قال الله ﷻ في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة سبأ:٣].

وقدَّم الله ﷻ «**السماوات**» في أغراضٍ أُخَر في القُرْآنِ الكريم، وهذا توجيهٌ لهذا التقديم والتأخير في كتاب الله ﷻ، أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما سمعنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٦) (نزّل) و (أنزل) في دلالة القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد أهل البيان، نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [سورة آل عمران:٣]، جمعت هذه الآية الكريمة بين الفعلين «نَزَّلَ» و«أَنْزَلَ» وبينهما تفاوتٌ كبيرٌ في الدلالة البيانية في تعبير القُرْآنِ الكريم.

أما الفعل «أَنْزَلَ» بهمزة التعدية فإنه يأتي في سياق القُرْآنِ الكريم إذا كان المُنَزَّل جاء علىٰ دفعةٍ واحدة وعلىٰ مرحلةٍ واحدة، كما قال الله جل ثناءه في التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [سورة آل عمران:٣]، ومعلومٌ أن التوراة والإنجيل نزلتا دفعةً واحدة علىٰ موسىٰ وعيسىٰ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-.

كما قال الله: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [سورة آل عمران:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [سورة الأنعام:٩١].

لذا لا نجد في سياق التوراة والإنجيل في القُرْآنِ الكريم إلا الفعل «أَنْزَلَ»، إلا في آيةٍ واحده في شأن التوراة سآتي عليها لاحقًا؛ والقُرْآنُ الكريم أَيْضًا نزل دفعةً واحدة من السماء السابعة إلىٰ السماء الدنيا؛ وبهذا يخبرنا القُرْآن أنه أُنزل دفعةً واحدة، كما قال الله -جَلَّ ثناؤه- في ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [سورة القدر:١]، وكما قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ﴾ [سورة الأعراف:٢].

أما الفعل «نَزَّلَ» بالتضعيف فإنه يأتي في سياق القُرْآن الكريم في ثلاثِ مواطن وفي ثلاثِ سياقات:

❍ **الأول**: أن يكون المُنَزَّل جاء علىٰ مراحل وعلىٰ دُفُعات فإنه يقتضي التعبير بالفعل «نَزَّلَ» بالتضعيف، كما قال الله ﷻ في شأن القُرْآن الكريم: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة آل عمران:٣].

ومعلومٌ أن القُرْآن الكريم نَزَلَ منجَّمًا حسب الحوادث من السماء الدنيا إلىٰ الأرض، لذا اقتضىٰ التعبير بقوله تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ﴾ [سورة آل عمران:٣]؛ في شأن القُرْآن الكريم.

❍ **والثاني**: إذا كان السياق سياق تحدٍّ ومواجهة فإنَّ التعبير يقتضي بالفعل «نَزَّلَ»، كما قال الله -جلَّ ثناؤه وجَلَّ شأنه- في شأن التوراة بعد أن زعمت اليهود زعمًا باطلًا فتحدَّاهم القُرْآنُ الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [سورة آل عمران:٩٣]، وهذا سياق تحدِّي بدلالة قول الله ﷻ بعدها: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٣﴾ [سورة آل عمران:٩٣]، وهذه هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم التي جاء مع التوراة لفظ «نَزَّلَ».

ونظير ذلك في التحدِّي يقول الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [سورة البقرة:٢٣]، وهذا سياق تحدِّي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٣]، ولا ريب أن هذا السياق سياق تحدٍّ فقال: ﴿نَزَّلْنَا﴾.

ونظير ذلك يقول الله -جل ثناؤه- في سورة الشعراء: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١﴾ [سورة الشعراء:٢١٠-٢١١]، وهذا لا ريب أنه سياق تحدِّي.

❍ **والثالث**: يأتي هذا الفعل «نَزَّلَ» بالتضعيف إذا كان السياق سياق توكيد، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، وهذا سياق توكيد.

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإنسان:٢٣]، وهذا سياق توكيد بدَلالة فاصلة الآية وهو المفعول المطلق المؤكِّد للفعل.

وأَيْضًا نظير ذلك يقول الله ﷻ في شأن هودٍ عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة الأعراف:٧١]، وهذا سياق توكيد.

فشتانَّ في تعبير القُرْآنِ الكريم بين الفعل «أَنْزَلَ» بهمزة التعدية وبين الفعل «نَزَّلَ» بالتضعيف؛ وهذا من بديع تعبير القُرْآنِ الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٧) ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة:٢٣١]
﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق:٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله –جَلَّ ثناؤه– في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة:٢٣١].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق:٢].

- فجاء اللفظ في الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة:٢٣١].
- وجاء اللفظ في الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق:٢].

وكلتا الآيتين تتحدثان عن الطلاق بصورةٍ عامة غيرَ أن اللفظ اختلف فيهما بحسب اختلاف السياق، بدايةً؛ «**التسريح**»: «**هو إعطاء المرأة حقوقها وإعطاؤها حريتها كاملة**»، وأما المفارقة والفراق فلا يكون إلا بالأبدان.

والسياق في سورة البقرة يتحدَّث عن عضل النساء وعن المُضارَّة بالنساء، فنهىٰ الله –جل ثناؤه– عن عضل النساء بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [سورة البقرة:٢٣٢]، و«**العضل**»: «**هو منع المرأة من حقوقها المشروعة**»، فلما نهىٰ الله –جَلَّ ثناؤه– عن العضل أمر ﷻ بالتسريح، وعلىٰ هذا يكون التسريح هو نقيض العضل، فانسجمَ اللفظ بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ [سورة البقرة:٢٣١] مع سياق سورة البقرة.

أما في سياق سورة الطلاق فإنَّ السياق يتحدث عن الطلاق نفسه، كما قال الله ﷻ في صدر السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق:١]، والطلاق لا يكون

إلا بالفِراق، فجاء اللفظ علىٰ صورته الطبيعية لما أمر الله ﷻ بالطلاق في إتمام العِدة هذا ناحية.

ناحية أخرىٰ: أن الله ﷻ يقول في السورة: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق:١]، والإخراج حتمًا لا يكون إلا بالمُفارقة؛ فقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:٢]، انسجم مع سورة الطلاق، فكل لفظٍ انسجم مع سياقه، وهذا من جلال التعبير القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٨) اختلاف التعبير في عطف الصفات في القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا يليق بجلاله وعظمته، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد:٣].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [سورة الحشر:٢٣].

هذه الآيات من أعظم آيات القُرْآنِ الكريم إذ هي تصف الله ﷻ، فجاءت الصفات في الآية الأولىٰ معطوفةً بالواو، علىٰ حين أن الصفات في الآية الثانية جاءت دون عطفٍ بالواو، فما السر البياني في مجيء الصفات معطوفةً بالواوِ في القُرْآنِ الكريم تارة ومجيئُها دون عطفٍ بالواو تارةً أخرىٰ؟!

يقول علماء العربية: «إنَّ الصفات إذا كانت متباعدة متباينة غير متّحدةٍ في المعنىٰ فالأولىٰ أن تكون معطوفةً بالواو»، كما قال الله ﷻ في سورة الحديد يصف نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد:٣]، فلما كانت هذه الصفات مُتباعدة كُلَّ البعد ولا يمكن أن تجتمع إلا في ذات الله ﷻ جاءت معطوفةً بالواو.

ونظير هذا يقول الله ﷻ في سورة التحريم: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [سورة التحريم:٥]، وهذه الصفات لا يمكن أن تجتمع في ذاتٍ واحدة فجاءت معطوفةً بالواو.

وأما إن كانت الصفات مُتّحدة في المعنىٰ متقاربة فالأولىٰ ترك العطف بالواو، كما قال الله ﷻ يُثني علىٰ نفسه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، فهذه الصفات متقاربة ومُتَّحدة في المعنىٰ فجاءت دون عطفٍ بالواو في سياق القُرْآنِ الكريم.

ونظير ذلك في شأن المنافقين: يقول الله -جَلَّ شأنه-: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨]، فهذه الصفات كلها مجتمعة في المنافقين فتَرَك العطف بالواو فيما بين هذه الصفات.

ونظير ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ [سورة القلم:١٠-١٣]؛ فلما كانت الصفات متقاربة تَرَكَ العطف بالواو فيما بينها.

وصفوة هذه الوقفة: أن الصفات إذا كانت متباينة متباعدة تأتي معطوفةً بالواو في سياق القُرْآنِ الكريم؛ وإذا كانت هذه الصفات متقاربة مُتَّحدة في المعنىٰ فإن ترك العطف بالواو هو الأولىٰ، وهذا له شواهدُ في كتاب الله ﷻ، وهذا أَيْضًا من بديع التعبير القُرْآني ومن جلال تعبير كتاب الله ﷻ، والله ﷻ بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٧٩) السر البياني للفاصلة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [سورة الأنعام:٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنزل القُرْآن، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [سورة الأنعام:٧]، فجاءت فاصلة الآية بقوله تعالىٰ: ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [سورة الأنعام:٧]، هذه الفاصلة ترددت في القُرْآنِ الكريم تسع مرات، والفاصلة القُرْآنية تأتي تبعًا للآية وهي مُكمِّلةٌ للآية، فما مناسبة هذه الفاصلة للآيات التي وردت فيها؟!

بدايةً؛ «**السحر**»: **هو الصرف:**

- وهو صرف الحقائق إلىٰ غير واقعها.
- وقلب الأمور إلىٰ غير حقائقها.

وإذا تأمَّلنا في كتاب الله ﷻ وتدبرنا وجدنا أن هذه الفاصلة تأتي في سياق اتِّهام الكفار لآيات الله ﷻ ولحُجَجه ولبراهينه وللحق الذي أيَّد الله ﷻ به رسله اتَّهموا كُلَّ ذلك بالسحر المبين.

كما قال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الأنعام:٧]، فمع أنهم لمسوه بأيديهم وهذه حقيقة لا مِرية فيها إلا أنهم اتهموا ذلك بالسحر: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [سورة الأنعام:٧].

ونظير ذلك قوله تعالىٰ في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ [سورة النمل:١٣]، فلما رأوا آيات الله التي أيَّد الله ﷻ بها عباده، لما رأوا هذه الآيات اتهموها بقولهم: ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ [سورة النمل:١٣].

ونظير ذلك أَيْضًا قولة تعالىٰ في سورة سبأ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة سبأ:٤٣]، فاتَّهموا الحق الذي أيَّد الله ﷻ به رسوله اتَّهموه بالسحر المبين، والسحر نقيض الحق.

ومثل ذلك يقول الله ﷻ في سورة الأحقاف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة الأحقاف:٧]، فاتَّهموا الحقَّ بالسحر المبين.

وغاية هذه الوقفة: أن هذه الفاصلة تأتي في سياق اتهام الكفار لآيات الله ﷻ ولحججه وبراهينه، ويرمون كل ذلك ويتهمونه بالسحر المبين إنكارًا منهم وكفرًا بالله وبآياته وبرسله، وهذا توجيهٌ لهذه الفاصلة، والله سبحانه وتعالى أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٠) السر البياني للفاصلة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [سورة الأنعام:٢٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة الأنعام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [سورة الأنعام:٢٥]، فجاءت فاصلة الآية بقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [سورة الأنعام:٢٥].

هذه الآية وهذه الفاصلة القُرْآنية ترددت في القُرْآنِ الكريم تسع مرات، والفاصلة القُرْآنية هي جزءٌ لا يتجزأ من الآية ولها ارتباطٌ وثيقٌ بمعنىٰ الآية، فما مناسبة هذه الفاصلة لِما ورد من آيات الله ﷻ في القُرْآنِ الكريم؟!

بدايةً؛ «**الأساطير**»: هي الأخبار الكاذبة التي ليس لها رصيدٌ من الواقع، ومُفرده «**أسطورة**» كما جاء ذلك عند أهل التأويل، وإذا تدبَّرنا كتاب الله ﷻ وتأملناه وجدنا أن هذه الفاصلة جاءت في سياق الآيات التي اتَّهم بها الكفار القُرْآن الكريم وما جاء فيه من أخبار: بأنه أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ؛ فوصف الكفارُ القُرْآنَ الكريم وما جاء فيه من أنباءٍ وأخبار: بأنه أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، كما قال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾ [سورة الأنعام:٢٥].

فالمراد بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ [سورة الأنعام:٢٥]، والمُشار إليه: هو القُرْآنُ الكريم، كما جاء ذلك في صدر هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [سورة الأنعام:٢٥]، أي: القُرْآن الكريم.

ونظير ذلك ما جاء في سورة الأنفال إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأنفال:٣١]، وهم يَعْنُون بذلك القُرْآن الكريم.

وأَيْضًا يقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النحل:٢٤]، فوصفوا الآيات التي أُنزلت والأخبار التي جاءت بأنها أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين جحودًا منهم واستكبارًا.

ونظير ذلك يقول الله ﷻ في سورة الفرقان: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [سورة الفرقان:٥].

وغاية هذه الوقفة: أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الفرقان:٥] جاءت في القُرْآنِ الكريم تسع مرات، كل ذلك يصف الكفارُ القُرْآنَ الكريم بهذه الوصف بأنه: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين جحودًا منهم واستكبارًا وعنادًا وكفرًا بآيات الله ﷻ، وهذا توجيهٌ لهذه الفاصلة القُرْآنية، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨١) الدلالة البيانية للفظ «الشيطان» في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي هدانا للإسلام، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة البقرة:٣٦]، جاء التعبير في هذه الآية بلفظ «**الشيطان**» علىٰ حين أننا نجد في آياتٍ آخر يأتي التعبير بلفظ «**إبليس**»، واللفظان لمسمىٰ واحد غيرَ أنَّ هذين الاسمين يخضعان لما يقتضيه السياق القُرْآني والدلالة البيانية، فما الدلالة البيانية للفظ «**الشيطان**» في القُرْآنِ الكريم؟!

هذه اللفظة ترددت كثيرًا في كتاب الله ﷻ وعرَّف العلماء هذه اللفظة كما جاء عند أهل التأويل وعند أهل العربية أن لفظ «**الشيطان**»: من شَطَنَ إذا ابتعد كل البعد عن طاعة الله وعن شرع الله وأوامر الله، أو صَرَفَ بني آدم عن التقرب لعبادة الله ﷻ وعن طاعته.

لذا نجد في سياقات القُرْآنِ الكريم هذه الدلالة البيانية جليةً واضحة، كما قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة البقرة:٣٦]، فالشيطان أخرج آدم وزوجَه من الجنة وأبعدهما عن النعيم المقيم وعن طاعة الله ووسوس لهما وزين لهما فعصىٰ آدم ربه، فأَخْرَجَ آدم وزوجه من الجنة، فجاء اللفظ منسجمًا مع معنىٰ هذه الآية كما هو جليٌ واضح.

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [سورة النور:٢١]، واتباع خطوات الشيطان كفيلةٌ بأن يبتعد الإنسان كل البعد عن طاعة الله وعن شرع الله، لذا قال الله ﷻ: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [سورة النور:٢١] فجاء اللفظ أَيْضًا منسجمًا مع هذه الآية ومع معنىٰ هذه الآية.

ونظير هذا يقول الله ﷻ في سورة الزخرف: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٣٦-٣٧].

ومن يُعْرِض عن نور الله وعن شرع الله وذكر الله فإن الله ﷻ يسلط عليه شيطانًا يبعده عن طاعة الله ويُقْصيه عن شرع الله، وهذا المعنىٰ جليٌ واضح بدلالة قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٣٧]، فجاء هذا اللفظ أَيْضًا منسجمًا مع معنىٰ الآية.

وصفوت هذا الكلام: أن لفظ «**الشيطان**» تردد كثيرًا في كتاب الله ﷻ، جاء في سياقات القُرْآن في إغواء بني آدم وإضلال بني آدم، وإبعاد بني آدم عن طاعة الله والتقرب لله وإقصاءِه عن أوامر الله؛ وهذا توجيه لهذا اللفظ، والدلالة البيانية لهذا اللفظ في سياق القُرْآنِ الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٢) دلالة التعبير بالفعل والاسم في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤]، هكذا حال المنافقين في كل زمانٍ ومكان مع اختلاف عباراتهم، فالقُرْآنُ الكريم يُصوِّر لنا ويُجسِّد لنا حالهم في صورتين:

- الصورة الأولىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [سورة البقرة:١٤].
- والصورة الأخرىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤].

وشتَّان بين هاتين الصورتين:

- فعبر القُرْآنُ الكريم بالصورة الأولىٰ بالصيغة الفعلية: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ [سورة البقرة:١٤].
- وعبَّر بالصورة الثانية بالصيغة الاسمية: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤].

والقاعدة اللغوية تقول: «**إنَّ الفعل يدل علىٰ التجدُّد والحدوث، وإن الاسم يدل علىٰ الثبوت والدوام والقرار**»، ذلك أن المنافقين لما يلقوا المُؤْمِنِيْن يصوروا حالهم بالصورة الفعلية ويُظْهِروا نفاقهم ويظهروا إيمانهم للمؤمنين مع نفاقهم في باطنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [سورة البقرة:١٤]، وهم لم يَثْبُتوا علىٰ هذا الإيمان.

ويقول الله ﷻ في ذلك: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [سورة البقرة:١٤]، واللُقيا واللقاء يكون لوقتٍ وجيزٍ عابر، فالمنافقون يُظْهِروا إيمانهم في هذا الوقت الوجيز للمُؤْمِنِيْن بأنهم آمنوا ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٤]، وهذه هي الصورة الثانية.

وقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ [سورة البقرة:١٤]، «**الخلوة**» يظهر فيها الإنسان علىٰ وجهه الحقيقي، وتظهر عليه الشفافية في أموره كلها، والمنافقون يُظْهِرون حالهم ووجههم الحقيقي لشياطينهم من المنافقين ومن الكفار.

﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٤]، فأثبتوا أنهم لم يتغيروا؛ بل هم ثابتون علىٰ مبدئهم وعلىٰ منهجهم وعلىٰ دينهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [سورة البقرة:١٤]، فجاءت توكيداتٌ في الآية وهي: «**إِنَّا**»، «**مَعَكُمْ**»، وأَيْضًا «**إِنَّمَا**» للحصر، «**نَحْنُ**» وهو ضمير فصل: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [سورة البقرة:١٤]، كل ذلك توكيداتٌ لشياطينهم بأنهم ثابتون علىٰ مبدأهم وعلىٰ نفاقهم وعلىٰ كفرهم.

وصفوة هذا الكلام: أن المنافقين إذا لقوا الذين آمنوا صوَّروا حالهم بالصورة المتجددة المتغيرة، وهذا هو حال المنافقين، وإذا لقوا شياطينهم وإذا خلوا بشياطينهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٤]، فأظهروا أنهم ثابتون علىٰ مبدئهم وعلىٰ دينهم وعلىٰ منهجهم، والقُرْآنُ الكريم بهذه الآية يبين لنا حجم خطورة المنافقين في المجتمعات وفي كل زمان ومكان، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٣) (الظلم) في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [سورة البقرة:٣٥]، فجاءت فاصلة الآية بلفظ «الظَّالِمِين» الظلم عرَّفه أهل العربية وأهل التأويل بأنه: «التعدي علىٰ حقوق الآخرين ووضع الشيء في غير موضعه».

وقد تردد «الظلم» في القُرْآنِ الكريم أكثر من مائتي مرة، كل هذه الألفاظ تدور علىٰ هذا المعنىٰ اللطيف البديع الذي ذكره العلماء، ولا نجد لفظًا واحدًا ينفك عن هذا التعريف، كما قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [سورة البقرة:٣٥]، وهذا تعدِّي، فجاء الظلم تعريفًا له في الآية.

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [سورة البقرة:٢٢٩]، وهذا أَيْضًا تعدِّي فجاء الظلم تعريفًا له.

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [سورة المائدة:٢٩]، والآية تحمل معنىٰ التعدِّي، فجاء الظلم تعريفًا له.

وأَيْضًا يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٧﴾ [سورة المائدة:١٠٧]، وهذا ظاهرٌ في الآية.

وأَيْضًا يقول الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [سورة يوسف:٢٣]، وهذا أَيْضًا تعدِّي، والآية تتحدث عن حقوق الآخرين والتعدي عليهم فجاء الظلم تعريفًا له في الآية.

وأعظم درجات الظلم في القُرْآنِ الكريم هو الشرك، والشرك أن تجعل نِداً لله ﷻ وهو خالقك، والتعدي علىٰ حقوق الله ﷻ والتعدي علىٰ وحدانيته وإفراده بالعبادة، والتعدي علىٰ أسمائه وصفاته، كل ذلك من الظلم، وأعلىٰ درجات الظلم هو الشرك كما قَال لقمان – عليه السلام – لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣].

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، وجاء تفسير الظلم في الآية بأنه الشرك.

وأيْضًا يقول الله ﷻ ناهيًا نبيه: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [سورة يونس:١٠٦]، وهذا شرك، فخُتمت الآية بلفظ «الظَّالِمِين» لأنها تتحدث عن الإشراك بالله ﷻ.

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [سورة آل عمران:١٥١]، وذلك جزاء المشركين.

ويقول الله ﷻ أيْضًا: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [سورة الأنبياء:٢٩].

وغاية هذه الوقفة، وصفوة هذه الوقفة: أن «**الظلم**»: «**هو التعدي علىٰ حدود وحقوق الآخرين ووضع الشيء في غير موضعه**»، وقد تردد «**الظلم**» كثيرًا في كتاب الله ﷻ، كل هذه الألفاظ التي جاءت في القُرْآنِ الكريم لا تخرج عن هذا المعنىٰ.

ومن نافلة القول في هذه الوقفة أن أقول: أنَّ «**الظلم**»: «**هو صفةٌ فطرية للإنسان**»، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، وهذا توجيهٌ ودلالةٌ بيانية للفظ «**الظلم**» في القُرْآنِ الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٤) ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [سورة القصص:٢٠]
﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [سورة يس:٢٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة القصص:٢٠]، هذه الآية في القَصص الآية العشرون.

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في آية يس: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠]، وهذه الآية أَيْضًا الآية العشرون.

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، فقدَّم القُرْآنُ الكريم في الآية الأولىٰ كلمة «رَجُل»، وقُدِّمت كلمة «مِنْ أَقْصَىٰ» في الآية الثانية، والكلمة المُقدَّمة في القُرْآن لها العناية ولها الاهتمام.

بدايةً جاء عند أهل التأويل: أن الرجل في سورة القصص هو مؤمن آل فرعون، فقَدَّم الله ﷻ كلمة «رَجُل» في سورة القصص لأسبابٍ منها:

- أولًا: النظم جاء في سورة القصص علىٰ طبيعته وعلىٰ سجيته، إذ أنَّ الفاعل وليَ الفعل وجاء بعد الفعل، وهذا هو طبيعة النظم العربي الفصيح، وهذا هو الأصل، والأصل إذا وقع لا يُسئل عنه فلا يُسئل لِمَاذَا قَدَّم كلمة «رَجُل»؟ نقول: أنها جاءت علىٰ الأصل في النظم العربي الفصيح.

- ومع ذلك نقول: أن كلمة «رَجُل» جاءت مُقدَّمة في قصة القصص لأن الكلمة سبق ذكرها في أول القصة، حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ [سورة القصص:١٥]، فلما سبق ذكر الكلمة في أول القصة ناسب تقديمَ كلمة «رَجُل» في آية القصص وهذا ما يسمىٰ عند أهل البيان بـ«السِمة التعبيرية».

❍ ومن ناحية أخرىٰ أَيْضًا: استلزم تقديم كلمة «رَجُل» في قصة القصص لأجل المعنىٰ وهو الأهم من هذا كله، فالله ﷻ يريد أن يبين لنا أنه علىٰ سوءِ حال قوم فرعون فيهم رجالٌ صالحون بصفة الرجولة الحقَّة وهي الإخلاص والأمانة والنصح والمروءة، لذلك جاء الرجل ناصحًا لموسىٰ يقول: ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القصص:٢٠]، فاستلزم في ذلك تقديم كلمة «رَجُل» في آية القصص.

أما في قصة يس: فَإنْ الله ﷻ أرسل إلىٰ القرية ثلاثةَ رسل حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة يس:١٣]، وثلاثة رسل يأتون لقرية! الخبر ينتشر فيها أو لا ينتشر؟!

قطَعًا سوف ينتشر، لذلك استلزم في قصة يس تقديم من أقصىٰ، لإحراز وتحقيق أن خبر الرسل انتشر وبلغ هذا الخبر أقصىٰ المدينة بدلالة قول الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠].

هذا الرجل عند أهل التأويل هو «حبيب يس» كان يعبد الله في صومعة فجاء وترك صومعته إلىٰ الرسل ناصحًا لهم، وهذا فيه إلماح وإشارة إلىٰ أن حتىٰ أصحاب الصوامع الذين أغلقوا علىٰ أنفسهم يتعبدون الله سمعوا بخبر أولئك الرسل فجاءوا ناصحين.

وعلاوةً علىٰ هذا: قدَّم الله ﷻ «مِنْ أَقْصَىٰ» في سورة يس لانتشار هذا الخبر بدلالة قول الله ﷻ في الآية: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة يس:٢٠]، ولم يقل الله ﷻ: وجاء من أقصىٰ القرية، مع أنها قرية وسمَّاها «قرية» في أول القصة حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [سورة يس:١٣].

لكن لدلالة انتشار الخبر قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠]، والمدينة عند أهل العربية وأهل المعاجم تدل علىٰ الانتشار والاتساع، فإلماحًا إلىٰ أن الخبر

انتشر عبَّر بلفظ «**المدينة**» في نهاية السياق فاستلزم تقديم «**مِنْ أَقْصَى**» في قصة يس لتحقيق أن الخبر قد انتشر لأولئك الرسل في هذه المدينة.

واستلزم أَيْضًا تقديم كلمة «**رَجُل**» في القصص لتحقيق أن هذا الرجل يحمل الصفات الحقَّة من الرجولة وهي الإخلاص والأمانة والنصح، وأنه ليس كل قوم فرعون علىٰ درجةٍ واحدة، ففيهم رجالٌ صالحون بصفات الرجولة الحقة، وهذا توجيهٌ لهذا التقديم والتأخير في كتاب الله ﷻ، وهذا أَيْضًا من عظمة التعبير في القُرْآنِ الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٥) الدلالة البيانية لضمائر الفصل في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذه وقفةٌ موجزة ونبذةٌ مختصرة عن ضمائر الفصل في القُرْآنِ الكريم.

«**ضمير الفصل**»: هو الضمير الذي يتوسط بين أركان الجملة، فيقع بين المبتدأ والخبر، ويقع بين اسم كان وخبرها، وبين اسم إن وخبرها.

- والبصريون يطلقون عليه «**ضمير فصل**» لأنه يفصل بين أركان الجملة.
- وأما الكوفيون فيطلقون عليه «**ضمير العِماد**» لأنه يُعتمد عليه في تحقيق معنىً يقتضيه السياق القُرْآني.

- ويرىٰ جمهور النُحاة أن ضمائر الفصل في القُرْآن الكريم ليس لها محل من الإعراب، فعند إعرابها يطلقون عليها «**صلة**» تأدبًا مع القُرْآن الكريم.
- وأما أهل البيان فيرون أن ضمائر الفصل في القُرْآنِ الكريم جاءت للتوكيد علىٰ معنىً خاص يقتضيه السياق القُرْآني، فكل ما يطلق عليه النُحاة أنه ضمير فصل هو عند أهل البيان للتوكيد علىٰ معنىً يقتضيه السياق القُرْآني.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [سورة الزخرف:٦٤]، فـ«**هو**»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٤]، فـ«**هي**»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٤]، فـ«**هم**»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ [سورة الكهف:٣٩]، فـ«**أنا**»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ [سورة المائدة:١١٧]، فـ«أنْتَ»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ١١٥﴾ [سورة الأعراف:١١٥]، فـ«نَحْنُ»: ضمير فصلٍ جاء للتوكيد.

وصفوة هذه الوقفة: أن كل ما يقول عنه النُحاة أنه ضمير فصل هو عند أهل البيان جاء لتحقيق معنىٰ خاص ولتوكيد معنىً خاص يقتضيه السياق القُرْآني، وهذه هي الدلالة البيانية لضمائر الفصل في القُرْآنِ الكريم، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٦) ﴿مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨﴾ [سورة غافر:٢٨]
﴿مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤﴾ [سورة غافر:٣٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨﴾ [سورة غافر:٢٨].

ويقول فيها أَيْضًا: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤﴾ [سورة غافر:٣٤].

وهاتان الآيتان جاءت في قصة موسىٰ مع فرعون، والمُسْرِف هو فرعون كما قال الله ﷻ في سورة يونس: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٨٣﴾ [سورة يونس:٨٣].

وقال تعالىٰ أَيْضًا في الدخان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾ [سورة الدخان:٣١]، والقُرْآنُ يُفَسِّر بعضه بعضا وجاء ذلك تفسيره عند الرازي في «**مفاتيح الغيب**» وعند غيره.

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بلفظ: ﴿مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨﴾ [سورة غافر:٢٨].
- وجاءت الثانية بلفظ: ﴿مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤﴾ [سورة غافر:٣٤].

وكل فاصلة انسجمت مع سياق آيتها، ذلك أن الآية الأولىٰ تحدَّثت عن الكذب وجاء الكذب في سياقها، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [سورة غافر:٢٨]؛ ثم ناسب ختام الآية بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨﴾ [سورة غافر:٢٨]، وذلك في شأن فرعون إذ هو أسرفَ في قتل بَنِي إِسْرَائِيل.

أما في الآية الثانية فإن -الله تَعَالَىٰ- يقول: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ﴾ [سورة غافر:٣٤]، فلما جاء ذكر «**الشك**»: وهو لونٌ من ألوان الريب، قال الله ﷻ في فاصلة الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤﴾ [سورة غافر:٣٤].

فكل فاصلة انسجمت مع سياق آيتها، وكل فاصلةٍ ناسبت أَيْضًا معنىٰ آيتها، وهي مُكَمِّلة للآية وتابعةٌ لمعنىٰ الآية، وذلك من بديع التعبير القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٧) (ضيزى) أغرب كلمة في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة النجم: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النجم: ٢٢]، وذلك في القِسمة التي قَسَمَها الكفار بينهم وبين الله ﷻ في قضية الملائكة حيث جعلوا الملائكة بنات الله كما قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الطور:٣٩]، وكما قال الله ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الزخرف:١٦].

جاء عند ابن جريرٍ رحمه الله تعالىٰ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «**ضيزىٰ: أي جائرة عن الحق**».

وعند القرطبي: «**مائلة عن الصواب وجائرة عن الحق**».

يقول أهل العربية: «**إِنَّ كَلِمَةَ ضِيزَىٰ هِيَ أَغْرَبُ كَلِمَةٍ جَاءَتْ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيم، وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِي هَذَا اَلْمَوْطِنِ لِلْقِسْمَةِ اَلْغَرِيبَةِ اَلَّتِي قَسَمَهَا اَلْكُفَّارُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اَللهِ ﷻ فِي قَضِيَّةِ اَلْمَلَائِكَةِ**»، فأنكر الله ﷻ عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النجم:٢١-٢٢]، فالقِسمة غريبة واللفظ جاء غريبًا في هذا الموطن.

ويقول الرافعي في إعجاز القُرْآن: «**إن كلمة ضيزىٰ جمعت أربع غرائب: فهي غريبةٌ في لفظها، وغريبةٌ في معناها، وغريبةٌ في نطقها، وغريبةٌ في صوتها، فجمعت أربع غرائب في أربعة حروف**»، وهذا من روعة التعبير القُرْآني الذي أسَرَ الله ﷻ به عقول أهل البيان وتحدَّىٰ به أرباب البيان والبلاغة وصُنَّاع الكلام في الجزيرة العربية وفي غيرها، ولا عَجَب ولا غُرُو فهو كتاب الله ﷻ وكلامه الذي هو تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٨) ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٧٨﴾ [سورة غافر:٧٨]
﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ [سورة غافر:٨٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة غافر: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٧٨﴾ [سورة غافر:٧٨].

- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول فيها أَيْضًا: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ [سورة غافر:٨٥].

و«**الخسارة**»: تعني النقص في أي أمرٍ من الأمور، والمبطلون والكافرون خاسرون كل الخسارة يوم القيامة.

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بلفظ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [سورة غافر:٧٨].
- وجاءت فاصلة الآية الثانية بلفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر:٨٥].

وبالنظر في سياق الآيتين يتبين سر مجيء هاتين الفاصلتين، ففي الآية الأولىٰ الحديث عن الحق كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٧٨﴾ [سورة غافر:٧٨]، فجاءت فاصلة الآية بلفظ «**الْمُبْطِلُونَ**» لأن الباطل نقيضه الحق.

وأما في الآية الثانية فالحديث عن الإيمان كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ [سورة غافر:٨٥]، فختم بلفظ «**الْكَافِرُون**» لأن الكفر نقيضه الإيمان، فكل آيةٍ وكل فاصلةٍ انسجمت مع سياق آيتها، ومثل هذا التوجيه يحتاجه حُفَّاظُ كتاب الله ﷻ في إتقانهم لحفظهم وضبطه والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٨٩) ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [سورة الإسراء:٨٩]
﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾ [سورة الكهف:٥٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٨٩﴾ [سورة الإسراء: ٨٩].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة الكهف: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ۝٥٤﴾ [سورة الكهف:٥٤].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، فآية الإسراء قدَّمت لفظ «**الناس**» وآية الكهف قدَّمت لفظ «**القُرْآن**»، والسر في ذلك راجعٌ إلىٰ السياقين وإلىٰ النظر في سياق هذه الآيات، وهذه قاعدة عند أهل التأمُّل والتدبُّر، لا بد من النظر في سياق الآيات المعنية.

فسورة الإسراء احتفلت بذكر «**الناس**» أكثر من ذكر «**القُرْآن**»، كما قال الله ﷻ قبل هذه الآية: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [سورة الإسراء:٨٨]، فذكر «**الإنس**» في مُقدِّمة التحدِّي، ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [سورة الإسراء:٨٩]، ثم قال في فاصلة الآية: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٨٩﴾ [سورة الإسراء: ٨٩].

ثم ذكر الله ﷻ ألوانًا من كفر الناس؛ إذ يقول الله ﷻ بعد هذه الآية: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١﴾ [سورة الإسراء:٩٠-٩١].

وإذا نظرنا في سورة الكهف وجدنا أن سورة الكهف احتفلت بذكر القُرْآنِ والكتاب أكثر من ذكر الناس، كما قال الله ﷻ في مستهل السورة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ

﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [سورة الكهف:١]، فذكر لفظ «**الكتاب**»، ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩﴾ [سورة الكهف:٩]، و«**الرَّقِيم**»: هو الكتاب، كما فسَّره ابن عباس ونقل ذلك ابن كثيرٍ -رحمه الله تعالىٰ-.

ثم يقول الله ﷻ بعدها: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [سورة الكهف:٤٩]، ثم يقول الله ﷻ بعدها: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ [سورة الكهف:٥٤].

إذًا كل سورة احتفلت بالكلمة المُقدَّمة وإنما ذلك من عظمة التعبير في القُرْآنِ الكريم، وليس ذلك من باب المزاوجة في الألفاظ ولا التفنن في الأسلوب فحسب، وإنما ذلك من بديع نظم القُرْآنِ الكريم، فالقُرْآنُ الكريم يُقدِّم الكلمة المحتفل بها والمُعتنىٰ بها أكثر من غيرها، والله ﷻ أعلم بمُراده وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٠) (المشرق والمغرب) بالإفراد والتثنية والجمع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة المزمل: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾ [سورة المزمل:٩].

في حين يقول الله ﷻ في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨﴾ [سورة الرحمن:١٧-١٨].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة المعارج: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [سورة المعارج:٤٠].

- فجاء اللفظ في الآية الأولىٰ بصيغة الإفراد وقال: ﴿ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾.
- وجاء اللفظ في الآية الثانية بصيغة التثنية وقال: ﴿ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ و ﴿ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾.
- وجاء اللفظ في الآية الثالثة بصيغة الجمع وقال: ﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾.

فما التوجيه لهذا الاختلاف؟

المراد في الآية الأولىٰ بالمشرق والمغرب: هو جنس المشرق والمغرب وجهة المشرق والمغرب، وإنما جاء صيغة الإفراد في الآية لأن المُخاطَب به مفرد وهو النبي ﷺ حيث يقول الله ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾ [سورة المزمل:٩].

والمراد بـ«**المشرقين والمغربين**»: مشرق الشمس في الشتاء والصيف ومغربها في الشتاء والصيف، فلها مشرقان ولها مغربان في الصيف والشتاء وكذا القمر، فقال الله ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧﴾ [سورة الرحمن:١٧].

وإنما جاء بصيغة التثنية في سورة الرحمن لأن سورة الرحمن مبنيةٌ كلها علىٰ التثنية، كما قال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرحمن:١٤-١٦]، ثم قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الرحمن:١٧-١٨].

ثم قال الله ﷻ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرحمن:١٩-٢٢].

والمراد بالمشارق والمغارب في سورة المعارج: هما مشرق الشمس كل يوم ومغربها كل يوم، فإن للشمس مشرقٌ كل يوم ولها مغرب كل يوم، فأقسم الله ﷻ بهذه المشارق وهذه المغارب.

وإنما جاء اللفظ بصيغة الجمع لأن المخاطب بذلك هم الكفار علىٰ وجه العموم كما قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة المعارج:٣٩-٤١].

وهذا توجيهٌ لهذا الاختلاف بين هذه الآيات، فلا تكرار في كتاب الله ﷻ ولا ترادف بين آيات الله ﷻ، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩١) لغة الأضداد في القرآن الكريم واللغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

اللغة العربية هي لغة الأضداد، ومعنىٰ ذلك أن اللفظ فيها يطلق علىٰ الضدين في المعنىٰ وعلىٰ النقيضين في المعنىٰ، وهذا يدل علىٰ غزارة معاني اللغة العربية وعلىٰ ثرائها، وقد وردت لغة الأضداد في القُرْآنِ الكريم.

- من لذلك لفظ «التفكُّه» فالتفكه يطلق علىٰ الضدين في المعنىٰ، فيطلق علىٰ التحسر والندم ويطلق علىٰ الفرح والسرور كما قال الله ﷻ: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [سورة الواقعة:٦٥]؛ أي: تَنْدُمون كما قال أهل التأويل، ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ [سورة المطففين:٣١]؛ أي: فرحين مسرورين، وهذه لغة الأضداد.
- ومن ألفاظ الأضداد التي وردد في القُرْآنِ الكريم لفظ «الشِّراء» فالشراء يطلق علىٰ البيع ويطلق علىٰ الشراء كما قال الله ﷻ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [سورة يوسف:٢٠]؛ أي: باعوه، ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة التوبة:٩]؛ أي: باعوها، ومنه قوله تعالىٰ أَيْضًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [سورة يوسف:٢١]، اشتراه: هنا علىٰ معناه الحقيقي.
- ومن لغة الأضداد أَيْضًا لفظ «البيع» فيطلق البيع علىٰ البيع وعلىٰ الشراء، وهذا جاء في حديث رسول الله ﷺ إذ يقول: «**من رأيتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك**».

- ومن ألفاظ الأضداد ما جاء في اللغة العربية لفظ «**السليم**»، والسليم يطلق علىٰ السليم الصحيح الجسم ويطلق علىٰ اللديغ المريض تفاؤلًا بشفائه، وهذا جاء في قصيدةٍ للأعشىٰ يمدح فيها النبي ﷺ ويقول:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً وبت كما بات السليم مُسَهَّداً

وهذا كله من روعة اللغة العربية ومن غزارة معانيها، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٢) الفرق بين: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [سورة النساء:١٦٢] ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة النساء: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة النساء:١٦٢].

في حين يقول الله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٤-٣٥].

- فقال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [سورة النساء:١٦٢].
- وقال في الثانية: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٥].

والله -جَلَّ شأنه- إذا مدح أهل الصلاة مدحهم بإقامتها وذلك في غير ما آية من كتابه العزيز، «المقيمين» في الآيتين هي اسم فاعل من غير الثلاثي، من أقام يقيم مقيم، وهذا الاسم جاء مقطوعًا من الإضافة في الآية الأولىٰ وقال الله ﷻ فيه: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [سورة النساء:١٦٢] ونَصَبَ ما بعده.

- وأما في الآية الثانية فإن اسم الفاعل جاء مضافًا وحذفت النون فيه للإضافة تخفيفًا وقال الله ﷻ فيه: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٥].

عند جمهور النُحاة آية النساء منصوبة علىٰ المدح وعلىٰ الاختصاص، فمدح الله ﷻ المقيمين الصلاة، ونُصبت الكلمة بفعلٍ محذوف تقديره: أمدح أو أخص.

- وأما في الآية الثانية فإن «المقيمي» معطوف علىٰ المفعول به منصوب في السياق، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ

﴿مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٤-٣٥]، فإن «**المقيمي الصلاة**» معطوف علىٰ المخبتين في الآية، فهو مفعولٌ به منصوب.

إذًا في الآية الأولىٰ نُصبت علىٰ المدح، وفي الآية الثانية عُطفت علىٰ المفعول به منصوب، هذا من حيث الإعراب النحوي.

أما من حيث البيان فإن اسم الفاعل إذا قُطع من الإضافة ونَصب ما بعده فإن ذلك يدل علىٰ الدوام ولا يختص ذلك بزمن، فالله ﷻ يمدح في سورة النساء المقيمين الصلاة علىٰ الدوام، والتقدير: وأمدح المقيمين الصلاة، ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، فإن هذا مدحٌ علىٰ الدوام ولا يختص ذلك بزمن ولا بوقت.

أما في آية الحج فإن اسم الفاعل أضيف لما بعده، واسم الفاعل إذا أضيف لما بعده يدل علىٰ الحال وعلىٰ الوقت كما قال الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٤-٣٥]، في الحال، وذلك أثناء شعيرة الحج فإن الله ﷻ يمدح من يقيم الصلاة في وقتها في تلك الأيام من الحج.

وهذا نظير قول الله ﷻ أيضًا: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾ [سورة الأنفال:١٨]، فإن الإضعاف في الآية والإيهان في الآية مختصٌ بيوم بدر، واسم الفاعل أُضيف لما بعده، ودلَّ ذلك علىٰ الحال بوقت يوم بدر.

وصفوة هذه الوقفة: أن اسم الفاعل إذا قُطع من الإضافة فإنه يدل علىٰ الدوام ولا يختص ذلك بزمن، وهذا له نظائر كثيرة في القُرْآنِ الكريم وإذا أُضيف اسم الفاعل لما بعده فإنه يدل علىٰ الحال وذلك مختصٌ بوقتٍ أو بزمن، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٣) تقديم اللعب على اللهو واللهو على اللعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في سورة الأنعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأنعام:٣٢].

في حين يقول الله ﷻ في العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٤].

- فقدَّم الله ﷻ «**اللعب**» في الآية الأولىٰ.
- وقدَّم «**اللهو**» في الآية الثانية.

وآيات اللعب واللهو في القُرْآنِ الكريم هُنَّ سَبْعُ آيات، قدَّم الله ﷻ «**اللعب**» خمس مرات وقدَّم «**اللهو**» مرتين، وهذا موطن تساؤل لدي كثير من قراء كتاب الله ﷻ، ما سر سبب تقديم هاتين الكلمتين؟!

فأقول: إن حياة الإنسان تبدأ باللعب وتنتهي باللهو، فمرحلة الطفولة هي مرحلة لعب، فالطفل نقول: يلعب ولا نقول: يلهو، لذا قال الله ﷻ في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [سورة يوسف:١٢].

أما مرحلة الكهولة والمكلفين فهي مرحلة لهو، فالكبير والمكلف نقول: أنه يلهو ولا نقول: يلعب، لذا قال الله ﷻ: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ [سورة الأنبياء:٣]، ولم يقل: لاعبة، إذًا حياة الإنسان تبدأ باللعب وتنتهي باللهو، إذا تقرَّر هذا فلا مجال للسؤال لماذا قدَّم الله ﷻ اللعب؟!

نقول: قدَّم «**اللعب**» لأنه جاء علىٰ الأصل، والأصل إذا وقع لا يُسأل عنه، ومع ذلك أقول: إن الله ﷻ قدم «**اللعب**» في خمس آيات في سياق تبيين حقيقة الحياة الدنيا وماهية الحياة الدنيا، كما قال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهۡوٌۖ﴾ [سورة الأنعام:٣٢]، وهذه هي حقيقة الحياة الدنيا.

وقال تعالىٰ في محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌۚ﴾ [سورة مُحَمَّد:٣٦].

وقال تعالىٰ في الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌ وَزِينَةٌ﴾ [سورة الحديد:٢٠].

إذًا يتقرر السؤال ويتوجب: لماذا قدَّم الله ﷻ «**اللهو**» في آيتين؟

فأقول: إن الله ﷻ قدَّم «**اللهو**» في آيتين كريمتين وهُنَّ:

١- آية الأعراف حيث يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ [سورة الأعراف:٥١]، أين هذا الكلام ومتىٰ؟ في الآخرة، كما قال الله ﷻ عن أهل النار يستنجدون بأهل الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [سورة الأعراف:٥٠]، من هم الكافرون؟ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ [سورة الأعراف:٥١]، فخاطبهم الله ﷻ بالنار بما انتهوا به في الدنيا، فالكفار والمكلفين انتهوا في الدنيا بمرحلة «**اللهو**» فخاطبهم الله ﷻ بما انتهوا به في الدنيا، وهذا هو تخريج الآية كما جاء ذلك عند الكَرماني في «**أسرار التكرار**».

٢- وأما آية العنكبوت فإن الله ﷻ يبين فيها حقيقة الدنيا أمام الآخرة، وأن الدنيا ليست بشيء أمام الآخرة، فقال الله ﷻ مخاطبًا المكلفين ومنكري البعث: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [سورة العنكبوت:٦٤]، فبين الله ﷻ في هذه الآية حقيقة الدنيا أمام الآخرة وأنها ليست بشيء، فجاء علىٰ سبيل الحصر وقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [سورة العنكبوت:٦٤].

ثم أكَّد الله ﷻ بتوكيداتٍ كثيرة حيث حُشد في الآية توكيداتٍ كثيرة بقوله تعالىٰ: «وَإِنَّ» توكيد: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٤]، «اللام» للتوكيد وهي ضمير فصل للتوكيد: ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [سورة العنكبوت:٦٤]، ولم يقل الله ﷻ: لهي الحياة، إنما بالغ في الوصف وزاد الألف والنون للوصف في المبالغة، كما قال ذلك الزمخشري في «الكشاف».

فجاء بالألف والنون للمبالغة في الوصف وتبيين أن الآخرة هي الحياة الحقيقية الأبدية السرمدية، وإن الدنيا ليست بشيء أمام هذه الحياة وهي حياة الآخرة، وحياة الآخرة ليس فيها توقف فكلها حركة وإنما الدنيا فيها توقف كما هو معلوم.

وغاية هذه الوقفة: أن الله ﷻ قدَّم «اللعب» خمس مرات، وقدَّم «اللهو» مرتين في كتابه العزيز، وكل هذا التقديم والتأخير المُتحكم فيه السياق القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٤) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [سورة الأعراف:٥٩]
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [سورة هود:٢٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [سورة الأعراف:٥٩].
- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في بقية القُرْآن: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [سورة هود:٢٥].

فجاءت آية الأعراف بلام الابتداء وقال الله فيها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [سورة الأعراف:٥٩].

علىٰ حين أن الآيات الأُخر في بقية القُرْآن جاءت بواو العطف وقال الله فيها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [سورة هود:٢٥، سورة المؤمنون:٢٣، سورة العنكبوت:١٤].

وآية الأعراف هي الآية الوحيدة في القُرْآنِ الكريم بهذا اللفظ، ذلك أن قصة نوحٍ في سورة الأعراف هي أول قصة نبي ذكرت في السورة، فاستهلَّت سورة الأعراف بذكر نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ سبيل السرد القصصي للأنبياء، فلم يُذكر نبيٌّ قبل ذكر نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف، لذا جاءت الآية بهذا المعنىٰ البديع اللطيف حيث قال الله ﷻ فيها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [سورة الأعراف:٥٩] بلام الابتداء.

علىٰ حين أن في بقية القُرْآن قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ﴾ [سورة هود:٢٥، سورة المؤمنون:٢٣، سورة العنكبوت:١٤] بواو العطف، حيث ذُكرت وعطفت قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قصة نبيٍ آخر في بقية القُرْآن الكريم، ففي سورة هود جاءت قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ معطوفة علىٰ ذكر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فذُكر موسىٰ قبل نوحٍ في سورة هود حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [سورة هود:١٧].

فلما ذُكر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في السورة عُطف عليه ذكر نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [سورة هود:٢٥، سورة المؤمنون:٢٣، سورة العنكبوت:١٤]، وهذا المعنىٰ البديع اللطيف ذكره الكرماني في «**أسرار التكرار**»، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٥) الفرق بين ﴿أُلُوفٌ﴾ و ﴿ءَالَفٍ﴾ في نظم القرآن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة البقرة: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في آل عمران: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ [سورة آل عمران:١٢٤].

فجاء اللفظ في آية البقرة بقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣].

وجاء اللفظ في آية آل عمران بقوله تعالىٰ: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [سورة آل عمران:١٢٤].

جاء عند ابن جريرٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ- في تفسيره عن ابن عباس عند آية البقرة قال: «**كانوا أكثر من عشرة آلاف**»، ورجَّح هذا القول ابن جريرٍ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ- في تفسيره، وقال بهذا القول البغوي في «**معالم التنزيل**» وغيره.

أما آية آل عمران فهي في سياق الحديث عن الملائكة والمَدَد من الملائكة الذين شاركوا في معركة أُحد، حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ [سورة آل عمران:١٢٤].

فلما كان العدد كثيرًا جاء بجمع الكثرة وقال: ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣] و«**ألوف**» جمع كثرة، ولما كان العدد قليلًا قال تعالىٰ: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [سورة آل عمران:١٢٤]، و«**آلاف**» جمع قلة، فكل لفظٍ ناسب سياق آيته، وهذا من بديع التعبير القُرْآني، والله -سُبْحَانَهُ- أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٦) ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ٧٢﴾ [سورة النحل:٧٢]
﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ٦٧﴾ [سورة العنكبوت:٦٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ٧٢﴾ [سورة النحل:٧٢].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة العنكبوت: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ٦٧﴾ [سورة العنكبوت:٦٧].

«**الباطل**» جاء تفسيره عند أهل التأويل: بأنه الأصنام وقيل: هو الشيطان، وبالنظر لهاتين الآيتين نجد أن آية النحل جاءت بزيادة ضمير الفصل «**هم**» علىٰ حين أننا لا نجد هذا الضمير في آية العنكبوت، وضمير الفصل يأتي في سياق القُرْآنِ الكريم ليؤكِّد معنىٰ يتضمنه السياق القُرْآني.

ذلك أن سياق سورة النحل جاء فيه نِعَمٌ كثيرة، وعدَّد الله ﷻ نعمة علىٰ الإنسان، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [سورة النحل:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [سورة النحل:٧٠].

وقال أَيْضًا: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [سورة النحل:٧٢].

وقال تعالىٰ أَيْضًا: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [سورة النحل:٧٨].

ومن جملة النعم قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [سورة النحل:٨١].

كُلُّ هذه النعم والإنسان يَكْفُر بها لذا جاءت آية النحل بالتوكيد علىٰ كفر الإنسان بنِعم الله ﷻ فقال تعالىٰ في السياق: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة النحل:٧٢]، وإذا تأمَّلنا نهاية سياق سورة النحل وجدنا أن الله ﷻ يؤكِّد لنا هذا الكفر من قِبل الإنسان، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النحل:٨٣].

في حين أننا نجد في سورة العنكبوت السياق يتحدث عن الحَرَم كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٦٧]، والسياق لم يكن بمَثابة سياق سورة النحل من حيث تَعَدُّد النعم، لذلك قال الله ﷻ في نهاية الآية: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٧].

فلم يحتاج إلىٰ توكيد هذا الكفر؛ لأن السياق لم يتضمن نعمًا ذكرها بمثل ما ذكرها في سورة النحل، وهذا توجيهٌ لهاتين الآيتين المتناظرتين، والله سبحانه وتعالى أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٧) (كفورًا) بفتح الكاف وضمها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [سورة الإسراء:٦٧].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٥٠﴾ [سورة الفرقان:٥٠].

الكفر في تعريفه العام: «هُوَ السَّتْرُ وَالْجُحُودُ وَالإِنْكَارُ لِرُبُوبِيَّةِ اللهِ ﷻ وَأُلُوهِيَّتَهُ وَوَحْدَانِيَّتَهُ وَنِعَمَهُ».

فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بلفظ: ﴿كَفُورًا ٦٧﴾ [سورة الإسراء:٦٧] بفتح الكاف.

وجاءت فاصلة الآية الثانية بلفظ: ﴿كُفُورًا ٥٠﴾ [سورة الفرقان:٥٠] بضم الكاف.

والضمُّ أقوىٰ نطقًا وأوسع معنىٰ من الفتح:

- فأما «كَفُورًا»: فهي صيغة مبالغة علىٰ وزن فَعول.
- وأما «كُفُورا»: فهي مصدر، والمقرر من قواعد العربية أن المصدر أعم وأوسع في المعنىٰ من صيغة المبالغة، فلما تحدَّث الله ﷻ عن الناس وهم أوسع معنىٰ وأكبر شريحةً قال ﷻ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩﴾ [سورة الإسراء:٨٩]، فجاء المصدر وهو الأعم في المعنىٰ مع الأوسع وهم شريحة الناس.

ولما تحدَّث الله ﷻ عن الإنسان وهو ما دون الناس جاء بما دون ذلك وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، فجاء بصيغة المبالغة مع لفظ «الإنسان» وجاء بالمصدر وهو الأعم مع «الناس» وهم الأكثر، وهذا من بديع التعبير القُرآني، ومن جمال النظم القُرْآني

الذي أعجز الله به فصحاء العرب وأئمة البيان، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٨) الدلالة البيانية لكلمة (رب) في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمد الشاكرين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة القصص:٢٢]، هذه وقفةٌ يسيره موجزه حول دلالة «الرب» في القُرْآنِ الكريم.

«الرَّبُ» هو القيِّم والمالك والسيد والمعلم والمربي، كما جاء ذلك تعريفه عند غير واحد من أهل العربية كابن منظورٍ في «لسان العرب»:

- و«الرَّبُ» إذا جاء مقطوعًا من الإضافة أو جاء نكرةً فإنه لا يُراد به إلا الله ﷻ.
- وإذا أضيف فإنه يراد به تارةً «الله» كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [سورة الفلق:١]، ويراد به غير الله كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [سورة يوسف:٢٣]، والمراد به: مالك البيت.

وإذا تأمّلنا سياقات القُرْآن الكريم وجدنا أن لفظ «الرب» اقترن بلفظ «الهداية» في أكثر من عشرين آية، لأن الرب هو الهادي للأخلاق الحميدة الفاضلة؛ لذلك يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام:١٦١].

وقال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [سورة البقرة:٥].

ويقول الله أَيْضًا: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة طه:٤٩-٥٠].

ويقول الله ﷻ: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة القصص:٢٢].

ونظير ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الكهف:٢٤].

وإذا تأمَّلنا سياقات القُرْآن الكريم أَيْضًا وجدنا أن «الرب» يقترن بالآيات التي تتكلم عن الآيات الكونية وتحديدًا عن توحيد الربوبية، كما قال الله ﷻ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [سورة الفلق:١].

وقال الله ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [سورة الشعراء:٢٨].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ [سورة النجم:٤٩].

وقال الله ﷻ أَيْضًا: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الصافات:٥].

وإذا تأمَّلنا سياقات القُرْآن الكريم أَيْضًا وجدنا أن نداءات الرسل ونداءات المُؤْمِنِيْنَ لله ﷻ يتصدر بها هذا الاسم، كما قال الله ﷻ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [سورة يوسف:٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [سورة إبراهيم:٣٨].

ويقول الله ﷻ أَيْضًا: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف:١٠١].

ويقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [سورة البقرة:٢٠١].

وذلك أن الله ﷻ هو المربِّي لأنبيائه وأصفياءه وعباده المؤمنين، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(١٩٩) ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٍ﴾ [سورة الحجر:١]
﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٍ﴾ [سورة النمل:١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في صدر سورة الحِجر: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ [سورة الحجر:١].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في صدر سورة النمل: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ [سورة النمل:١].

- فقدَّم لفظ «**الكتاب**» في سورة الحجر وقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ [سورة الحجر:١].

وقدَّم لفظ «**القُرْآن**» في سورة النمل وقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ [سورة النمل:١].

فما السر التعبيري في تقديم كل لفظٍ في سياقه؟!

بدايةً لفظ «**الكتاب**» أعم معنىٰ من لفظ «**القُرْآن**»، فالكتاب يطلق علىٰ القُرْآن ويطلق علىٰ التوراة ويطلق علىٰ الإنجيل، أما لفظ «**القُرْآن**» فلا يطلق إلا علىٰ نفسه.

وذكر العُلَمَاء قاعدةً حول السور المُفتتحة بالحروف المقطعة، وقالوا: إذا افتُتحت السورة بثلاثة أحرف وأكثر فعندها يأتي بعد هذه الأحرف لفظ «**الكتاب**» كحال سورة الحجر والبقرة والأعراف وغيرها، وإذا افتُتحت السورة بحرفين فأقل فعندها يأتي بعد هذه الأحرف لفظ «**القُرْآن**» كحال سورة النمل وطه وغيرها.

فلما افتتح الله ﷻ سورة الحجر بثلاثة أحرف جاء بعدها بلفظ «**الكتاب**» لأنه الأعم بعد الأكثر حروفًا، ولما افتتح الله ﷻ سورة النمل بحرفين جاء بعدها بالأخص وهو لفظ «**القُرْآن**» هذا ناحية.

ناحية أخرىٰ: أن الله ﷻ لما قال في سورة الحجر: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [سورة الحجر:١]، جاء بعدها بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ [سورة الحجر:٤]، فجاء السياق حافلًا بهذا اللفظ، وهذا ما يسمىٰ عند أهل البيان بـ«**السمة التعبيرية**».

وفي سورة النمل لما قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [سورة النمل:١]، جاء بعدها بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [سورة النمل:٦]، فجاء السياق حافلًا بهذا اللفظ وهذا ما يسمىٰ عند أهل البيان بـ«**السمة التعبيرية**».

فكل سياقٍ احتفل بلفظه، وهذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة، وهو من بديع التعبير القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٠) لفظ الجلالة (الله) في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في أعظم آيةٍ من كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

هذه الآية العظيمة ابتدأت بأعظم أسماء الله ﷻ وهو لفظ الجلالة «الله»، لفظ الجلالة «الله» أصله من حيث التكوين الحرفي أَلِهَ بمعنىٰ عُبد، كما جاء ذلك عند أهل المعاجم.

فـ«الله»معناه المعبود، لذلك لفظ الجلالة «الله» ارتبط بلفظ «العبادة» في القُرْآنِ الكريم بأكثرَ من خمسين آية، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف:٧٣]، أي: اعبدوا المعبود الحق الذي يجب أن تصرف له العبادة كلها.

- لفظ الجلالة «الله»هو أكثر أسماء الله ترددًا في القُرْآنِ الكريم، حيث جاء هذا الاسم بأكثر من ألفي آية، مما يدل علىٰ أنه اسم الله الأعظم، كما قال بذلك غير واحد من علماء السلف والخلف.
- لفظ الجلالة «الله» هو الاسم الدال علىٰ الذات العليا لله ﷻ وهو الاسم الجامع لأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فإذا دعوت بالعزيز فأنت تدعو بالعِزَّة، وإذا دعوت بالغفور فأنت تدعو بالمغفرة، وإذا دعوت بالكريم فأنت تدعو بالكرم، وإذا دعوت باسم «الله» فأنت تدعو بجميع هذه الصفات وهذه المحامد والأسماء.
- لفظ الجلالة «الله» هو الاسم الذي انفرد به الله ﷻ عن بقية الآلهة المزعومة التي عبدها الكفار، فلم يتسمَّىٰ أحدٌ بهذا الاسم سوىٰ الله ﷻ.

- لفظ الجلالة «الله» هو الاسم الذي اعترفت به الكفار وسائر الديانات، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].
- لفظ الجلالة «الله» يأتي في سياقات القُرْآن الكريم في مقام التخويف والتعظيم والتكليف وغير ذلك، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [سورة الزمر:١٦]، وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢]، وفي سياق التعظيم يقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [سورة الشورى:١٠].
- لفظ الجلالة «الله» نراه في سياق القُرْآن دائمًا في مقام المضاف إليه ولا يكون مضافًا أبدًا، وأهل اللغة عندهم المضاف إليه أشرف من المضاف، كما في القُرْآن: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف:٧٣]، و: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:١٢٤]، و: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٢٣١]، وغير ذلك.
- لفظ الجلالة «الله» إذا تأمّلنا في سياق القُرْآن الكريم نجده دائمًا موصوفًا، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [سورة الحشر:٢٣]، والموصوف يأتي متبوعًا ولا يأتي تابعًا، ولفظ الجلالة في هذا المقام لشرفه ولمكانته وعظمته.

- الله ﷻ هو سلوىٰ الحزين.
- الله ﷻ هو جاه الغني وهو غِنىٰ الفقير.
- الله ﷻ هو ملاذ الخائف المستجير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [سورة الشورى:١٠]، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠١) الفرق بين (لبث) و (مكث) في بيان القرآن الكريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي هدانا للإسلام، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة الرعد: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة الرعد:١٧].

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «لَبِثَ».
- وجاءت الآية الثانية بلفظ «مَكَثَ».

فما الفرق في الدلالة البيانية بين هذين اللفظين في تعبير القُرْآنِ الكريم؟!

بالتدبر والاستقراء لكتاب الله ﷻ نجد أن الفعلين «لَبِثَ» و«مَكَثَ» مرتبطان بالظرف.

- فأما «لَبِثَ» فاللُبث مرتبطٌ بزمانٍ محدد ومُقيَّد كما قال الله ﷻ: ﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]، فهذا اللُبث مرتبطٌ بزمنٍ مُقيَّد.

ونظير ذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ [سورة يوسف:٤٢]، وهذا اللُبث أَيْضًا مرتبطٌ بزمنٍ مقيد.

ويقول الله ﷻ أَيْضًا: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ [سورة النبأ:٢٣]، وهذا اللُبث أَيْضًا مرتبطٌ بزمنٍ مُقيَّد.

أما الفعل «مَكَثَ» فالمكث هو الاستقرار بالمكان غير المحدد بزمن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة الرعد:١٧]، وهذا المُكث غير محددٍ بزمنٍ معين ومقيد.

- ومثل ذلك يقول الله ﷻ: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [سورة الكهف:٣]، وهذا المُكث غير مقيدٍ بزمن.
- ويقول الله ﷻ أَيْضًا: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [سورة القصص:٢٩]، وهذا المُكث مطلقًا غير مقيدٍ بزمن.

وصفوة هذه الوقفة: أن الفعلين «لَبِثَ» و«مَكَثَ» في القُرْآنِ الكريم مرتبطان بالظرف، فأما «لَبِثَ» فمرتبط بالزمان المقيد وأما «مَكَثَ» فمرتبطٌ بالمكان غير المقيد، وهذا من عظمة التعبير في كتاب الله ﷻ، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٢) ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [سورة البقرة:٦٢]
﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [سورة الحج:١٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [سورة البقرة:٦٢].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [سورة الحج:١٧].

فقدَّم الله ﷻ لفظ «النَّصَارَىٰ» علىٰ «الصَّابِئين» في البقرة، وقدَّم لفظ «الصَّابِئين» علىٰ «النَّصَارَىٰ» في الحج، فما السر البياني في التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين؟!

بدايةً؛ النَّصَارَىٰ هم أتباع عيسىٰ عليه السلام، وأما الصَّابِئونَ فهم عبدة الأوثان ولا ينتمون إلىٰ أحدٍ من الأنبياء كما ذكر ذلك المُحقِّقون ونقل ذلك ابن عاشور رحمه الله تعَالَىٰ في تفسيره.

– فقدَّم الله لفظ «النَّصَارَىٰ» في البقرة:

- ذلك أن الحديث في البقرة عن أهل الكتاب، والنَّصَارَىٰ هم أهل كتاب فقدَّمهم الله ﷻ عنايةً واهتمامًا بهم، وذكر ذلك الكِرْماني في «أسرار التكرار».
- وقيل: إن النَّصَارَىٰ قُدِّموا في البقرة لأنهم أسبق في سير الزمان وفي شريط الحياة.

– أما الصَّابِئون فقُدِّموا في الحج لأن سورة الحج تتحدث عن الشرك وأهله والبراءة من الشرك وأهله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [سورة الحج:٢٦].

– ثم جاء بعدها قوله تعالىٰ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [سورة الحج:٣١]، فلما كان

الحديث في سورة الحج عن الشرك وأهله والصابئون هم عبدة الأوثان فهم مشركون قدَّمهم الله ﷻ عنايةً بهم واهتمامًا واحتفالًا بهم في سورة الحج.

فكل لفظةٍ نالت تركيزًا وعنايةً في السياق القُرْآني، وهذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة في كتاب الله ﷻ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٣) الفرق بين الفعل (أمدَّ) و (مدَّ) في نظم القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الطور: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [سورة الطور:٢٢].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في البقرة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [سورة البقرة:١٥].

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ الفعل «أَمَدَّ» بهمزة التعدية.
- وجاءت الآية الثانية بلفظ الفعل «مَدَّ».

وكلا الفعلين يرجعان إلىٰ أصلٍ واحد وهو المَدَّ، و«المَدّ» عند أهل العربية هو التقوية والزيادة للشيء، والفعلان لا يستويان في نظم القُرْآن الكريم فقد فرَّق العُلَمَاء بين هذين الفعلين:

- فقَالُوا: الفعل «أَمَدَّ» بهمزة التعدية يأتي في سياق الخير والأمور المُحبَّبة للنفس.
- وأما الفعل «مَدَّ» فيأتي في سياق الشر والأمور المُستكرهة للنفس، قال بذلك غير واحد من أهل التأويل منهم القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره.

وإذا تأمَّلنا وتدبرنا في آيات القُرْآن الكريم وجدنا هذا جليًا واضحًا، حيث قال الله ﷻ في سورة الطور: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [سورة الطور:٢٢]، فلما كان سياق خيرٍ وسياق أمورٍ محببة جاء بالفعل «أَمَدَّ».

ونظير هذا يقول الله ﷻ أَيْضًا: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [سورة الإسراء:٦]، ولا ريب أن هذا سياق خيرٍ فجاء بالفعل «أَمَدَّ».

وأيْضًا يقول الله ﷻ في الشعراء: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣﴾ [سورة الشعراء:١٣٣]، ولا ريب أن هذا سياق خير فجاء بالفعل «أَمَدَّ».

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [سورة البقرة:١٥]، وهذا سياق شر فجاء بالفعل «مَدَّ» في الآية.

ونظير هذا يقول الله ﷻ: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ [سورة مريم:٧٩]، ولا ريب أن هذا سياق شر فجاء بالفعل «مَدَّ» في الآية.

وأيْضًا يقول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ [سورة الأعراف:٢٠٢]، وهذا في الأمور المكروهة للنفس وفي سياق شر فجاء بالفعل «مَدَّ» في الآية.

وصفة هذه الوقفة: أن كتاب الله ﷻ يزاوج بين هذين الفعلين، فيأتي بالفعل «أَمَدَّ» في سياق الخير والأمور المحببة للنفس، ويأتي بالفعل «مَدَّ» في سياق الشر والأمور المستكرهة للنفس، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٤) ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧]
﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ شأنه- في التنزيل: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣]، وكلتا هاتين الآيتين في آل عمران.

- فجاءت فاصلة الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧].

- وجاءت فاصلة الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣].

و«**الألباب**»: مفرده اللُّب وهو العقل، قَال الراغب الأصفهاني: «**وأشرف ما يوصف به العقل هو اللُّب**» لهذا خُصَّ بالخطاب «**أُولُو الْأَلْبَاب**»، وبالنظر في آيات الله ﷻ والتأمُّل والتدبُّر نجد أن الآيات التي تتناول المسائل العِلمية والتي تأمر بالتذكُّر تُختم بقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧].

كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:٧]، هذه مسألةٌ علمية تدعوا للتذكُّر فقال الله ﷻ في ختامها: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧].

ونظيرةٌ لهذا يقول الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]، فختم بقوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]؛ لأن السياق يتحدث

ويَضُمُّ مسألةً علمية وهي: مسألة التأمُّل والتدبُّر في كتاب الله ﷻ التي هي من خواص العقل، ومن ما يُميِّز وما يُميَّز بها أُولُو الْأَلْبَاب، لهذا قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [سورة ص:٢٩].

فالتدبر يحصل والتذكر يحصل علىٰ قدر التدبر، والبركة تحصل علىٰ قدر التدبر في كتاب الله ﷻ، فخُصَّ بهذه المسألة أُولُو الْأَلْبَاب فقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]، فأمر بالتدبُّر لأنه يحصل منه التذكُّر لأولي الألباب.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣]، فهذه الفاصلة إذا تأملناها وجدناها في سياقات الآيات التي تتحدث عن مشاهد مُبصرة مرئية، كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ﴾ [سورة آل عمران:١٣]، هذا مسألة ومشاهِد مرئية مبصرة رأيَ العين فقال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣].

فهذه المشاهد المرئية المبصرة يحصل منها العِبرة والاتِّعاظ لهذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣]، «**عبرة**» أي: عِظة لِأُولِي الْأَبْصَار.

وقال -الله تَعالَىٰ- في شأن يهود بني النضير: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحشر:٢]، وهذه مسألة مشاهدة ومشاهد مرئية محسوسة مبصرة للرائي فقال الله فيها: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ﴾ [سورة الحشر:٢]، فأمر الله ﷻ بالاعتبار للمشاهد المرئية المبصرة: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [سورة الحشر:٢]، وأمر الله ﷻ بالتذكُّر للمسائل العلمية «**لأولي الألباب**» كما أسلفت آنفًا.

وصفوة هذه الوقفة: أنَّ الفاصلة القُرْآنية تخدم الآية وتتم معنىٰ الآية وهي جزءٌ لا ينفصل من معنىٰ الآية، وهذه أمثلةٌ علىٰ الفاصلة القُرْآنية، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٥) تقديم (الخوف على الجوع) و (الجوع على الخوف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٥٥].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل:١١٢].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، قَدَّم الله ﷻ في البقرة الخوف علىٰ الجوع، وقدَّم في النحل الجوع علىٰ الخوف، وهذا الضرب من التقديم والتأخير المُتحكِّم فيه السياق القُرْآني والمعنىٰ العام للآيات القُرْآنية.

إذا تأملنا في سورة البقرة وجدنا الآيات القُرْآنية تحدث عن الابتلاء والمصائب والمحن والشدائد التي تنزل بالإنسان، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٥٥-١٥٦].

فلما كان الحديث عن الابتلاء وما ينزل بالإنسان قَدَّم الله ﷻ الخوف لأن من أعظم ما يبتلىٰ به الإنسان هو الخوف، ومع فُقدان الأمن لا يستطيع الإنسان أن يمارس حياته بشكلٍ طبيعي فجاء هذا التقديم منسجمًا مع آيات سورة البقرة.

وأما في سورة النحل فقد قَدَّم الله ﷻ الجوع، ذلك أن الحديث في سورة النحل عن كفر النعمة وعن بَطَرِ العَيْش كما قال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً

يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل:١١٢]، وهذا تعريضٌ وتهديدٌ لكفار قريش.

فما كان الحديث عن كفر النعمة وعن بَطَرِ العَيْش قدَّم ما يستلزم ذلك وقال تعالىٰ: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ [سورة النحل:١١٢]، فجعل الجوع لباسًا لهم من جرَّاء كفرهم بنعمة الله ﴿تبارك وتعالى﴾.

لذلك قال الله ﴿عز وجل﴾ بعدها: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النحل:١١٣-١١٤].

فقدَّم في النحل ما يستلزم المعنىٰ العام، فكل كلمةٍ من هاتين الكلمتين نالت شرفها في التقديم في هذه الآيات، وهذا من بديع نظم القُرْآنِ الكريم، والله ﴿سبحانه وتعالى﴾ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٦) جمال الفاصلة في قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨].

، هذه الآية جاءت في مَعْرِضِ الحديث عن ذمِّ المنافقين في صدر سورة البقرة، حيث ذمَّهم الله ﷻ وضرب فيهم مثلًا، إذ يقول الله ﷻ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٧-١٨].

جاء عند ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فهم لا يرجعون إلىٰ هدىٰ»:

- والصم هم الذين لا يسمعون.
- والبكم هم الذين لا يتكلمون.
- والعُمي هم الذين لا ينظرون.

وكل هذه الصفات مجتمعة في المنافقين ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨]، فما مناسبة الفاصلة في قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨] إلىٰ هذه الآيات التي ذمَّ الله ﷻ بها المنافقين؟!

بدايةً؛ ذمَّهم الله بقوله تعالىٰ: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [سورة البقرة:١٨]، هذا حال المنافقين كيف يرجعون إلىٰ هدىٰ؟! وكيف ينتفعون بنور الله وهم علىٰ هذه الحال اليائسة المنقطعة؟ ثم إن الله ﷻ يقول فيهم: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [سورة البقرة:١٧]، فالله ﷻ ذهب بنورهم، فمن سَيُرْجع لهم هذا النور! وهل هم يستطيعون أن يرجعوا إلىٰ نور الله ﷻ؟ هيهات فقد ذهب الله ﷻ بنورهم.

ويقول الله ﷻ في مَعْرِضِ هذه الآيات: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [سورة البقرة:١٧]، و«**الترك**» عند أهل اللغة: هو تخلية الشيء دون رجعة، فالله ﷻ تركهم فمن سَيرجع لهم، وهل سيستطيعون أن يرجعوا إلىٰ نور الله ﷻ؟ هيهات أن يرجعوا والله ﷻ تركهم وعذَّبهم بهذا الترك ومقتهم.

إذًا؛ جاءت هذه الفاصلة مناسبة للجو العام لهذه الآيات القُرْآنية ومنسجمة مع المعنىٰ العام، وهذا ذمٌ لحال المنافين الذين ذكَرهم الله ﷻ في صدر سورة البقرة، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٧) ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]، هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ في حال الكفار الذين لا ينتفعون بهدىٰ الله ولا بنوره؛ فذمَّهم الله ﷻ بعدم العقل وقال فيهم ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١].

ومن أشد أنواع الذمِّ في القُرْآنِ الكريم أن يوصف الإنسان بعدم العقل، فذمَّهم الله ﷻ بعدم العقل وذلك لأمورٍ تضمنها السياق القُرْآني:

- منها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، و«**ألفىٰ**» في اللغة وفي القُرْآنِ الكريم لا تأتي إلا في سياق الذم فماذا ألفوا عليه آباءهم؟! يجيبنا القُرْآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩﴾ [سورة الصافات:٦٩]، إذًا هم اتبعوا ضلال آباءهم لذا قال الله ﷻ فيهم: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، فذمَّهم الله ﷻ بعدم العقل هذا ناحية.
- ناحية أخرىٰ: أن الله ﷻ شبَّه أولئك الكفار بقطيع الأغنام التي تسمع الراعي ولكن لا تفقه ما يقول، حيث قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]، فشبَّههم الله ﷻ بالأغنام والبهائم، والجامع بينهما: هو عدم العقل فهم لا يعقلون.

- علاوةً علىٰ هذا: يقول الله ﷻ في أولئك الكفار: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [سورة البقرة:١٧١]، فهذه الصفات اجتمعت فيهم فكيف يعقلون! كيف يعقل وينتفع بنور الله ﷻ وبشرعه وبهُداه من كان هذا حاله؟! فوصفهم الله ﷻ بعدم العقل وقال فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١].

وأخيرًا: قوله تعالىٰ في البقرة ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]، أشد ذمًا من قوله تعالىٰ في المثل الأول: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨﴾ [سورة البقرة:١٨]، فالذي لا يعقل لن يرجع وهذا هو حال الكفار، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٨) الفرق بين الثياب واللباس في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في شأن أهل النار: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [سورة الحج:١٩].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في شأن أهل الجنة: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣﴾ [سورة الحج:٢٣].

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ «الثِيَاب».
- وجاءت الآية الثانية بلفظ «اللِبَاس».

فهل تتساوىٰ وتتكافأ هاتان الكلمتان في التعبير القُرْآني؟

لعلنا نعطي تعريفًا سريعًا لهاتين الكلمتين وننظر نظرةً فاحصة تبين لنا الدلالة البيانية لهاتين الكلمتين في التعبير القُرْآني.

أما «الثِيَاب» فالثوب عند ابن فارس في «مقاييس اللغة» هو: «ما يُثاب إليه أي: يُرجع إليه ويُتردد عليه»، وهذا مأخوذٌ من قول الله ﷻ: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [سورة النور:٥٨].

والثوب: هو ما يَسْتُر ظاهر البدن وخارجه وما يبدوا ظاهرًا للعيان، وهذا ملموسٌ من قول الله ﷻ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [سورة الإنسان:٢١].

والثوب إذًا هو ما يَسْتُرُ ظاهر البدن وما يَسْتُرُ الزينة، لذلك قال الله ﷻ في شأن القواعد من النساء قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ [سورة النور:٦٠]؛ ولم يقل: لباسهن.

إذًا «الثِيَاب»: هي ما يُسْتَرُ بها ظاهر البدن وما تبدوا ظاهرةً للعيان، وقد جعلها الله عذابًا ونكالًا لأهل الجحيم؛ حيث قال الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [سورة الحج:١٩] – نعوذُ بِاللهِ–.

أما «اللِبَاس»: فاللباس عند ابن فارس في «**مقاييس اللغة**»: من اللَّبْس والمُلابَسة وهي شدة المُخالطة والمُداخلة، وهذا مأخوذٌ من قول الله ﷻ: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، وهذا فيه شدة مُلابسة ومُخالطة.

و«اللِبَاس»: هو ما يُباشر ويُلامس البشرة ويخالط بشرة الإنسان، وهذا ملموسٌ من قول الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [سورة الأعراف:٢٧].

إذًا «اللِبَاس»: هو ما يُخالط البشرة، وقد جعل الله ﷻ اللباس سِترًا لعورة الإنسان، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]؛ أي: يُخفي سَوْآتِكُمْ ﴿وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [سورة الأعراف:٢٦].

و«اللِبَاس»: فيه مُخالطة للبشرة لذلك يصعب نزعه؛ حيث قال الله ﷻ: ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [سورة الأعراف:٢٧]، إذًا هذه دلالة بيانية واضحة أن:

- «اللِبَاس»: هو ما خالط البشرة.
- وأن «الثِيَاب»: هي ما يستر به الإنسان ظاهر بدنه وما تبدوا للعيان.

وهذا يبين لنا أنه لا ترادف في كتاب الله ﷻ، فكل كلمةٍ لها شخصيتها، وكل كلمةٍ لها تعبيرها في البيان القُرْآني، أسأل –الله تَعَالَىٰ– بمنه وكرمه أن يجعل القُرْآنَ ربيع قلوبنا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٠٩) لماذا التعبير بلفظ (يثرب) في آية الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الحق ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب:١٣]، هذه الآية جاءت علىٰ لسان المنافقين في سورة الأحزاب في غزوة الأحزاب؛ حيث شكَّك المنافقون في وعد الله ﷻ لنبيه ونصره للإسْلام، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:١٢].

فجاء التعبير في الآية بلفظ «يَثْرِب» فما مناسبة هذا اللفظ لسياق الآية؟

بدايةً «يَثْرِب»: هي مدينة رسول الله ﷺ كانت تسمىٰ في الجاهلية «يَثْرِب» فلما هاجر إليها النبي ﷺ سُمِّيت بمدينة رسول الله ﷺ وهذا الاسم هو الاسم اللائق بها.

و«يَثْرِب»: من التثريب وهو اللوم والعتاب والتوبيخ والتقريع، وهذا التعريف جاء عند غير واحد من أهل المعاجم منهم ابن منظور في «لسان العرب»، وكما قال الله ﷻ في سورة يوسف؛ من يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [سورة يوسف:٩٢]، أي: لا لوم ولا عتاب ولا توبيخ عليكم.

وإذا نظرنا إلىٰ سياق هذه الآية وجدنا أن هذه الآية تحمل لومًا وعتابًا وتوبيخًا من المنافقين بعضهم من بعض، حيث يقول الله ﷻ في مَعْرِض الآية: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب:١٣]، وهذا توبيخٌ ولومٌ وعتابٌ من المنافقين بعضهم من بعض علىٰ مشاركتهم في هذه الغزوة مع النبي ﷺ التي يرون أنها غزوةٌ خاسرة.

فلام بعضهم بعضًا ووبَّخ بعضهم بعضًا علىٰ بقائهم في هذه الغزوة فقالُوا: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب:١٣]، أي: لا إقامة لكم في هذا المكان فارجعوا، إذًا ناسب هذا اللفظ وهو

ولفظ «يَثْرِب» سياق آية سورة الأحزاب في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ۚ﴾ [سورة الأحزاب:١٣]، فانسجم هذا اللفظ مع سياق هذه الآية.

وهذا الذي يُعبِّر عنه أهل البيان بأنه مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، والتعبير القُرْآني يمتثل هذا التعريف في نظمه وفي بيانه، وهو من بديع البيان القُرْآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٠) الفرق بين ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة البقرة:١٧٠] و ﴿لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة المائدة:١٠٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة المائدة: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [سورة المائدة:١٠٤]، كلتا هاتين الآيتين في شأن الكفار:

- ذمّ الله ﷻ الكفار في الآية الأولىٰ بعدم العقل.
- وذمّهم في الآية الثانية بعدم العلم.

فما السر البياني في اختلاف هذا الذم بين هاتين الآيتين؟

بالتدبر والنظر في سياق الآيتين نجد:

- أن الله ﷻ دعا الكفار في الآية الأولىٰ إلىٰ اتباع ما أنزل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، ففضّلوا ما ألفوا عليه آباءهم بما أنزل الله ﷻ، واتبعوا ضلال آبائهم بما أنزل الله ﷻ من النور والهدىٰ والبينات، فذمّهم الله ﷻ بعدم العقل.
- أمر آخر: أن الله ﷻ يقول في سياق الآية: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، و«**ألفىٰ**» في القرآن واللغة لا تأتي إلا في سياق الذم فذمّهم الله ﷻ بعدم العقل.
- وثمة أمر ثالث: أن الله ﷻ شبه أولئك الكفار بقطيع الأغنام التي لا تفقه ما يقول راعيها كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ

﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [سورة البقرة:١٧١]؛ فشبَّههم الله ﷻ بقطيع الأغنام ويكفي من هذا عدم عقل منهم، فقال الله ﷻ في ذلك: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]، فذمهم الله ﷻ بعدم العقل في سياق هذه الآيات.

- أما في آية المائدة: فإن الله ﷻ دعا الكفار إلىٰ ما أنزل الله والرسول ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [سورة المائدة:١٠٤]، فقولهم «حَسۡبُنَا» يعني: يكفينا، فاكتفوا بما عند آبائهم من العلم، فبيّن الله ﷻ أنه ليس عند آبائهم شيءٌ من العلم، وذمّهم الله ﷻ بعدم العلم أصلًا وقال: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [سورة المائدة:١٠٤]، فلما اكتفوا بما عند آبائهم من العلم بيّن الله ﷻ أنه ليس عندهم أصلًا شيءٌ من العلم، وقال الله ﷻ في ذلك ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [سورة المائدة:١٠٤]، فذمّ الله ﷻ الكفار في هاتين الآيتين بعدم العقل وعدم العلم.

ولا ريب أن الذم بعدم العقل أشد قُبحًا من الذمّ بعدم العلم؛ لأن الذي لا يعقل لن يعلم ولن يفهم شيئًا، وهذا جمعٌ للآيتين الكريمتين، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١١) لماذا سميت ثمود بأصحاب الحجر؟

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الحِجر: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠﴾ [سورة الحجر:٨٠]، هذه الآية هي الآية الوحيدة في القرآنِ الكريم التي سمّىٰ الله ﷻ بها قوم صالح عليه السلام بـ«**أصحاب الحجر**»، أما في بقية القرآن الكريم فإن الله ﷻ سماهم بـ«**ثمود**» كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا﴾ [سورة النمل:٤٥].

جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَهُمْ**».

اختلف أهل التأويل في لفظ الحجر:

- فذهبت طائفة إلىٰ أنه اسم للوادي الذي يسكنونه.
- وذهبت طائفة أخرىٰ إلىٰ أنه اسم للمدينة.
- وسُمّيت ثمود بـ«**أصحاب الحجر**» لأن ديارهم كانت منحوتة في الجبال، فكانت حِجرًا محجورًا من أيّ عدو يتربص بهم، فجاء هذا الاسم منسجمًا مع موضوع سورة الحجر، حيث تناولت سورة الحجر موضوع الحفظ، فالمحور العام للسورة: هو الحفظ؛ الحفظ لمن حفظه الله ﷻ:

- فقد حفظ الله ﷻ كتابه كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].
- وحفظ الله ﷻ سماءه كما قال: ﴿وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [سورة الحجر:١٧].
- وحفظ الله ﷻ نبيه عليه السلام من أعدائِه المشركين، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥﴾ [سورة الحجر:٩٥].

أما من أراد الله ﷻ عذابه وعقابه وهلاكه فإنه مهما فعل من الاحتياطات والتدابير الأمنية وتوخِّي الحذر فإنه لن يغنه ذلك من عذاب الله شيئًا، ومن جملة هؤلاء قوم ثمود الذين اتخذوا الحجر مسكنًا لهم فظنوا أنهم بمِعْزَل من عذاب الله ﷻ وبمفازة من عقابه وأليم سُخطه فجاءهم العذاب في عُقر دارهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝٨٣﴾ [سورة الحجر:٨٢-٨٣]، فلم يغنهم الحِجر وهذا الحفظ لأنفسهم من عقاب الله ﷻ، وحاق بهم العذاب في عُقْرِ دارهم كما قال الله ﷻ: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٤﴾ [سورة الحجر:٨٤]، وهذه من لطائف القرآن الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٢) الفرق بين (كُرهًا) و (كَرهًا) في نظم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ [سورة البقرة:٢١٦].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ [سورة النساء:١٩].

- فجاء الفظ في الآية الأولىٰ بضم الكاف: ﴿كُرۡهٞ﴾ [سورة البقرة:٢١٦].
- وجاء في الآية الثانية بفتح الكاف: ﴿كَرۡهٗاۖ﴾ [سورة النساء:١٩].

و«**الكُره**» و«**الكَره**»: مصدران للكلمة، وقد جاء اللفظ في القُرْآنِ الكريم بضم الكاف مرتين وجاء بفتحها خمس مرات، وثمَّة فرقٌ كبيرٌ في المعنىٰ بين هاذين اللفظين، وقبل الدخول والتفصيل في معنىٰ الكلمتين لابد أن أذكر قاعدةً لغوية تقول: «إن النطق بالضم أعم وأوسع من النطق بالفتح أو الكسر».

والتأثير الصوتي يُلقي بظلاله علىٰ معنىٰ الكلمتين ويؤثر تأثيرًا بيانيًا بديعًا في القُرْآنِ الكريم، حيث يقول الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ [سورة البقرة:٢١٦]، فجاء اللفظ بضم الكاف حيث أن «**الكُره**» يضم التعب البدني والتعب النفسي.

ولا ريب أن القتال والجهاد:

- فيه تعبٌ بدني من تنقلاتٍ وما يصاحب ذلك من جوعٍ وعطشٍ وغيره.
- وأَيْضًا يضم تعبًا نفسيًا من قتلٍ أو استشهادٍ أو إصابةٍ أو غير ذلك.

فالكُره بالضم يضم التعب البدني والتعب النفسي، ولا ريب أن هذا المعنىٰ واضحٌ من خلال هذه الآية الكريمة.

ونظيرةٌ لهذه الآية يقول الله ﷻ في الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ [سورة الأحقاف:١٥]، ولا ريب أن الحمل فيه تعبٌ بدني وتعبٌ نفسي.

أما قول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾ [سورة النساء:١٩]، إذ المعنىٰ: أنه لا يجوز أخذ مال المرأة غصبًا وقسرًا عن نفسها إلا عن طيب خاطر، وهذا المعنىٰ واضحٌ جليٌ من خلال النظر لهذه الآية الكريمة.

ونظيرةٌ لهذه الآية يقول الله ﷻ في براءة: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ﴾ [سورة التوبة:٥٣]، وهذا «**الكَره**» يضم التعب النفسي ولا ريب، فمن خلال هذه الوقفة اليسيرة يتبين لنا أن النطق بالضم أعم وأوسع معنىً من النطق بالفتح، وهذا شاهدٌ من كتاب الله ﷻ، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٣) ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ [سورة الأنبياء:٩١]

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ [سورة المؤمنون:٥٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله تبارك وتعالى في شأن مريم وعيسىٰ -عليهما السلام- في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩١].

وقال أَيْضًا فيهما في سورة المؤمنون: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [سورة المؤمنون:٥٠].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين:

- قدَّم الله -جَلَّ شأنه- مريم علىٰ ابنها في سورة الأنبياء وكنَّىٰ فيها بالضمير وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ [سورة الأنبياء:٩١].

وقدَّم عيسىٰ عليه السلام علىٰ أُمِّه في سورة المؤمنون وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [سورة المؤمنون:٥٠].

والقُرْآنُ الكريم يُقدِّم ما له الأهمية والعناية في السياقِ القُرْآني، حيث أن الكلام في سورة الأنبياء علىٰ العابدين الصالحين، حيث قال الله تبارك وتعالى في شأن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٣-٨٤].

فجعل الله عز وجل أيوب ذكرىٰ ودرسًا للعابدين، ثم عطف الله عز وجل علىٰ هذا النبي الكريم مريم -عليها السلام- وكنَّىٰ فيها وقال: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩١]، إذ هي كانت قانتة لله كما قال الله تبارك وتعالى وعابدة لله عز وجل وقد تبتَّلت لله تبارك وتعالى حيث قال لها بَنو إِسْرَائِيل: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [سورة

مريم:٢٨]، فشبَّهوها بهارون في العبادة وقالوا: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [سورة مريم:٢٨].

فكانت مريم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تُطيل العبادة لله ﷻ وكانت تلزم بيت المقدس للعبادة، فعطف الله ﷻ مريم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- علىٰ ذِكر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقدَّمها وقال: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [سورة الأنبياء:٩١].

أما في سورة المؤمنون فالسياق علىٰ إرسال الرسل، حيث ذكر الله ﷻ إرسال نوح فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ [سورة المؤمنون:٢٣]، ثم عطف الله ﷻ وقال: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ [سورة المؤمنون:٤٤]، ثم قال الله ﷻ في إرسال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥﴾ [سورة المؤمنون:٤٥]، ثم عطف الله ﷻ علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذِكر عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [سورة المؤمنون:٥٠]، فقدَّم الله ﷻ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة المؤمنون لأن السياق يتحدَّث عن إرسال الرسل، وعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولًا إلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم﴾ [سورة الصف:٦].

فلما كان الحديث في سورة المؤمنون عن إرسال الرسل قدَّم الله ﷻ ما له العناية في السياق فقدَّم عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ أُمِّه في سياق آية المؤمنون، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٤) ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [سورة الفرقان:١٦]
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [سورة ق:٣٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة الفرقان: ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾ [سورة الفرقان:١٦].

علىٰ حين أن الله يقول في سورة ق: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [سورة ق:٣٥].

كلتا هاتين الآيتين تتحدثان عن الجنة ونعيمها وعن أهلها المتقين، جاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين، قَدَّم الله ﷻ في سورة الفرقان الجار والمجرور «**فيها**» علىٰ الفعل «**ما يشاءون**»، وجاء علىٰ النقيض من ذلك في سورة ق.

والكلمة في القُرْآنِ الكريم المُقدَّمة لها العناية والتركيز والاهتمام في السياق القُرْآني، ذلك أن الحديث في سورة الفرقان عن الجنة وعن نعيمها وما أعدَّه الله ﷻ فيها للمتقين، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ١٦﴾ [سورة الفرقان:١٥-١٦].

فقَدَّم الضمير المتصل في حرف الجر وقال: ﴿لَّهُمۡ فِيهَا﴾ لأن الحديث عن الجنة وعن ما أعدَّه الله ﷻ من نعيمٍ مقيم لأهلها المتقين.

وأما السياق في سورة «**ق**» فإنه يتحدث عن المتقين أنفسهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [سورة ق:٣١-٣٥]، فلما تحدَّث الله ﷻ عن المتقين وعن أوصافهم في سورة «**ق**» قَدَّم الفعل والفاعل في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [سورة ق:٣٥].

فكل كلمة من هاتين الكلمتين نالت حظًا وافرًا من العناية والتركيز والاهتمام في السياق القُرْآني، وذلك توجيهٌ لهذا التقديم والتأخير في القُرْآنِ الكريم والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٥) التوجيه البياني النحوي في آيتي النحل

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [سورة النحل: ٢٤]

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [سورة النحل: ٣٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [سورة النحل: ٢٤].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في أخرىٰ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [سورة النحل: ٣٠].

كلتا هاتين الآيتين في سورة النحل:

- الآية الأولىٰ في شأن الكفار.
- والآية الثانية في شأن المُؤْمِنِيْن.

اختلفت الإجابة بين قولي الكفار والمؤمنين، فجاءت إجابة الكفار بالرفع: ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ﴾ [سورة النحل: ٢٤]، وجاءت إجابة المُؤْمِنِيْنَ بالنصب: ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾ [سورة النحل: ٣٠]، **فما التوجيه البياني النحوي لاختلاف هذا الإعراب؟!**

الكفار لا يرون أن الله ﷻ أنزل علىٰ نبيه شيئًا من السماء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٩١]، وكما قال الله ﷻ: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الملك: ٨-٩].

إذًا الكفار يعتقدون أن ما جاء به النبي ﷺ أساطيرُ الأولين، وأنها أساطيرٌ اكتتبها، وأن النبي ﷺ افترىٰ علىٰ الله كذبًا؛ كما قال الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [سورة الشورى:٢٤].

فجاءت إجابتهم بالرفع: ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ﴾ [سورة النحل:٢٤]، أي: هي أساطير، فـ«**أساطير**»: خبر لمبتدأ محذوف تقديره «**هي**»، فأجابوا بجملة خبرية بما يعتقدون، وذلك أنهم لا يرون أن ما جاء به النبي ﷺ من لدن الله، فـ«**أساطير**»: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي أساطير، وهذه جملة خبرية.

أما قول المُؤْمِنِيْن: فجاءت إجابتهم بالنصب، ذلك أن المُؤْمِنِيْن يعتقدون أن ما جاء به النبي ﷺ من عند الله، كما قال الله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

فجاءت إجابة المُؤْمِنِيْن بالنصب: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ [سورة النحل:٣٠]، و«**خيرًا**»: مفعولٌ به منصوب لفعلٍ محذوف تقديره: أنزل خيرًا، وهذه إجابة من لدن المُؤْمِنِيْن بما يعتقدون أن ما جاء به النبي ﷺ من عند الله ﷻ.

فكلٌ أجاب بما يعتقد، فالكفار أجابوا بالرفع علىٰ أنها جملة اسمية خبرية، والمُؤْمنون أجابوا بالنصب لفعلٍ محذوف تقديره: أنزل خيرًا، وهذا توجيهٌ لهذا الاختلاف النحوي البياني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٦) الحكم الإعرابي في ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [سورة التوبة:٣٩] و ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ [سورة هود:٥٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة براءة: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ﴾ [سورة التوبة:٣٩].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة هود: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ [سورة هود:٥٧].

- جاء الخطاب في الآية الأولىٰ موجَّهًا للمُؤْمِنِيْن بالخروج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك.
- وجاء الخطاب في الآية الثانية موجهًا من هود ﵇ إلىٰ قومه.

– قال الله ﷻ في الآية الأولىٰ: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ﴾ [سورة التوبة:٣٩].

– وقال الله ﷻ في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ [سورة هود:٥٧].

كلا الفعلين فعلٌ مضارع من الأفعال الخمسة سُبق بلا النافية، فجاء الفعل الأول في الآية مجزوماً، وجاء الثاني مرفوعاً، فما سبب الاختلاف في الحكم الإعرابي بين هذين الفعلين؟!

الفعل الأول جاء مجزومًا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، هذا الفعل جاء معطوفًا علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ﴾ [سورة التوبة:٣٩]، والفعل «يستبدل» مجزومًا لأنه وقع جوابًا للشرط في الآية فعُطف عليه في الآية: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [سورة التوبة:٣٩]،

والمعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه، وبالتالي جاء الفعل مجزومًا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

أما في آية هود: فإن الفعل جاء مرفوعًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ [سورة هود:٥٧]، وهذا الفعل معطوف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى﴾ [سورة هود:٥٧]، والفعل «**يستخلف**» مرفوع فعطف عليه: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [سورة هود:٥٧]، واللام هنا من حيث الحكم الإعرابي هي لا النافية، فهي مُهملة من حيث الحكم الإعرابي، فجاء الفعل مرفوع وعلامة رفعة ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، أقول: جاء الفعل مرفوعًا وعلامة رفعة ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، وجاء معطوفًا علىٰ قَوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [سورة هود:٥٧].

وهذا الملمح الإعرابي ينبغي أن ينتبه له حُفَّاظ القُرْآن الكريم حتىٰ يتقنوا حفظهم والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٧) ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [سورة يونس:٧٢]
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [سورة يونس:١٠٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [سورة يونس:٧٢].

في حين يقول الله ﷻ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [سورة يونس:١٠٤]، هاتان الآيتان في سورة يونس.

- جاءت فاصلة الآية الأولىٰ بلفظ ﴿الْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [سورة يونس:٧٢].
- وجاءت الثانية بلفظ ﴿الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [سورة يونس:١٠٤].

فما السر البياني في اختلاف هاتين الفاصلتين؟

بدايةً يقول الإمام ابن بازٍ رحمه الله تعالىٰ: «الْإِسْلَامُ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَإِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا وَإِذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا، وَالْإِسْلَامُ لِلْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَالْإِيمَانُ لِلْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ».

ولفظ «المسلمين»: من الإسلام وهو الاستسلام والانقياد والخضوع والتوحيد لله ﷻ، وهذه اللفظة جاءت في تحدّي نوحٍ لقومه، حيث قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [سورة يونس:٧١]، فقوله: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [سورة يونس:٧١]، هذا استسلام وتسليمٌ للأمر كله لله ﷻ وخضوعٌ وانقيادٌ لله ﷻ، فجاءت هذه اللفظة منسجمة مع ما جاء في هذه الآية.

أما لفظ «الْمُؤْمِنِيْن»: فهو من الإيمان؛ وهو التصديق بالله ﷻ وبما أنزل الله ﷻ، وهذه الفاصلة جاءت في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [سورة يونس:١٠٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ [سورة يونس:١٠٤]، «**الشك**» نقيضه اليقين والتصديق والإيمان، فجاءت هذه اللفظة منسجمة مع معاني هذه الآية، علاوةً علىٰ هذا؛ هذه اللفظة وهو لفظ «**المُؤْمِنِيْن**» جاءت بين ثنايا ألفاظ المُؤْمِنِيْن في أواخر سورة يونس، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة يونس:٩٩-١٠٠].

ثم قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة يونس:١٠٣]، فترددت ألفاظ الإيمان في أواخر سورة يونس، فجاءت هذه اللفظة منسجمة مع هذه السياقات في آخر سورة يونس.

وصفوة هذه الوقفة: أن كل فاصلةٍ انسجمت وتلاءمت مع ما جاءت في آياتها من معاني، وهكذا الفاصلة القُرْآنية تتبع الآية وتتبع معاني الآية، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢١٨) توجيه الآيات المتشابهة في القرآن

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩]

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في الأعراف: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥].

- الآية الأولىٰ جاءت بهذا اللفظ مرةً واحدة.
- والآية الثانية جاءت بهذا اللفظ أربع مرات.

اختلفت الفاصلة بين هاتين الآيتين حيث:

- جاءت الآية الأولىٰ بلفظ: ﴿تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩].
- وجاءت الآية الثانية بلفظ: ﴿تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥].

فما السر البياني في اختلاف الفاصلة بين هاتين الآيتين الكريمتين؟

أما قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩]، هذه الفاصلة جاءت في الحوار الذي دار بين أهل النار في النار، حيث صورَّ لنا القُرْآنُ الكريم لقطاتٍ من الحوار الذي دار بين أهل النار في النار، إذ يقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٨-٣٩].

إذ أنَّ الطائفة الأخرىٰ طلبت من الله ﷻ بأن يضاعف العذاب علىٰ الطائفة الأولىٰ بسبب أنهم ضلُّوا أنفسهم وضلُّوا أقوامًا آخرين، فاكتسبوا ذنوبهم واكتسبوا ذنوب وآثام أقوامٍ آخرين فطلبت الطائفة الأخرىٰ بأن يضاعف هذا العذاب، حيث قالت: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [سورة الأعراف:٣٨].

فجاءت الفاصلة بقوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩]، أي: بما اكتسبتم به آثامكم وآثام أقوامٍ آخرين، فجاءت هذه الفاصلة منسجمة مع معاني هذه الآيات، وهذا جاء عند الاسكافي في «**درة التنزيل وغرة التأويل**».

أما قوله تعالىٰ في الأنفال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥]، والآيات الأُخَر التي جاءت في القُرْآنِ الكريم، هذه الآيات كلها جاءت في سياق أهل الكفر، حيث قال الله ﷻ في الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ [سورة الأنفال:٣٥]، وهذا في شأن كفار أهل مكة: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥]؛ بما جحدتم به آيات الله ﷻ، وكفرتم بما أنزل الله، وكفرتم برسوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥].

فجاءت هذه الفاصلة منسجمة مع معاني هذا السياق، والفاصلة القُرْآنية هي جزءٌ لا يتجزأ من الآية ومن سياق الآية، وهذا من بديع نظم القُرْآن الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد.

(٢١٩) من عظيم النظم القرآني (هدىً ونور) (نورًا وهدىً)

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [سورة المائدة:٤٤]

﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [سورة الأنعام:٩١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة المائدة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

علىٰ حين يقول الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [سورة الأنعام:٩١].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين:

- قَدَّم الله ﷻ «الهُدىٰ» علىٰ «النور» في سورة المائدة.
- وقَدَّم «النور» علىٰ «الهُدىٰ» في سورة الأنعام، فما التوجيه البياني لهذا التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين؟!

الحديث في آية المائدة عن التوراة فقدَّم الله ﷻ «الهُدىٰ»، ذلك أن أنبياء بَنِي إِسْرَائِيل يهتدون بحكمهم في التوراة كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [سورة المائدة:٤٤]، فقدَّم «الهُدىٰ» عنايةً بهذه الكلمة في هذا السياق.

علاوةً علىٰ هذا: التوراة أخص معنىً من الكتاب، إذ أن الكتاب يطلق علىٰ كل كتابٍ أنزله الله ﷻ من السماء، فالتوراة كتاب، والإنجيل كتاب، والقُرْآنُ كتاب، فلما كان الحديث عن الأخص وهو التوراة قدَّم في السياق الأخص وهو «الهُدىٰ»، لأن «الهُدىٰ» أخص معنىً من «النور»، فلما كان الحديث عن الأخص قَدَّم الأخص في سياق آية المائدة.

أما في سورة الأنعام: فقد قدَّم الله ﷻ «**النور**» فيها، ذلك أن السياق يتحدث عن نفي الكفار عن إنزال شيءٍ من السماء من لدن الله ﷻ، فالكفار ينفون بصورة قاطعة أن الله ﷻ أنزل شيئًا من السماء، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٩١]، ولفظ «**شَيْء**» هو أعم كلمةٍ في اللغة العربية.

فلما كان النفي علىٰ سبيل العموم جاء السياق بالألفاظ العامة، وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [سورة الأنعام:٩١]، و«**الكتاب**» أعم لفظًا من «**التوراة**»، ثم قدَّم الله ﷻ في هذا السياق: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الأنعام:٩١]، والنور أعمُّ لفظًا من الهدىٰ.

فكل كلمةٍ من هاتين الكلمتين نالت حظًا وافرًا من العناية بها في هذا التقديم والتأخير، وهذا من بديع نظم القُرْآن الكريم، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٠) الفرق بين (الغَيْبَة ، الغِيْبَة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله -جَلَّ ثناؤه- في سورة النمل: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النمل: ٢٠].

علىٰ حين أن الله يقول في الحجرات: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

فجاء اللفظ في الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النمل:٢٠]، من «**الغَيبة**» بفتح الغَين، ومُفرده: غائب؛ وهو الذي لا يرىٰ بالعين، ونقيضه المُشَاهد لذا قال الله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ﴾ [سورة الأنعام:٧٣].

وجاء اللفظ في الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب﴾ [سورة الحجرات:١٢]، من «**الغِيبة**» بكسر الغَين، وقد عرفها الرسول ﷺ وقال: «**هي ذكرك أخاك بما يكره**»، والغيبة محرمة.

وخلاصة القول بين هذين اللفظين: أن «**الغَيبة**» بفتح الغين هو الذي لا يرىٰ ولا يشاهد، و«**الغِيبة**» بكسر الغَين: هي ذكر المرء بما يسوءُه في ظهر الغيب، و«**الغِيبة**» لا تكون غالبًا إلا في «**الغَيبة**»، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢١) أي التعبيرين أنسب في يوسف عليه السلام (هلك) أو (مات)!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة غافر في شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ [سورة غافر:٣٤]، فجاء التعبير القُرْآني في الآية بقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [سورة غافر:٣٤].

وقُرَّاءُ كتاب الله ﷻ يثيرون تساؤلًا حول هذا اللفظ، ما مدىٰ مدلول هذا اللفظ في سياق هذه الآية؟!

فأقول: إن معرفة معنىٰ الفعل والدلالة البيانية لهذا الفعل من شأنه أن يزول به عجب القارئ، ومن شأنه أن تزول به تساؤلات القُراء لكتاب الله ﷻ، **فما الدلالة البيانية للفعل «هَلَكَ» في القُرْآنِ الكريم؟!**

يأتي «**هَلَكَ**» في القُرْآنِ الكريم علىٰ معنىٰ «**زالَ**» و«**فني**»، كما قال الله ﷻ: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [سورة الحاقة:٢٩]، أي: زال وفنىٰ.

وكما قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [سورة القصص:٨٨]، أي: زائل.

ويأتي الفعل في القُرْآنِ الكريم بمعنىٰ عذَّب وعاقب كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨﴾ [سورة الشعراء:٢٠٨]، أي: عذَّبنا وعاقبنا.

وكما قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]، أي: عاقبنا وعذبنا.

ويطلق الفعل «هَلَكَ» في القُرْآنِ الكريم علىٰ من مات وليس له ذرية وليس له عَقِب، وهذا شأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث عُمِّر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كما عند أهل التأويل: مائة وثلاثين سنة، ومات وليس له عَقِب وليس له ذرية.

ومعلومٌ أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كما جاء في الحديث: «هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم»، فيوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هو سُلالة أنبياء، فلما مات وليس له عقب وهلك زعم الكفار أن النبوة والرسالة انقطعت بعد يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [سورة غافر:٣٤].

وهذا شأن الكفار، فجاء التعبير القُرْآني بأدقِّ صورة وبأوفىٰ تعبير، فقال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [سورة غافر:٣٤]، إذ أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس له عقب وليس له ذرية، وهذا شأن من مات وليس له عقب وليس له ذرية يطلق عليه «هَلَكَ» في تعبير القُرْآن الكريم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [سورة النساء:١٧٦].

وبهذا تتجلىٰ هذه الصورة البيانية البديعة الخلابة لهذا التعبير القُرْآني، ويزول به عجب القارئ، وتزول به التساؤلات حول هذا اللفظ القُرْآني، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٢) المحور العام لسورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في مستهل سورة «ص»: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ [سورة ص:١-٢].

المُتدبر والمُتأمِّل لهذه السورة المكية الكريمة يجد أن هذه السورة تدور وتتمحور حول موضوع الاختصام.

فيجد أن لفظ «الاختصام» وما يشتق عنه يتردد كثيرًا في هذه السورة، حيث استهلَّ الله ﷻ هذه السورة بقوله ﷻ: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ [سورة ص:١-٢].

والشقاق: هو الخلاف والخصومة في مسألةٍ نصَّ عليها الكفار بقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [سورة ص:٥].

ثم تنتقل بنا السورة إلىٰ ذكر الخَصْمَين الذين تسوَّرا المحراب، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ [سورة ص:٢١-٢٢]، ثم قال الله ﷻ فيهم: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [سورة ص:٢٢].

ثم تنتقل بنا السورة إلىٰ خصومة سليمان عليه السلام لجنده لمَّا ألْهَته الخيل عن صلاة العصر فقتلها وقطع سوقها، حيث قال الله ﷻ في هذا المشهد: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ۝٣٣﴾ [سورة ص:٣٢-٣٣]، وهذه خصومة من سليمان لجنده ولرؤساء دولته.

ثم تنتقل بنا السورة إلىٰ لقطاتٍ مهيبة من خصومة أهل النار في النار، حيث قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾ [سورة ص:٦٤].

ثم تنتقل بنا السورة وتسير بنا إلىٰ خصومة الملأ الأعلىٰ وذِكر الخصومة في الملأ الأعلىٰ، حيث قال الله ﷿: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [سورة ص:٦٩].

ثم تنتقل بنا السورة إلىٰ خصومة إبليس في مسألة السجود لآدم ؛، وهكذا نجد أن سورة «ص» تتمحور وتدور وتعالج موضوع الخصومة، وقد بُنيت هذه السورة علىٰ هذا الموضوع كما ذكر ذلك البِقاعي في كتابه «نظم الدرر»، وهذا شأن السور كلها في كتاب الله ﷿ حيث تعالج موضوعات تتبناها سور كتاب الله ﻷ، وهذا من بديع نظم القرآن الكريم، ومن إحكام كتاب ربنا ﷻ، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٣) (شهيدًا بيني وبينكم) (بيني وبينكم شهيدًا)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة «**الإسراء**»: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦﴾ [سورة الإسراء:٩٦].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في سورة «**العنكبوت**»: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾ [سورة العنكبوت:٥٢].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين:

- قدَّم الله ﷻ لفظ ﴿شَهِيدَۢا﴾ [سورة الإسراء:٩٦] في سورة «**الإسراء**».
- وقدَّم الله ﷻ لفظ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [سورة العنكبوت:٥٢] في سورة «**العنكبوت**».

وجاء تقديم لفظ ﴿شَهِيدَۢا﴾ في القرآن الكريم خمس مرات، وجاء تقديم ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ في آية واحدة في «**العنكبوت**»، ومجموع الآيات كلها ست آيات.

والمقصود بـ«**الشهيد**» هو الله ﷻ، والمقصود بلفظ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ هو النبي ﷺ والكفَّار، وحيثما قدَّم القرآن الكريم لفظ ﴿شَهِيدَۢا﴾ فإن الحديث في السياق القرآني علىٰ الشهادة نفسها، كما قال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [سورة الأنعام:١٩]، إذًا الحديث عن الشهادة فقدَّم لفظ ﴿شَهِيدَۢا﴾ في الآية.

ومثله جاء في سورة «**الرعد**» إذ يقول الله ﷻ لمَّا أنكر الكفَّار رسالة رسول الله ﷺ قدَّم لفظ ﴿شَهِيدَۢا﴾ في الآية وقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ [سورة الرعد:٤٣]؛ فردَّ النبي ﷺ بقوله: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [سورة الرعد:٤٣]، الله ﷻ يشهد أني رسولٌ

إليكم، ثم قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣﴾ [سورة الرعد:٤٣]، جاء عند جمهور المفسرين أنه عبد الله بن سلام.

ومثل ذلك جاء في سورة «**الإسراء**» حيث أنكر الكفار رسالة رسول الله ﷺ، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤﴾ [سورة الإسراء:٩٤]، فردَّ النبي ﷺ بأن الله هو الشاهد، ويكفي أنه هو الشاهد علىٰ رسالة رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٩٦﴾ [سورة الإسراء:٩٦].

أما إذا ولَّينا أنظارنا إلىٰ آية «**العنكبوت**» فإنها قدَّمت لفظ ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة العنكبوت:٥٢]، فالسياق القرآني في سورة «**العنكبوت**» يتحدث عن النبي ﷺ بصورة مباشرة وعن الكفار، حيث جاء السياق بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ [سورة العنكبوت:٤٨]، إذًا الكلام علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ الكفار.

ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ﴾ [سورة العنكبوت:٥٠]، ثم قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [سورة العنكبوت:٥١]، لاحظ: ﴿عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [سورة العنكبوت:٥١]؛ إذًا الكلام علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ الكفار بصورة مباشرة وبتركيز أكبر في آية «**العنكبوت**».

ثم قال الله ﷻ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [سورة العنكبوت:٥٢]:

- فحيثما قدَّم القرآن لفظ ﴿شَهِيدًا﴾ فإن الكلام علىٰ الشهادة نفسها، وجاء ذلك في خمس آيات.

- وحيثما قَدَّم القرآن الكريم لفظ ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فإن الحديث علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ الكفار بصورة أكبر، وهذه آية وحيدة في كتاب الله ﷻ.
- هذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، والله أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٤) الفرق بين القرية والمدينة في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله ﷻ في سورة «يوسف»: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف:٨٢].

- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول فيها أيضًا: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [سورة يوسف:٣٠].

- فجاءت الآية الأولىٰ بكلمة ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف:٨٢].
- وجاءت الآية الثانية بكلمة ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة يوسف:٣٠]، وثمَّة فرقٌ في التعبير القرآني بين هاتين الكلمتين:

كلتا الكلمتين ترجعان إلىٰ مسمىٰ واحد؛ وهي: مِصر، لكن التعبير القرآني يزاوج بين هذه الألفاظ فيأتي باللفظ لمناسبة السياق القرآني.

- أما لفظ ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ فسُمِّيت «قَرْيَة» لأمرين -كما قال أهل التأويل وكما جاء ذلك عند أهل اللغة-:

١. فالقرية سُميت «قَرْيَة» من قِرىٰ، وهو الكرم، والقُرىٰ والقرية غالبًا يُكرمون الداخلين عليهم، لذلك سُموا «قَرْيَة»، وهذه لغة أهل حِميَر، فيسمون القرية قِرية لأن أهلها يكرمون الداخلَ عليهم، وهذ نلمسه في كتاب الله ﷻ من قول الله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف:٨٢]، فأهل القرية أكرموا إخوة يوسف، يوسف عليه السلام أكرم إخوته؛ لذلك قالوا: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف:٨٢].

ويوسف كما أسلفت أكرم إخوته بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾ [سورة يوسف:٥٩]؛ أي: خير المضيِّفين وخير المُكرِمين، فيوسف أكرم إخوته؛ لذلك قالوا: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف:٨٢].

وأيضًا هذا المعنىٰ نلمسه من قول الله ﷻ في سورة «**الكهف**»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٧]؛ أي: طلبوا منهم الطعام، فظنوا أنهم سيُكرمونهم ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [سورة الكهف:٧٧]؛ إذًا سُميت «**قَرْيَة**» من قِرىٰ؛ لأن أهل القرىٰ يكرمون الداخل عليهم.

٢. كذلك سميت «**قَرْيَة**» لأن أهلها مجتمعون فيها، وهذا جاء عند ابن فارس في «**مقاييس اللغة**»، فقال: «**سُميت قرية لاجتماع أهلها فيها، من قَرَيْت الماء إذا جمعته**».

وهذا نلمسه من قول الله ﷻ في غيرِ ما آية من كتابه ﷻ، كما قال الله ﷻ في «**يس**»: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ [سورة يس:١٣].

وأما المدينة فسميت «مدينة» لأمرين أيضًا:

- فسميت مدينة لاتساعها وانتشارها، وهذا نلمسه من قول الله ﷻ في سورة «**يوسف**»: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة يوسف:٣٠]؛ لم يقل: قرية؛ لأن الخبر الذي تحدَّثت به النسوة انتشر في المدينة واتسع، والخبر: هو أن امرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه وغلَّقت الأبواب، مع أنها حاولت التعتيم علىٰ هذا الخبر وتكتيم هذا الخبر إلا أن الخبر انتشر واتسع فجاء التعبير القرآني بأوفىٰ صورة، وقال الله ﷻ في الآية: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة يوسف:٣٠]؛ إشارة إلىٰ أن الخبر انتشر فيها واتسع.

وأيضًا هذا نلمسه من قول الله ﷻ في «**يس**»، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠]، فسمَّاها «**مَدِينَة**»، مع أنَّ في أول القصة سُميت «**قَرْيَة**»: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم

﴿مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [سورة يس:١٣]، ثم جاء التعبير القرآني بكلمة «المَدِيْنَة» وقال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠]، هذا الخبر انتشر في المدينة، وهذا الرجل الذي جاء يسعىٰ إلىٰ الرسل هو «حبيب يس»، كما جاء عند أهل التأويل: «كَانَ يَعْبُدُ اَللّٰهَ فِي صَوْمَعَةٍ فَسَمِعَ بِالْخَبَرِ وَجَاءَ يَسْعَىٰ» فحتىٰ أصحاب الصوامع سمعوا بالخبر؛ دلالة علىٰ أن الخبر انتشر واتسع فقال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة يس:٢٠].

- والمدينة سميت «مَدِيْنَة» أيضًا عند أهل اللغة وعند أهل المعاجم: من مَدَنَ إذا أقام واستقر فيها، من الإقامة والاستقرار، وهذا أيضًا نلمسه من قول الله ﷻ في الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [سورة الكهف:٨٢]، فسمَّاها «مَدِيْنَة»، مع أن في أول القصة سُميت قرية، كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ [سورة الكهف:٧٧]، أقام هذا الجدار وأقرَّ هذا الجدار فتبدَّل اللفظ في الآية الثانية، وقال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [سورة الكهف:٨٢]؛ لم يقل في القرية، إنما قال: ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [سورة الكهف:٨٢]؛ لأن هذا الجدار أُقيم وأُقر في المدينة.

وهذا من علو التعبير القرآني، فلا مكان للترادف في كتاب الله ﷻ، ولا مكان لهذه الألفاظ المترادفة في القرآن الكريم، إنما لكل كلمةٍ معنىٰ، ولكل كلمةٍ سياق، فظاهر هذه الألفاظ الترادف وباطنها الاختلاف، كما ترون، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٥) الفرق بين (قوم موسى) و (أصحاب موسى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله ﷻ في سورة «**الأعراف**»: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [سورة الأعراف:١٤٨].

- وقال ﷻ في ثانية: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٩].

- وقال الله ﷻ في ثالثة: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [سورة القصص:٧٦].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في «**الشعراء**»: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الشعراء:٦١].

فجاءت الآيات الثلاث الأول بقوله تعالىٰ: ﴿قَوْمِ مُوسَىٰ﴾، وجاءت آية «**الشعراء**» بقوله: ﴿أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾، **فما التوجيه البياني لاختلاف هذه الألفاظ بين هذه الآيات؟**

«**القوم**» إذا أُطلق هذا اللفظ فإنه يُراد به الرجال والنساء علىٰ حدٍّ سواء، إلا ما جاء في سورة «**الحجرات**»، والأنبياء تنتسب إلىٰ أقوامها، فموسىٰ عليه السلام ينتسب إلىٰ بني إسرائيل إلىٰ قومه، ونوح عليه السلام ينتسب إلىٰ قومه، وإبراهيم عليه السلام ينتسب إلىٰ قومه، وهكذا بقية الأنبياء ينتسبون إلىٰ أقوامهم.

فبيَّن الله ﷻ أن قوم موسىٰ بعد ذهابه إلىٰ ربه عبدوا العجل واتخذوه إلهًا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [سورة الأعراف:١٤٨]، وهذا علىٰ سبيل النسب والانتساب.

وبيَّن الله ﷻ أيضًا أن ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٩]، وهذا علىٰ جهة النسب أيضًا.

وقال الله ﷻ مبينًا حالَ قارون وأنه من قوم موسىٰ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ [سورة القصص:٧٦]، فقارون من بني إسرائيل من قوم موسىٰ، وهذه الآية علىٰ جهة النسب.

أما قول الله ﷻ في «**الشعراء**»؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة الشعراء:٦١]، «**الصاحب**»: هو الذي لازم صاحبه مدةً طويلة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ [سورة التكوير:٢٢]، و«**الصاحب**» يقع بينه وبين صاحبه من الود والصفاء والمحبة والإخلاص ما يظهر ذلك في الأزمات والمواقف العصيبة الشديدة.

ولمَّا أمر الله ﷻ كليمه ونبيه موسىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ بالخروج من مصر صاحبه قومه بنو إسرائيل، فصاحبوه بالخروج، ولمَّا تراءىٰ الجمعان ورأىٰ كل منهم الآخر، هذا الموقف من أشد المواقف علىٰ بني إسرائيل، فهو من أشد المواقف وأحلك الظروف والأزمات، هنا أظهرَ بنو إسرائيل من الصحبة والود والصفاء والإخلاص لنبيهم موسىٰ.

﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ [سورة الشعراء:٦١]، فاستعانوا بموسىٰ بأن يكون سببًا في نجاتهم من بطش فرعون، فقال الله ﷻ: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة الشعراء:٦١]، فكل لفظ جاء في مقامه وفي سياقه، وجاء منسجمًا مع آيته، والمعنىٰ العام والجو العام للآية المذكور بها.

فقول الله ﷻ: ﴿قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ جاء علىٰ سبيل النسب في ثلاث آيات، وقول الله ﷻ: ﴿أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة الشعراء:٦١]؛ لمَّا صاحب بنو إسرائيل موسىٰ في خروجه من مصر جاء هذا اللفظ منسجمًا مع هذا المعنىٰ العام لهذه الآية.

فكل لفظ جاء مناسبًا لسياقه، وهذا توجيهٌ لهذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، ويبين ذلك علو منزلة التعبير القرآني، والله ﷻ أعلم بمُراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٦) متى يقول القرآن ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ و ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في «سورة البقرة»: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [سورة البقرة:١١٦].

علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في «يونس»: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [سورة يونس:١٨].

فجاءت الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ [سورة البقرة:١١٦]، وجاءت الآية الثانية بقوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ [سورة يونس:١٨]، وتتردد هذه الآيات الكريمة في كتاب الله ﷻ ويُتساءل عنها كثيرًا، فما التوجيه البياني لاختلاف هذه الآيات في كتاب الله ﷻ؟

أما «سبحان»: فَهُوَ تَنْزِيهٌ لِلَّهِ ﷻ عَنْ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَعَنْ الْأَوْهَامِ الْكَاذِبَةِ وَالظُّنُونِ الْفَاسِدَةِ، وَالتَّسْبِيحُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ التَّوْحِيدِ، بِهِ يُعَظِّمُ اللهُ ﷻ.

جاء عند الزجَّاج: «سُبْحَانَ مَصْدَرٍ لِفِعْلٍ مَحْذُورٍ تَقْدِيرُهُ: سَبِّحْ» و«سبحان» هذا اللفظ لا يأتي في القرآن الكريم إلا مضافًا.

وأما «تعالىٰ»: «فَهُوَ مِنْ التَّعَالِي وَالِارْتِفَاعِ» كما عند ابن منظور في «لسان العرب» وعند غيره.

وإذا تأمَّلنا كتاب الله ﷻ وأجرينا عليه مَسْحَةً سريعة وجدنا الآيات التي فيها قول الله ﷻ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾، تتحدث عن نسبة الولد لله ﷻ.

فقد كَذَبَ بنو آدم علىٰ الله، وكَذَبَ الكفَّار علىٰ الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [سورة البقرة:١١٦]، كما قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ ولَمْ يَكُنْ له ذَلكَ»، فلما نسب

الكفار الولد لله ﷻ جاء القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾[سورة البقرة:١١٦]، كما قال ﷻ في «سورة البقرة»: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [سورة البقرة:١١٦].

وقال الله ﷻ في «يونس»: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ [سورة يونس:٦٨].

وقال الله ﷻ في «سورة الأنبياء»: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [سورة الأنبياء:٢٦].

وقال الله ﷻ في «النحل»: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ [سورة النحل:٥٧].

وقال ﷻ في «مريم»: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ [سورة مريم:٣٥].

وقال الله ﷻ في «الزمر»: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [سورة الزمر:٤].

إذًا في سياق نسبة الولد لله ﷻ جاء الرد من الله ﷻ بالتنزيه لله ﷻ بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾، فنسبة الولد لله نقص وعيب، فجاء الرد من الله ﷻ بقوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾.

أما قوله ﷻ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾، فإن هذه الآية تأتي في سياق نسبة الشريك والند لله ﷻ، فلمَّا نَسَبَ الكفَّار الشريك لله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾، كما جاء ذلك في «سورة يونس»: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [سورة يونس:١٨].

وقال الله ﷻ أيضًا في «الأنعام»: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [سورة الأنعام:١٠٠].

وقال الله ﷻ في «الروم»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾ [سورة الروم:٤٠].

وقد نهىٰ الله ﷻ نبيه عن الشرك، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٥-٦٧].

والشرك أعظم ذنب عُصي الله به في الأرض؛ لذلك جاء قوله تعالىٰ في سياق الشرك: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾، وهذا توجيه لهذه الآيات المتناظرة المتشابهة في كتاب الله ﷻ، والله ﷻ أعظم وأعلم بمُراده، والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٧) الفرق بين (الفرار) و (الهرب) في تعبير القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله ﷻ في «سورة الشعراء» علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [سورة الشعراء:٢١].
- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في «سورة الجن»: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الجن:١٢].

- فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ: «الفِرار».
- وجاءت الآية الثانية بلفظ: «الهَرَب».

وثمَّة فرقٌ بين هاتين الكلمتين في الدلالة البيانية لهم، إذ أنه لا مكان للترادف في كتاب الله ﷻ ، فكل لفظة من هاتين الكلمتين لها معنىً خاصٌ بها.

أما «الفِرار» فقد جاء في «تاج العروس» للزبيدي إذ يقول: «الفِرار -بالكسر- الرَوغان من شيءٍ خافه»، إذن «الفِرار» يكون من خوف كما قال الله ﷻ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [سورة الشعراء:٢١]، والخوف يكون لهدف السلامة والنجاة، فموسىٰ عليه السلام خاف من فرعون بغاية النجاة والسلامة، ويقول الله ﷻ أيضـًا: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [سورة الجمعة:٨]، ولا ريب أن الإنسان بفطرته يخاف من الموت.

وكل ألفاظ «الفرار» جاءت في القرآن الكريم مُعدَّاةٌ بحرف الجر «مِنْ» كما قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة عبس:٣٤]، وقال الله ﷻ: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [سورة الكهف:١٨]، وقال الله ﷻ أيضـًا: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ [سورة الجمعة:٨]، سوىٰ آيةٍ في القرآن الكريم جاءت مُعدَّاةٌ بحرف الجر «إلىٰ» حيث يقول الله

تبارك وتعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة الذاريات:٥٠]، فالإنسان في الأصل أنه يخاف من شيءٍ فيفِر منه كما قال الله جل جلاله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ [سورة الجمعة:٨].

أما في آية قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة الذاريات:٥٠]، فالإنسان يخاف ويفر إلىٰ الله، يفر إلىٰ الله بعبادته وطاعته وإخلاصه وتوحيده وبعمله للصالحات الباقيات، فلا منجىٰ ولا ملجأ إلا إلىٰ الله، فالفِرار يوم القيامة إلىٰ الله تبارك وتعالى، وأيضـًا «**الفرار**» في الأصل أن يكون في الدنيا إلىٰ الله جل جلاله، فالإنسان يتقرَّب إلىٰ الله جل جلاله بسائر العبادات لذا جاء التعبير القرآني بأدقِّ وأوفىٰ صورة فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة الذاريات:٥٠].

أما «**الهرب**» فلا يكون إلا من عجز، وقد جاء «**الهرب**» في القرآن الكريم مرةً واحدة، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾ [سورة الجن:١٢]، فالهرب يكون من عجز، فإذا عجز الإنسان تخلىٰ عن شيءٍ وهرب منه، وهذا توجيهٌ لهذين اللفظين في كتاب الله جل جلاله:

- «**الفِرار**» جاء في القرآن الكريم ثماني مرات بصيغٍ مختلفة.
- وأما «**الهَرَب**» فقد جاء في القرآن الكريم مرةً واحدة.

وهذا توجيهٌ لهذين اللفظين في كتاب الله تبارك وتعالى، ولا مكان للترادف في القرآن الكريم، والله أعلم وصلىٰ وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٨) التوجيه البياني في: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [سورة هود:٢٧] ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [سورة الشعراء:١١١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في قصة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في «سورة هود» حكايةً عن قوم نوح، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [سورة هود:٢٧]، علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في القصة نفسها في «سورة الشعراء»: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [سورة الشعراء:١١١]، فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ: «أراذل» وجاءت الآية الثانية بلفظ: «الأرذلون».

و«الأراذل والأرذلون»: اسم تفضيل مفرده «أرذل»، والأصل «رَذَل» وهم ضعفاء الناس وسفلة المجتمع، كما جاء ذلك عند أهل التأويل.

فجاءت الآية الأولىٰ بلفظ: «أراذل» جاء هذا اللفظ مضافًا، وهو جمع تكسير، وأما آية الشعراء فجاءت بجمع المذكر السالم المقطوع من الإضافة بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾، **فما التوجيه البياني والدلالة البيانية لهذين الجمعين في كتاب الله ﷻ؟**

دعوة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في «سورة هود» جاءت في مهدها وفي بدايتها، وجاءت في أول الدعوة، بدلالة قول الله ﷻ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [سورة هود:٢٧]، فقوم نوح يقولون لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تغتر بأتباعك، فهم سفلة المجتمع، وهذا في بادي الرأي، أي: في بداية الدعوة.

فلما كان الأمر في بداية الدعوة كان لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتباع، غير أن هؤلاء الأتباع كانوا عددًا بسيطًا ونزْرًا قليلاً، بدلالة قول الله ﷻ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [سورة هود:٢٧]، فجاء جمع التكسير مضافًا، و«**الإضافة من قواعدها في اللغة العربية: أنها تفيد التحديد والتعيين والتقليل**»، وذلك في بداية دعوة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان أتباعه عددًا قليلاً.

غير أن هؤلاء الأتباع كَثُرَ عددهم في «**سورة الشعراء**»، فقد قال الله ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [سورة الشعراء:١١١]، فـ«**الأرذلون**»: جمع مذكر سالم جاء مقطوعًا من الإضافة، وهذا الجمع يفيد أن العدد أصبح له كِيان، وأصبح له وجود، فاعترف قوم نوحٍ بدعوة نوح وقالوا: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ﴾ [سورة الشعراء:١١١]؛ أي: إن عندهم استعداد للإيمان والدخول في دعوته، غيرَ أن المانع هؤلاء الأرذلون.

فلما كان «**الأرذلون**» عددٌ كثير جاء اللفظ مقطوعًا من الإضافة بصيغة جمع المذكر السالم، وهذا توجيه لهذين الجمعين في كتاب الله ﷻ:

-فلمَّا كان العدد قليلاً جاء بصيغة التكسير مضافًا.

-ولما مضىٰ علىٰ الدعوة عهدٌ طويلٌ ممتد وكَثُرَ أتباع نوح وأصبح لهؤلاء الأتباع وجود وكيان جاء اللفظ مقطوعًا من الإضافة بصيغة جمع المذكر السالم، وهذا توجيهٌ لهذين الجمعين، والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٢٩) ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [سورة الأنعام:١٥١]
﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [سورة الأنعام:١٥٢]
﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في أواخر سورة «**الأنعام**»: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [سورة الأنعام:١٥١].

- في حين يقول الله ﷻ في ثانية: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ [سورة الأنعام:١٥٢].
- وقال في ثالثة: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

هذه ثلاث وصايا، وصّىٰ الله ﷻ بها عباده المؤمنين:

الوصية الأولىٰ اشتملت علىٰ خمسة أمور عظيمة كبيرة:

- منها: الشرك بالله.
- ومنها: عقوق الوالدين، وقتل النفس.

والواقع بمثل هذه الأمور ومرتكب هذه الأمور مخالفٌ للفِطَر السويَّة السليمة وللعقول البشرية، فالعقل البشري يأبىٰ الشرك، والعقل البشري ينفي عقوق الوالدين، والعقل البشري يتبرأ من القتل؛ لذلك قال الله ﷻ في نهاية الآية: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [سورة الأنعام:١٥١].

وإذا مررنا علىٰ الوصية الثانية: وجدنا أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢] إلىٰ آخر الآية.

ومرتكب هذه الأمور والواقع فيها يحتاج إلىٰ زجر وإلىٰ اتِّعاظ، وإلىٰ تذكُّر، فوصَّاهم الله ﷻ بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ [سورة الأنعام:١٥٢].

ثم ذكر الله ﷻ الوصية الثالثة، وهي: اتباع دينه القويم، وسلوك صراطه المستقيم، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]؛ وهي الأديان الأخرىٰ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، ومن يتبع سبيل الله ﷻ؛ ومن يتبع دينه القويم ويمتثل أمر الإسلام، هذا هو مِلاكُ التقوىٰ؛ كُلَّ التقوىٰ؛ لذلك قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

فكل فاصلة من هذه الفواصل انسجمت مع ما جاءت بها من الآيات، فالفاصلة القرآنية تُتم الآية وتكمل معنىٰ الآية، وهذا من بديع نظم القرآن الكريم.

والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

٢٣٠) الفرق بين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر:١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

- يقول الله جلَّ ثناؤه في سورة «**الأنعام**»: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

- علىٰ حين أن الله ﷻ يقول في «**الزمر**»: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر:١٨].

- ففي الآية الأولىٰ لم يذكر مفعولَ الفعل، وإنما قال: ﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].
- وفي الآية الثانية ذكر مفعول الفعل؛ وهو «**الضمير المتصل**»: «**الهاء**» وقال:

﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزمر:١٨]، **فما التوجيه البياني لهاتين الآيتين في كتاب الله ﷻ؟**

بداية: عندنا قاعدةٌ بيانية لُغوية تقول: «**إِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَفْعُولَ اَلْفِعْلِ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ اَلشُّمُولِ وَالْعُمُومِ وَعَدَمِ التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ، وَإِذَا ذَكَرَ مَفْعُولَ اَلْفِعْلِ فِي اَلْآيَةِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اَلتَّقْيِيدِ وَعَلَىٰ اَلْقَصْرِ وَالْحَصْرِ**».

وإذا تأمَّلنا في سياق الآيتين:

- وجدنا أن الآية الأولىٰ؛ الله ﷻ يُثني بها علىٰ أنبياءه، وعلىٰ أصفياءه عامة، وقد وصَّىٰ الله ﷻ نبيه الكريم بأن يقتدي بهداهم؛ حيث قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، وهم الأنبياء عامة، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، فقبل هذه الآية جاء ذِكرٌ للأنبياء، ثم وصَّىٰ الله ﷻ نبيه وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، والمقصود بهذه الآية: الأنبياء عامة ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، فلمَّا قصد الأنبياء علىٰ وجه الإطلاق عمَّم ولم يذكر الفعل، وقال: ﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

- علىٰ حين أن آية «**الزمر**» المقصود فيها ثلاثة من الصحابة، وهم: «**زيد بن عمرو**» و«**أبو ذر**» و«**سلمان الفارسي**» فلمَّا كان المقصود بهذه الآية ثلاثةً من الصحابة قيَّد في

الآية وذكر مفعولَ الفعل الذي يدل علىٰ الحصر والقصر وقال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الزمر:١٨].

والآية المقصود بها -كما ذكرت-: ثلاثة من الصحابة، فقيَّد الله ﷻ في الآية، وذكر مفعول الفعل، وهذا من بديع النظم القرآني.

وقد جاء عند ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره قال: «**والصحيح: أنها عامة للخلق أجمعين**».

والله أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

(٢٣١) ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٧٣]
﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [سورة النحل:١١٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يقول الله ﷻ في سورة «**البقرة**»: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٧٣].

في حين يقول الله ﷻ في سورة «**النحل**»: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [سورة النحل:١١٥].

فجاء التقديم والتأخير بين هاتين الآيتين:

- قدَّم الله ﷻ في «**البقرة**» وقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٧٣].
- وقدَّم في «**النحل**» وقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [سورة النحل:١١٥].

آية «**البقرة**» جاءت وحيدة في القرآن الكريم، وآية «**النحل**» ترددت في القرآن الكريم ثلاث مرات: جاءت في سورة «**المائدة**» و«**الأنعام**» و«**النحل**»، **فما التوجيه البياني لهذا التقديم والتأخير في القرآن الكريم؟**

القرآن الكريم يُقدِّم ما له العناية والأهمية في السياق، ومعنىٰ قوله تعالىٰ في «**النحل**»: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [سورة النحل:١١٥]؛ أي: ما رُفع الصوت بذبحه للأصنام، فهذه الآية صَرفت عبادات إلىٰ غير الله ﷻ؛ لذا نجد أن هذه الآية في سياق السور الثلاث جاءت بين ثنايا آيات تُحل ما حرَّم الله، وتحرم ما أحلَّ الله، كما قال الله ﷻ في سورة «**المائدة**» في ثنايا آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [سورة المائدة:١]، ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [سورة المائدة:٤].

وإذا نظرنا إلىٰ آية «**الأنعام**» وجدنا أنَّ قبلها يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣]، ثم يقول الله ﷻ بعدها: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [سورة الأنعام:١٤٦].

وإذا نظرنا إلىٰ آية «**النحل**» وجدنا أنَّ قبلها يقول الله ﷻ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [سورة النحل:١١٤]، وقال الله ﷻ بعدها: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [سورة النحل:١١٦].

إذًا هذه الآية التي هي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [سورة المائدة: ٣، سورة الأنعام:١٤٥، سورة النحل:١١٥]؛ جاءت بين ثنايا آياتٍ حرَّم الكفَّار فيها ما أحلَّ الله وأحلُّوا ما حرَّم الله، وهذه الآية ناسبت سياق السور الثلاث؛ لأن معناها: هي عباداتٌ صُرفت لغير الله ﷻ، وعُبد بها غيرَ الله ﷻ، فجاءت هذه الآية لتناسب سياق السور الثلاث.

أما في سورة «**البقرة**» فقد قدَّم الله ﷻ ﴿بِهِۦ﴾ [سورة البقرة:١٧٣] الجار والمجرور، والضمير ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ إلىٰ الطيبات التي أحلَّ الله ﷻ لعباده، كما قال الله ﷻ في «**البقرة**» قبل الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة:١٦٨]، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٧٢].

إذًا هذه الآية جاءت بين ثنايا آياتٍ وطيباتٍ أحلَّ الله ﷻ لعباده المؤمنين، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٧٣]، والضمير في الآية راجعٌ إلىٰ الطيبات التي أحلَّ الله ﷻ لعباده المؤمنين، كما قال أهل التأويل عند هذه الآية.

فكل آية ناسبت سياقها، وهذا توجيهٌ لهذا التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

والله ﷻ أعلم بمراده، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	**التنكير والتعريف في (البلد) بدعوة إبراهيم عليه السلام**	**٢**
٢	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٥]، **وقوله:** ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٠٠]	**٣**
٣	﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ [سورة الأنبياء:٧٠]، **وقوله:** ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾ [سورة الصافات:٩٨]	**٥**
٤	**بعض مواطن تقديم الجن على الإنس في التنزيل**	**٦**
٥	**بعض مواطن تقديم الإنس على الجن في القرآن الكريم**	**٨**
٦	**(ولكن أنفسهم يظلمون) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)**............................	**١٠**
٧	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٩]، **وقوله:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [سورة طه:١٠٥]	**١٣**
٨	﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [سورة الطلاق:٧]	**١٤**
٩	﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥] ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [سورة البقرة:٥٨]............................	**١٦**
١٠	﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [سورة البقرة:١٣٦] ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [سورة آل عمران:٨٤]	**١٧**
١١	**(قسط) و (أقسط) في التعبير القرآني**	**١٩**
١٢	﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ [سورة البقرة:٩٥] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [سورة الجمعة:٧]	**٢١**
١٣	﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ﴾ [سورة البقرة:٨٠] ﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٤]	**٢٣**

١٤	﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة هود:٢٠] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة العنكبوت:٢٢]	**٢٥**
١٥	﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٧٩] ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [سورة الأعراف:٩٣]..................	**٢٧**
١٦	﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣] ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]	**٢٩**
١٧	﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الأعراف:٧٨،سورة الأعراف:٩١] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة هود:٦٧]	**٣١**
١٨	﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٩] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزخرف:٧٣]	**٣٣**
١٩	﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة آل عمران:٩٤] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سورة الأعراف:٣٧]	**٣٥**
٢٠	﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:٤٥] ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٥٣].........	**٣٧**
٢١	﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ [سورة البقرة:٦٠]، **وقوله:** ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ﴾ [سورة الأعراف:١٦٠]................................	**٣٩**
٢٢	﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة:٥٨]، **وقوله:** ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٦١]	**٤١**
٢٣	**(الغرور) بضم الغين وفتحها**	**٤٣**
٢٤	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢]، وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ	

	﴿أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: ١٤]	٤٥
٢٥	(ذلك ، ذلكم) في تعبير القرآن الكريم	٤٧
٢٦	(خالدين فيها أبدا) في سياق أهل الجنة والنار	٤٩
٢٧	السر البياني في قوله تعالىٰ في التغابن: (يكفر عنه سيئاته)	٥٠
٢٨	(خالدين فيها)، (خالدًا فيها)	٥٢
٢٩	﴿فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ [سورة البقرة:٢٣٤]، ﴿فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠]	٥٤
٣٠	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١١٢]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [سورة الأنعام:١٣٧]	٥٦
٣١	(الملكوت) و (الملك) في تعبير القرآن	٥٨
٣٢	﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ [سورة البقرة:٢٣٦] و ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [سورة البقرة:٢٤١]	٦٠
٣٣	﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة آل عمران:٤٩] و ﴿فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ [سورة المائدة:١١٠]	٦١
٣٤	﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [سورة الأعراف:٨٥] و ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ [سورة الشعراء:١٧٧]	٦٣
٣٥	﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ [سورة الحج:٥] و ﴿تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ [سورة فصلت:٣٩]	٦٥
٣٦	﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾ [سورة المائدة:٣٠] و ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾ [سورة يوسف:١٨]	٦٧
٣٧	﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢] ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾ [سورة المائدة:١١١]	٦٩
٣٨	﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ [سورة المائدة:١٤] و ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ [سورة المائدة:٦٤]	٧١
٣٩	(ولا هم ينصرون) (ولا هم ينظرون)	٧٤

٤٠	(رب) و (ربي)	٧٧
٤١	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾	٧٩
٤٢	(الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون) في المائدة	٨١
٤٣	رسم المصحف في لفظ (الميعاد)	٨٣
٤٤	معاني «اللسان» في القرآن الكريم	٨٥
٤٥	(وبئس مثوى الظالمين) و (فبئس مثوى المتكبرين)	٨٦
٤٦	﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٥١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة الزخرف:٦٤]	٨٨
٤٧	لم يقل موسىٰ وإبراهيم (وما أسألكم عليه من أجر)	٩٠
٤٨	﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝٩١﴾ [سورة يوسف:٩١] ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝٩٧﴾ [سورة يوسف:٩٧]	٩١
٤٩	﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ [سورة غافر:٢٤] ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ [سورة العنكبوت:٣٩]	٩٣
٥٠	﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [سورة البقرة:١٨٧] ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [سورة البقرة:٢٢٩]	٩٥
٥١	الفرق بين الفعلين (ليقولنّ) بضم اللام وفتحها	٩٨
٥٢	(هم الأخسرون) (هم الخاسرون)	١٠٠
٥٣	﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١﴾ [سورة الكهف:٧١] ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٤﴾[سورة الكهف:٧٤]	١٠٣
٥٤	﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ [الكهف: ٧٢] ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾ [سورة الكهف:٧٥]	١٠٥
٥٥	(حيث) و (من حيث) في تعبير القرآن الكريم	١٠٧
٥٦	﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [سورة يونس:٣٣]	

	﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [سورة غافر:٦]	١١٠
٥٧	﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ [سورة الأنعام:١١] ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ [سورة الروم:٤٢]	١١٢
٥٨	(وكلا منها رغدا) و (فكلا من حيث شئتما)	١١٤
٥٩	تقديم الليل علىٰ النهار	١١٧
٦٠	تقديم الموت علىٰ الحياة في جميع القرآن	١١٨
٦١	تقديم الأكل علىٰ الشرب	١١٩
٦٢	إعادة اسم الموصول (ما في السموات وما في الأرض)	١٢٠
٦٣	﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سورة مريم:٣٧] ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [سورة الزخرف:٦٥]	١٢٣
٦٤	﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ [سورة مريم:١٥] و ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [سورة مريم:٣٣]	١٢٥
٦٥	﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨] ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٥٢]	١٢٧
٦٦	اختصاص دعوة لوط بقوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ [سورة الأعراف:٨٠]	١٢٩
٦٧	التماثل في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ [سورة آل عمران:٥٩]	١٣٠
٦٨	(تستطع ، تسطع) (اسطاعوا ، استطاعوا)	١٣١
٦٩	﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة يونس:٦١] ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة سبأ:٣]	١٣٣
٧٠	آيات الليل تختم غالبًا بالسمع	١٣٥
٧١	﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [سورة الروم:٤٦] ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [سورة الجاثية:١٢]	١٣٦
٧٢	﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [سورة الكهف:٢٦] ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [سورة مريم:٣٨]	١٣٨
٧٣	﴿بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [سورة يونس:٣٨]	

	﴿بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [سورة هود:١٣]	١٤٠
٧٤	﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ [سورة الحديد:١٢] و ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ﴾ [سورة التحريم:٨]	١٤٢
٧٥	﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ **و** ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾	١٤٤
٧٦	﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٩] ﴿مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]	١٤٦
٧٧	**الدلالة البيانية لرسم المصحف لكلمة (السموات) ....**	١٤٨
٧٨	**(إن هم إلا يخرصون) (إن هم إلا يظنون) ....**	١٥٠
٧٩	﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [سورة التوبة:٩٤] ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [سورة التوبة:١٠٥]	١٥٢
٨٠	**الدلالة البيانية لكلمة (الواحد) في القرآن ....**	١٥٤
٨١	**الدلالة البيانية لكلمة (الفرد) في القرآن ....**	١٥٧
٨٢	**فضل شهر (رمضان) في القرآن ....**	١٥٨
٨٣	**لفظ (القرآن) هو اللفظ الوحيد في البقرة ! ....**	١٥٩
٨٤	﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [سورة هود:٢٩] ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [سورة هود:٥١]	١٦٠
٨٥	﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ [سورة الإسراء:٩٩] ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾ [سورة يس:٨١]	١٦٢
٨٦	**(إنه هو السميع البصير) (إنه هو السميع العليم) ....**	١٦٤
٨٧	**الدلالة البيانية لكلمة (عمل) في القرآن ....**	١٦٦
٨٨	**الدلالة البيانية لكلمة (فعل) في التعبير القرآني ....**	١٦٨
٨٩	**الدلالة البيانية لكلمة** ﴿صُنۡعَ﴾ [سورة النمل:٨٨] **في القرآن الكريم ....**	١٧٠
٩٠	**تناسب فواتح السور مع خواتيمها ....**	١٧٣
٩١	﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [سورة الكهف:٧٩]	

	﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ [سورة الكهف:٨١] ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [سورة الكهف:٨٢]	١٧٥
٩٢	**اختلاف التعبير في** ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [سورة النحل:٩٦] .	١٧٧
٩٣	﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١١٨﴾ [سورة الأعراف:١١٨] ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩﴾ [سورة الأعراف:١٣٩]	١٧٨
٩٤	**وقفة بيانية حول كلمة (الملأ) في القرآن الكريم**	١٨٠
٩٥	﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة النساء:١٤٩] ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [سورة الأحزاب:٥٤]	١٨٢
٩٦	﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [سورة النحل:١٤] ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [سورة فاطر:١٢]	١٨٤
٩٧	﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [سورة يوسف:٩٠]	١٨٦
٩٨	**في الأنعام (حكيم عليم) في يوسف (عليم حكيم)**	١٨٨
٩٩	﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٣٥] ﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة المائدة:٨]	١٩٠
١٠٠	﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢] ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة يونس:١٢]	١٩٢
١٠١	**دلالة كلمة (إبليس) في القرآن**	١٩٤
١٠٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]	١٩٦
١٠٣	**(الرجز) و (الرجس) في القرآن**	١٩٨
١٠٤	**آلية التقديم والتأخير ونظامه في القرآن**	٢٠٠
١٠٥	**السر التعبيري في قوله:** ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ٢٥﴾ [سورة الكهف:٢٥]	٢٠٢

١٠٦	﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [سورة الشعراء:١٠٥]	٢٠٤
١٠٧	﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الزخرف:٢٢] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [سورة الزخرف:٢٣]	٢٠٥
١٠٨	﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [سورة المائدة:٣٢] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [سورة الأعراف:١٠١]	٢٠٧
١٠٩	**(التحسُّس) و (التجسُّس) في القرآن ....**	٢٠٩
١١٠	**الفرق بين (النصب ، اللغوب) في القرآن ....**	٢١٠
١١١	﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [سورة الأنعام:١٣١] ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [سورة هود:١١٧]	٢١٢
١١٢	﴿مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٣١] ﴿لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [سورة هود:١١٧]	٢١٤
١١٣	﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١﴾ [سورة الواقعة:٥١] ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢﴾ [سورة الواقعة:٩٢]	٢١٦
١١٤	**(الخُفية) و (الخِيفة) في تعبير القرآن ....**	٢١٨
١١٥	﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥١] ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء:٣١]	٢٢٠
١١٦	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [سورة القدر:١]	٢٢٢
١١٧	**سبب اختلاف وصف العذاب في قصة صالح ....**	٢٢٤
١١٨	**دلالة التعبير بالفعل (عذاب يخزيه) والاسم (عذاب مقيم) ....**	٢٢٦
١١٩	**الفرق بين (الوالدان والأبوان) ....**	٢٢٨
١٢٠	**(الأمثال للناس) و (للناس أمثالهم) ....**	٢٣١
١٢١	**(بما تعملون بصير) و (والله بما تعملون خبير) ....**	٢٣٣
١٢٢	**الضر والنفع في القرآن الكريم ....**	٢٣٦

١٢٣	(أنبأ) و (نبّأ) في نظم القرآن الكريم	٢٣٨
١٢٤	(يتساءلون ، يتلاومون)	٢٤٠
١٢٥	(كلام الله) و (كلمات الله)	٢٤٢
١٢٦	التقارب في قصة يوسف وموسىٰ -عليهما السلام-	٢٤٤
١٢٧	﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [سورة البقرة:٢٦١] ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٣]	٢٤٦
١٢٨	الدلالة البيانية للفظ (السميع ، سمّاع)	٢٤٨
١٢٩	لفظ (أشهر) و (شهور) في النظم القرآني	٢٥٠
١٣٠	الفرق بين ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة البقرة:٣٥] ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [سورة الأعراف:١٩]	٢٥١
١٣١	الفرق بين (اللائي) و (اللاتي) في تعبير القرآن	٢٥٤
١٣٢	كلمة (فسق) في تعبير القرآن الكريم	٢٥٦
١٣٣	دلالة قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [سورة الرعد:٢، سورة لقمان:١٠]	٢٥٩
١٣٤	اختلاف الرسم القرآني في قوله: (كذابا) في سورة النبأ	٢٦١
١٣٥	الفرق بين قراءة الإضافة والتنوين في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ⁽١٨⁾﴾ [سورة الأنفال: ١٨]	٢٦٢
١٣٦	الفرق بين (خلفاء ، خلائف) في نظم القرآن	٢٦٤
١٣٧	الدلالة البيانية للفظ (الجبل) في القرآن	٢٦٧
١٣٨	(ولكن أكثر الناس) (ولكن أكثرهم)	٢٦٩
١٣٩	لفظ (التواري) في القرآن	٢٧٢
١٤٠	الفرق بين (الميّت) و (الميْت) في تعبير القرآن	٢٧٤
١٤١	﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ [سورة الرعد:٣٨] و ﴿مِن قَبْلِكَ رُسُلًا﴾ [سورة الروم:٤٧]	٢٧٦
١٤٢	﴿إِلَّا ضَلَٰلًا ⁽٢٤⁾﴾ [سورة نوح:٢٤]و ﴿إِلَّا تَبَارًا ⁽٢٨⁾﴾ [سورة نوح:٢٨]	٢٧٨

١٤٣	الفاصلة في القرآن الكريم	٢٨٠
١٤٤	﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢] ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [سورة غافر:٦٢]	٢٨٢
١٤٥	الفرق بين قول لوط عليه السلام في سورتي الأعراف والنمل	٢٨٤
١٤٦	سر تخصيص نوح عليه السلام بالصافات	٢٨٦
١٤٧	الفرق بين (الآخِر) و (الآخَر) بكسر الخاء وفتحها	٢٧٨
١٤٨	الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ [سورة هود:٢٥] وقوله: ﴿نَذِيرٌ لَّكُم﴾ [سورة سبأ:٤٦]	٢٨٩
١٤٩	الدلالة البيانية لكلمة (عفريت) في القرآن	٢٩١
١٥٠	أعظم بلاء جاء في القرآن الكريم	٢٩٢
١٥١	تفسير كلمة (الجمل) في القرآن الكريم	٢٩٣
١٥٢	أنواع الفوز (المبين، الكبير، العظيم)	٢٩٤
١٥٣	رسم البسملة في القرآن الكريم	٢٩٦
١٥٤	إلىٰ ما يعود الضمير في قوله (ولقد تركناها آية)؟	٢٩٧
١٥٥	الفرق بين المطر والغيث في تعبير القرآن	٢٩٨
١٥٦	إعجاز في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ [سورة الإسراء:١٠١] ...	٣٠٠
١٥٧	الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [سورة البقرة:٨٣] ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦]	٣٠٢
١٥٨	التقديم والتأخير بين آيتي الأنفال وبراءة	٣٠٤
١٥٩	الفرق بين الرياح والريح في تعبير القرآن	٣٠٦
١٦٠	الفرق بين (اليم) و (البحر) في تعبير القرآن	٣٠٨
١٦١	الفرق بين (تتذكَّرون) و (تذكَّرون) في تعبير القرآن	٣١٠
١٦٢	الفرق بين (وهو الغفور الرحيم) (وهو الرحيم الغفور)	٣١٢

١٦٣	الفرق بين الفعلين (وإن تدعوهم) (وإن تدعهم)	٣١٤
١٦٤	(فجعلتم منه حراما و حلالا) (هذا حلال وهذا حرام)	٣١٥
١٦٥	(والله غفور رحيم) (إن الله غفور رحيم)	٣١٧
١٦٦	﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ٦٩﴾ [سورة هود:٦٩] و ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦﴾ [سورة الذاريات:٢٦]	٣٢٠
١٦٧	الفرق بين (بثمنٍ بخسٍ) و (وثمناً قليلاً)	٣٢٢
١٦٨	الفرق بين (مليم) و (ملوم) في تعبير القرآن	٣٢٣
١٦٩	(بآياتنا إلىٰ فرعون وملئه) (إلىٰ فرعون وملئه بآياتنا)	٣٢٥
١٧٠	الدلالة البيانية للفعل (ألفىٰ) في القرآن	٣٢٧
١٧١	(إذا) و (إن) الشرطيتين في القرآن	٣٢٩
١٧٢	(داخرين) في دلالة القرآن الكريم	٣٣١
١٧٣	الفرق بين قوله تعالىٰ (فلا تسألنِ) و (فلا تسألني)	٣٣٣
١٧٤	متىٰ يذكر لفظ الكتاب أو القرآن بعد الأحرف المقطعة	٣٣٤
١٧٥	السر في تقديم الأرض علىٰ السماء والسماء علىٰ الأرض	٣٣٦
١٧٦	(نزّل) و (أنزل) في دلالة القرآن الكريم	٣٣٨
١٧٧	﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة:٢٣١] ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق:٢]	٣٤١
١٧٨	اختلاف التعبير في عطف الصفات في القرآن	٣٤٣
١٧٩	السر البياني للفاصلة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧﴾ [سورة الأنعام:٧]	٣٤٥
١٨٠	السر البياني للفاصلة في قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [سورة الأنعام:٢٥]	٣٤٧
١٨١	الدلالة البيانية للفظ «الشيطان» في القرآن	٣٤٩
١٨٢	دلالة التعبير بالفعل والاسم في القرآن	٣٥١
١٨٣	(الظلم) في القرآن الكريم	٣٥٣
١٨٤	﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [سورة القصص:٢٠]	

	﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [سورة يس:٢٠]	**٣٥٥**
١٨٥	**الدلالة البيانية لضمائر الفصل في القرآن الكريم**	**٣٥٨**
١٨٦	﴿مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة غافر:٢٨] ﴿مُسۡرِفٌ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة غافر:٣٤]	**٣٦٠**
١٨٧	**(ضيزىٰ) أغرب كلمة في القرآن الكريم**	**٣٦٢**
١٨٨	﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة غافر:٧٨] ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر:٨٥]	**٣٦٣**
١٨٩	﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [سورة الإسراء:٨٩] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾ [سورة الكهف:٥٤]	**٣٦٤**
١٩٠	**(المشرق والمغرب) بالإفراد والتثنية والجمع**	**٣٦٦**
١٩١	**لغة الأضداد في القرآن الكريم واللغة العربية**	**٣٦٨**
١٩٢	**الفرق بين** ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [سورة النساء:١٦٢] ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة الحج:٣٥]	**٣٧٠**
١٩٣	**تقديم اللعب علىٰ اللهو واللهو علىٰ اللعب**	**٣٧٢**
١٩٤	﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [سورة الأعراف:٥٩] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [سورة هود:٢٥]	**٣٧٥**
١٩٥	**الفرق بين** ﴿أُلُوفٌ﴾ **و** ﴿ءَالَٰفٍ﴾ **في نظم القرآن**	**٣٧٧**
١٩٦	﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة النحل:٧٢] ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٧]	**٣٧٨**
١٩٧	**(كفورًا) بفتح الكاف وضمها**	**٣٨٠**
١٩٨	**الدلالة البيانية لكلمة (رب) في القرآن**	**٣٨٢**
١٩٩	﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ﴾ [سورة الحجر:١] ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ﴾ [سورة النمل:١]	**٣٨٤**

٢٠٠	لفظ الجلالة (الله) في القرآن الكريم	٣٨٦
٢٠١	الفرق بين (لبث) و (مكث) في بيان القرآن الكريم	٣٨٨
٢٠٢	﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [سورة البقرة:٦٢] ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [سورة الحج:١٧]	٣٩٠
٢٠٣	الفرق بين الفعل (أمدَّ) و (مدَّ) في نظم القرآن	٣٩٢
٢٠٤	﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧] ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝١٣﴾ [سورة آل عمران:١٣]	٣٩٤
٢٠٥	تقديم (الخوف على الجوع) و (الجوع على الخوف)	٣٩٧
٢٠٦	جمال الفاصلة في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [سورة البقرة:١٨]	٣٩٩
٢٠٧	﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١]	٤٠١
٢٠٨	الفرق بين الثياب واللباس في تعبير القرآن	٤٠٣
٢٠٩	لماذا التعبير بلفظ (يثرب) في آية الأحزاب	٤٠٥
٢١٠	الفرق بين ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ [سورة البقرة:١٧٠] و ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [سورة المائدة:١٠٤]	٤٠٧
٢١١	لماذا سميت ثمود بأصحاب الحجر؟	٤٠٩
٢١٢	الفرق بين (كُرهًا) و (كَرهًا) في نظم القرآن	٤١١
٢١٣	﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ [سورة الأنبياء:٩١] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ [سورة المؤمنون:٥٠]	٤١٣
٢١٤	﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [سورة الفرقان:١٦] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [سورة ق:٣٥]	٤١٥
٢١٥	التوجيه البياني النحوي في آيتي النحل	٤١٧
٢١٦	الحكم الإعرابي في ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [سورة التوبة:٣٩] و ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ [سورة هود:٥٧]	٤١٩

٢١٧	﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [سورة يونس:٧٢] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [سورة يونس:١٠٤]	٤٢١
٢١٨	**توجيه الآيات المتشابهة في القرآن:** ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٣٩﴾ [سورة الأعراف:٣٩] ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾ [سورة الأنفال:٣٥]	٤٢٣
٢١٩	**من عظيم النظم القرآني (هدىً ونور) (نورًا وهدىً)** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [سورة المائدة:٤٤] ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الأنعام:٩١]	٤٢٥
٢٢٠	**الفرق بين (الغَيْبَة ، الغِيْبَة)**	٤٢٧
٢٢١	**أي التعبيرين أنسب في يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ (هلك) أو (مات) !**	٤٢٨
٢٢٢	**المحور العام لسورة ص**	٤٣٠
٢٢٣	**(شهيدًا بيني وبينكم) (بيني وبينكم شهيدًا)**	٤٣٢
٢٢٤	**الفرق بين القرية والمدينة في القرآن الكريم**	٤٣٥
٢٢٥	**الفرق بين (قوم موسىٰ) و (أصحاب موسىٰ)**	٤٣٨
٢٢٦	**متىٰ يقول القرآن ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ و ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾**	٤٤٠
٢٢٧	**الفرق بين (الفرار) و(الهرب) في تعبير القرآن**	٤٤٣
٢٢٨	**التوجيه البياني في** ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [سورة هود:٢٧] ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾ [سورة الشعراء:١١١]	٤٤٥
٢٢٩	﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [سورة الأنعام:١٥١] ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ [سورة الأنعام:١٥٢] ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]	٤٤٧

٢٣٠	**الفرق بين** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الزمر:١٨]	**٤٥٩**
٢٣١	﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٧٣] ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [سورة النحل:١١٥]	**٤٥١**